هَذَا هُوَ الإِسْلاَمُ الَّذِي قَالُوا عَنْهُ..!!!

يحتوى الكتاب على سبعين درسًا

جمع وترتيب

أحمد عبد المتعال

تقديـم

فضيلة الدكتور/ إبراهيم بن محمد الحماحمي

جامعة الأزهر

تقديم

لفضيلة الدكتور: إبراهيم بن محمد الحماحمي

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)} [آل عمران:١٠٢].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (١)} [النساء:١].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً(٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (٧١)} [الأحزاب:٧٠ - ٧١].

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه سلم وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، ثم أما بعد...

فكم في الزوايا من خبايا...وكم من طالب علم لا يلتفت إليه الناس حتى يظهر الله فضله بما شاء.

بين يديك أخي الكريم هذا العقد الثمين الذي نظم حباته أخي الفاضل: أحمد عبد المتعال، جمع فيه تلخيصا مفيدا لمفهوم الإسلام، مع مقدمة عقدية، عرضها بأسلوب علمي شيق، كشأنه في سائر الكتاب.

والكتاب يصلح لدعوة غير المسلمين ليعرفوا - بلا تزييف ولا تزيين - ما هو الإسلام...

ويصلح لأئمة مساجدنا ليجمعوا عليه أهالي الأحياء ويرغبوهم في دروس العلم بهذا العرض اليسير المشوق..

ولإخواني من طلبة العلم ليكون كلماتهم الأولى على المنابر....
ولكل أسرة لتجدد به اجتماع الأسرة على العلم النافع...
أسأل الله أن ينفع كاتبه وناشره وقارئه...والحمد لله رب العلمين.
كتبه: إبراهيم بن محمد الحماحمي
عفا الله عنه

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

قال تعالى:{**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (١)**} [النساء:١].

وقال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)**} [آل عمران:١٠٢].

وقال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً(٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً(٧١)**} [الأحزاب:٧٠ - ٧١].

أحبتي في الله سلام الله عليكم ورحمته وبركاته أما بعد:

لا أخفي عليكم أنه كان يشغلني كثيرًا أن الناس في حاجة ماسَّة لكتاب ميسر للتعريف بحقيقة الإسلام غير المشوهة، فملايين من المسلمين لا يعرفون الكثير عن الإسلام لانشغالهم بأمورهم الحياتية، ولعدم تلقيهم العلم الشرعي الصافي أثناء مراحل دراستهم، وكذا نتيجة لتضليل الإعلام الهدام والموجه لتشويه الدين الإسلامي خصوصا قبل أن تخرج علينا القنوات الفضائية الإسلامية ذات النبع الصافي للمسلمين، والتى تعرض معتقد أهل السنة والجماعة، بل هناك العديد من الشبهات عند كثير من المسلمين نتيجة لتواجدهم مع أصحاب الملل الأخرى ومع المرجفين من المسلمين.

والجدير بالذكرأن هناك الملايين من غير المسلمين الذين يريدون أن يعرفوا الحقيقة عن الإسلام والحضارة الإسلامية بعد أن وصلهم معلومات مشوهة وغير صحيحة عن الإسلام والحضارة الإسلامية، فقد بلغهم عن المسلمين أنهم شعوب همجية، وأن الإسلام انتشر بحد السيف والقمع، وأن الإسلام هو

دين الإرهاب، ولقد جاء الإسلام لقمع حرية المرأة...الخ، إلى كل هؤلاء أقدم هذا الكتاب **هذا هو الإسلام الذي قالوا عنه!!!.**

ولقد بدأت هذا الكتاب بتنشيط عبادة التفكر والتأمل في عظيم مخلوقات الله للحث على التفكر في آيات الله الكونية والشرعية، فهي
من أعظم الأسباب التي تعين على معرفة ومحبة الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى،
قال تعالى:{**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١)**} [آل عمران:١٩٠، ١٩١] فكلما نظرت في شيء دلك على الله.

فيا عجبا كيف يعصى الإله ::: أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكة وفي ::: كل تسكينة أبداً شاهد
وفي كل شيء له آية ::: تدل على أنه الواحد

ففي كل لمحة ونظرة وشجرة وفي كل زهرةٍ وجبلٍ، وفي كل تل، آية من آيات الله، لكننا لا نتفكر، فكم من آية نمر عليها ولا نعتبر، إلا من وفقه الله للتفكر:{**أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ**} [الغاشية:١٧ - ٢٠].

فالسماء بغير عمدٍ ترونها، من رفعها؟ بالكواكب من زيَّنها؟ الجبال من نصبها؟ الأرض من سطحها وذلَّلها؟ وقال:{**فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا**} [الملك: ١٥]، وصدق الشاعر حين قال:

لله في الآفاق آيات لعل ::: أقلها هو ما إليه هداكَ
ولعل ما في النفس من آياته ::: عجب عجاب لو ترى عيناكَ
والكون مشحون بأسرار إذا ::: حاولْتَ تفسيرًا لها أعياكَ
قل للطبيب تخطَّفته يد الردى ::: من يا طبيب بطبِّه أرْدَاكَ؟
قل للمريض نجا وعُوفيَ بعدما ::: عجزت فنون الطب من عافاكَ؟
قل للصحيح يموت لا من علة ::: من بالمنايا يا صحيح دهاكَ؟

قــل للبصــير وكــان يحــذر حفــرةً	:::	فهَــوَى بهــا مــن ذا الــذي أهــواكَ؟
بـل سـائل الأعمـى خَطَـا بـين الزحـام	:::	بــلا اصــطدام مــن يقــود خطــاكَ؟
قــل للجنــين يعــيش معــزولا بــلا	:::	راعٍ ومرعــى مــا الــذي يرعــاكَ؟
قـل للوليـد بكـى وأجهـش بالبكـاء	:::	لــدى الــولادة مــا الــذي أبكــاكَ؟
وإذا تــرى الثعبــان ينفــث ســمَّهُ	:::	فاســأله مــن ذا بالســموم حَشَــاكَ؟
واســأله كيــف تعــيش يــا ثعبــان	:::	أو تحيــى وهــذا الســمُّ يمــلأ فَــاكَ؟
واسـأل بطـون النَّحـل كيـف تقـاطرت	:::	شــهدًا وقــل للشــهد مــن حــلاَّكَ؟
بــل ســائل اللــبن المُصَــفَّى كــان	:::	بــين دم وفــرث مــا الــذي صــفَّاكَ؟
وإذا رأيــت الحــي يخــرج مــن	:::	حَنَايــا ميــتٍ فاســأله مــن أحيــاكَ؟
قـل للهـواء تحثُّـه الأيـدي ويخفـى	:::	عــن عيــون النــاس مــن أخفــاكَ؟
قــل للنبــات يجــفُّ بعــد تعهُّــدٍ	:::	ورعايـــة مـــن بالجفـــاف رَمَـــاكَ؟
وإذا رأيــت النَّبــت فــي الصــحراء	:::	يربــو وحــده فاســأله مــن أَرْبَــاكَ؟
وإذا رأيــت البــدر يســري ناشــرًا	:::	أنـــواره فاســـأله مـــن أسْـــرَاكَ؟
واسـأل شـعاع الشـمس يـدنو وهـي	:::	أبعـد كـل شـيء مـا الـذي أدنـاكَ؟
قـل للمريـر مـن الثمـار مـن الـذي	:::	بــالمرِّ مــن دون الثمــار غــذاكَ؟
وإذا رأيـت النخـل مشـقوق النـوى	:::	فاسـأله مـن يـا نخـل شـقَّ نـواكَ؟
وإذا رأيــت النــار شــبَّ لهيبهــا	:::	فاســأل لهيــب النــار مــن أوراكَ؟
وإذا تــرى الجبــل الأشَــمَّ مناطحًــا	:::	قِمَـمَ السَّـحاب فسَـلْه مـن أرسـاك؟
وإذا تــرى صــخرًا تفجــر بالميــاه	:::	فســله مــن بالمــاء شــقَّ صَــفَاكَ؟
وإذا رأيـت النهـر بالعـذب الـزُّلال	:::	جـرى فسَـلْه مـن الـذي أجـراكَ؟
وإذا رأيـت البحـر بـالملح الأُجـاج	:::	طغـى فسَـلْه مـن الـذي أطغـاكَ؟
وإذا رأيــت الليــل يغشــى داجيــاً	:::	فاسـأله مـن يـا ليـل حـاك دجـاكَ؟
وإذا رأيـت الصـبح يسـفر ضـاحيا	:::	فاسأله من يـا صـبح صـاغ ضُـحَاكاَ؟
هـذي العجائـب طالمـا أخـذت بـه	:::	عينـــاك وانفتحـــت بهـــا أذنـــاكَ
والله فـــي كـــل العجائـــب مبـــدع	:::	إن لـــم تكـــن لتـــراه فهـــو يـــراكَ
يــا أيهــا الإنســان مهــلا مــا الــذي	:::	بـــالله جـــل جلالـــه أغـــراكَ؟
فاســجد لمــولاك القــدير فإنمــا	:::	لا بـــد يومـــا تنتهـــي دنيـــاكَ

وتكــون فــي يــوم القيامــة مــاثلا ::: تجـزي بمـا قـد قدمتـه يـداكَ (١٥)

فالتفكر من أعظم ما يقودك إلى توحيد الله تعالى، وهذه عبادة الصالحين الذين يتفكرون في الآيات البينات، ويتفكرون في المخلوقات، وفي عجيب صنع رب الأرض والسماوات، فيعودون بإيمانٍ ويقين، فهذا عاملٌ كبير ينبغي ألا يفوت المؤمن، ومن أحسن ما يتفكر فيه العبد ويتدبر آيات الله الكونية والشرعية، قال تعالى:**{وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ}** [الذاريات:٢٠، ٢١].

ثم تحدثت عن قصة البشرية، وبعثة الرسل وشهادة الجميع لرسول الله صلى الله عليه وسلم بحسن خلقه وهديه، وكذا الإعجاز القرآني فالقرآن هو معجزة الله الخالدة في أرضه، ومن ثم فإن الإسلام هو دين الله الذي ارتضاه الله للناس.

ثم تحدثت عن أركان الإسلام الخمسة وأركان الإيمان الستة،ثم عرضت أمور هامة في العقيدة مثل الولاء والبراء، وإن الحكم إلا لله، ثم عرضت بعض الأخلاق الإسلامية والآداب الإسلامية بصورة مشوقة إن شاء الله.

ولم يفتني أن أتعرض في هذا الكتاب لأكثر النداءات الإيمانية لله عز وجل للمؤمنين وعددها تسعة وثمانون نداءً كلها نداءات الرحمن لأهل الإيمان وكلها تبدأ بـ**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ}**، يقول عبد الله بن مسعود وقد قال له رجل: يا عبد الله، اعهد إليَّ، فقال : إذا سمعت الله يقول:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ}** فأَرْعِهَا سمعَك، فإنه خير يَأمر به، أو شر يَنهى عنه.

وفي الحقيقة هذه النداءات هي نداءات كرامة، ووجدت في هذه النداءات ست بشارات للمؤمنين:

الأولى: المحبة من الله، قال سبحانه وتعالى:**{يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}** [المائدة:٥٤].

الثانية: النُّصرة من الله عز وجل، قال تعالى:**{وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ(٤٧)}** [الروم:٤٧].

الثالثة: العزة والكرامة قال تعالى:**{وَ لِلهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ}** [المنافقون:٨].

الرابعة: الرحمة قال تعالى:**{وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً}** [الأحزاب:٤٣].

الخامسة: الفضل الكبير من الله سبحانه وتعالى:**{وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللهِ فَضْلاً كَبِيراً (٤٧)}** [الأحزاب:٤٧].

السادسة: الشفاعة العظمى، قال تعالى:**{بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ}** [يونس:٢].

فهنيئا لأهل الإيمان بتلك البشارات، وهذه النداءات تنظم العلاقة بين العبد وبين مولاه وبين رسوله وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم وتنظم العلاقة بين الفرد وأسرته وكذا مجتمعه وكذا بينه وبين أهل الكفر والعصيان.

ثم بفضل الله تعالى ومنِّهِ رأيت أنه من المفيد الرد على أكثر الشبهات المثارة ضد الإسلام والحضارة الإسلامية بالأدلة والبراهين لدحض هذه الشبهات.

ولقد وضع هذا الكتاب في سعين درساً، ويمكن رسم الخطة التى يمكن للمسلمين، أو غير المسلمين الراغبين في التعرف على حقيقة الإسلام غير المشوهة لاعتناق الإسلام بالطريقة التى تعود عليهم بالنفع إن شاء الله في دينهم ودنياهم بدراسة ثلاثة كتب جميعهم للمؤلف كما يلي.

وفيما يلي بيان بإصدارات كتب الحديث المستخدمة في تحقيق أحاديث الكتاب:

١ - صحيح البخاري (المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي)، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية

الشريعة - جامعة دمشق، عدد الأجزاء: ٦.

٢ - صحيح مسلم (المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي مع تعليقاته، عدد الأجزاء: ٥.

٣ - سنن أبي داود (المؤلف: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي)، الناشر: دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عدد الأجزاء: ٤، مع الكتاب: تعليقات كَمَال يوسُفْ الحوُت، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

٤ - الجامع الصحيح سنن الترمذي (المؤلف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، عدد الأجزاء: ٥، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها

٥ - سنن النسائي (المؤلف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي)، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، عدد الأجزاء: ٨، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

٦ - سنن ابن ماجه (المؤلف: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني)، الناشر: دار الفكر - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، عدد الأجزاء: ٢، مع الكتاب: تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

٧ - مسند الإمام أحمد بن حنبل (المؤلف: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني)، الناشر: مؤسسة قرطبة - القاهرة، عدد الأجزاء: ٦، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها.

8 - صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني)، الناشر: المكتب الإسلامي، عدد الأجزاء: ١.

9 - مشكاة المصابيح (المؤلف: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي)، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٥ - ١٩٨٥،

تحقيق: تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، عدد الأجزاء: ٣.

10 - صحيح الترغيب والترهيب (المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني)، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة: الخامسة، عدد الأجزاء: ٣.

11 - السلسلة الصحيحة (محمد ناصر الدين الألباني)، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض، عدد الأجزاء: ٧.

12 - صحيح السيرة النبوية (المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني)، الناشر: المكتبة الإسلامية - عمان - الأردن، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء: ١.

13 - شرح العقيدة الطحاوية (المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني) طبعة، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية - ١٤١٤ عدد الأجزاء: ١

14 - غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام (المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني) الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٥، عدد الأجزاء: ١.

15 - مختصر إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني)، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية - ١٤٠٥ - ١٩٨٥، عدد الأجزاء: ١.

16 - صحيح أبي داود (المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني)، الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، عدد الأجزاء: ٧ أجزاء، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

١٧- صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري (المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني) ، الناشر : دار الصدّيق ، الطبعة : ط١: ١٤٢١هـ .

١٨- فقه السيرة ، (المؤلف : محمد الغزالي) ، الناشر : دار القلم - دمشق الطبعة : السابعة - ١٩٩٨ ، تحقيق : تحقيق العلامة المحدث محمد ناصر ، الدين الألباني ، عدد الأجزاء : ١

* * *

تخريج أحاديث الكتاب:

أكتفيت بكتابة اسم الصحابي الذي روى الحديث ولم أذكر باقي السند للإيجاز علما بأنه يمكن معرفة باقي الإسناد بالرجوع إلى كتب تخريج الحديث، ولقد استعملت رموزا لكتب الحديث المستخدمة في تخريج أحاديث الكتاب وذلك من أجل الاختصار وهذه الرموز مدونة في جدول: **رموز كتب الحديث المستخدمة في الكتاب**، وتستخدم هذه الرموز بالطريقة التالية:

(صحيح) أخرجه (خ) ١٢٩٢، و(م) ٢٦٥٨: أي أن الحديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه برقم ١٢٩٢، ومسلم في صحيحه برقم ٢٦٥٨.

(صحيح) أخرجه (حم ت ك) وصححه الألباني في ص. ج٢٥٤٦: أي أن الحديث صحيح أخرجه الإمام أحمد في مسنده، والترمذي في سننه، والحاكم في مستدركه وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٢٥٤٦.

رموز كتب الحديث المستخدمة في تخريج أحاديث الكتاب

الرمز	الكتاب	الرمز	الكتاب
خ	صحيح البخاري	ع	مسند أبي يعلى
م	صحيح مسلم	قط	سنن الدارقطني
ق	اتفق عليه البخاري ومسلم	فر	مسند الفردوس للديلمي
د	سنن أبي داود	حل	الحلية لأبي نعيم
ت	سنن الترمذي	هب	شعب الإيمان للبيهقي
ن	سنن النسائي	هق	سنن البيهقي
هـ	سنن ابن ماجه	عد	الكامل لابن عدي
٤	(د ت ن هـ)	عق	الضعفاء للعقيلي
٣	(ت ن هـ)	خط	التاريخ للخطيب
حم	مسند الإمام أحمد	الضياء	المختار للضياء المقدسي
عم	الزوائد لعبد الله بن أحمد	كر	ابن عساكر
مالك	موطأ الإمام مالك	بزار	البحر الزخار ـ مسند البزار
ك	الحاكم في مستدركه	مش	مشكاة المصابيح
خد	البخاري في الأدب	س.ص	السلسلة الصحيحة

			للألباني
تخ	البخاري في التاريخ	ص	سنن سعيد بن منصور
حب	صحيح ابن حبان	ش	السنن لابن أبي شيبة
طب	معجم الطبراني الكبير	عب	الجامع لعبد الرزاق
طس	معجم الطبراني الأوسط	صت	صحيح الترغيب والترهيب
سفر	معجم السفر للسلفي	ص.د	صحيح أبي داود للألباني
طص	معجم الطبراني الصغير	إرواء	مختصر إرواء الغليل للألباني
شهاب	مسند الشهاب للقضاعي	ابن سعد	الطبقات الكبرى لابن سعد
ابن خزيمة	صحيح أبي بكر بن خزيمة	الطيالسي	مسند أبي داود الطيالسي
روياني	مسند الروياني	بغوي	شرح السنة للبغوي
ص.ج	صحيح الجامع للألباني		

* * *

بيان بالمراجع والمصادر المستخدمة في هذا الكتاب

من أجل الإيجاز استخدمت أرقاما لتشير للمصدر المنقول منه الكلام وهذه الأرقام مدونة في جدول: **أرقام المراجع والمصادر المختلفة المستخدمة في الكتاب**، حيث يوضع رقم المصدر في آخر الكلام المنقول منه، علما بأنه تم إختصار كل ما هو ليس بحديث أو آية وصولا للفائدة بأقصر الطرق إن شاء الله تعالى، مثال للتوضيح:

(٥٩) هذا يعني أن هذا النص منقول بالمعنى من دروس الشيخ على عبد الخالق القرني.

وأحيانا أستخدم أ.هـ بعد قول أحد الأئمة أو العلماء أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية أو الإمام ابن القيم.. إلخ، وهذا يشير إلى إنتهاء كلام هذا الإمام أو العالم أو الشيخ وما بعده هو من كلامي إذا لم يذكر خلاف ذلك بإدراج رقم أحد المراجع.

أرقام المراجع والمصادر المختلفة المستخدمة في الكتاب:

المصدر	الرقم
الإسلام وأحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١ لزبير سلطان قدوري	١
أبحاث المؤتمر العالمي الثالث للاقتصاد الإسلامي بجامعة أم القرى.	٢
أثر العلم الشرعي في مواجهة العنف والعدوان للدكتور الفوزان.	٣
الأسباب المفيدة في اكتساب الأخلاق السعيدة للشيخ محمد بن إبراهيم الحمد	٤
الإسلام شريعة الزمان والمكان للأستاذ عبد الله ناصح علوان	٥
أصول الدعوة للدكتور عبد الكريم زيدان	٦
أصول مذهب الشيعة الإثنى عشرية للدكتور القفاري	٧
إغاثة اللهفان لابن القيم	٨
أمة الإسلام لن تموت للدكتور راغب السرجاني	٩
الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام	١٠
البداية والنهاية لابن كثير	١١
تاريخ الطبري	١٢
تاريخ أهل الذمة في العراق	١٣
التربية الذاتية من الكتاب والسنة للدكتور هاشم على الأهدل	١٤
تعريف غير المسلمين بالإسلام للأستاذ محمد إبراهيم الحمد	١٥
التقوى الدرة المفقودة والغاية المنشودة للدكتور أحمد فريد	١٦
تهذيب الداء والدواء الشيخ محمد الهبدان	١٧
تهذيب تسهيل العقيدة الإسلامية أ.د عبد الله عبد العزيز	١٨

الجبرين	
الجامع في الرسائل الدعوية جمع وترتيب على بن نايف الشحوذ	١٩
الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل، على بن نايف الشحوذ	٢٠
حضارة العرب غوستاف لوبون	٢١
الحقوق الإسلامية للشيخ محمد حسان	٢٢
حقيقة التوحيد للشيخ محمد حسان	٢٣
حلية الأولياء للأصبهاني	٢٤
الدعوة إلى الإسلام توماس آرنولد	٢٥
الرحيق المختوم للمباركفاروري	٢٦
زاد المسلم اليومي من العلم الشرعي	٢٧
زوجات النبي للشيخ سعيد أيوب	٢٨
سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين للدكتور حكمت بن بشر	٢٩
سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين للدكتور عبد الله اللحيان	٣٠
السيرة النبوية لابن هشام	٣١
السيرة النبوية للصلابي	٣٢
شرح العقيدة الطحاوية لأبي العز الحنفي	٣٣
شرح العقيدة الواسطية للعثيمين	٣٤
الشريعة للآجري	٣٥
شمس الإسلام تسطع عن قرب زيغريد هونكه	٣٦
صفة الصفوة لابن الجوزي	٣٧

صور من حياة التابعين للدكتور عبد الرحمن الباشا	٣٨
طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة	٣٩
الطبقات الكبرى لابن سعد	٤٠
عمر بن عبد العزيز للدكتور الصلابي	٤١
العنف ضد المرأة للأستاذ حسام الدين الطرفاوي	٤٢
فتح البلاد للبلاذري	٤٣
فتوح الشام للواقدي	٤٤
فقه النصر والتمكين للدكتور على محمد الصلابي	٤٥
قصة الحضارة ول ديورانت	٤٦
الكبائر للإمام الذهبي	٤٧
كتاب الأخلاق في الإسلام	٤٨
كتاب التوابين للإمام المقدسي	٤٩
لا سكوت بعد اليوم بولي فندلي	٥٠
مجلة المجتمع الكويتية العدد ٦٦١	٥١
مجموع الفتاوى لابن تيمية	٥٢
من دروس الدكتور عبد الرحمن السديس	٥٣
من دروس الشيخ إبراهيم الدويش	٥٤
من دروس الشيخ أبي إسحاق الحويني	٥٥
من دروس الشيخ سفر الحويلي	٥٦
من دروس الشيخ عائض القرني	٥٧
من دروس الشيخ عبد الباري الثبيتي	٥٨
من دروس الشيخ على عبد الخالق القرني	٥٩
من دروس الشيخ محمد إبراهيم الحمد	٦٠

من دروس الشيخ محمد الحسن الددو الشنقيطي	٦١
من دروس الشيخ محمد حسان	٦٢
من دروس الشيخ محمد حسين يعقوب	٦٣
من دروس الشيخ محمد صالح المنجد	٦٤
من دروس الشيخ نبيل العوضي	٦٥
من دروس سعيد بن مسفر	٦٦
من دروس سفر عبد الرحمن الحوالي	٦٧
من مناسك الحج والعمرة للألباني	٦٨
موسوعة البحوث والمقالات العلمية في القرآن والسنة، لعلي بن نايف	٦٩
الموسوعة العربية العالمية	٧٠
الموسوعة الفقهية الكويتية	٧١
موسوعة خطب المنبر في موقع شبكة المنير	٧٢
الوابل الصيب لابن القيم	٧٣

إخوتي في الله، لا يفوتني أن أتقدم بخالص الشكر لأصحاب الفضل الذين أحبهم في الله تعالى، والذين قدموا لي يد المساعدة في إعداد هذا الكتاب عملًا بحديث رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم :**{مَنْ لَمْ يَشْكُرْ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرْ اللَّهَ}**[١].

وأخص بالذكر شيخنا الجليل أبا داود الدمياطي يحيى حزة، المحدث، الفقيه، الأصولي، فلقد تعلمت منه الكثير ومازلت أتعلم منه، أسأل الله تعالى أن ينفع به الإسلام والمسلمين، والأخ الكريم الدكتور إبراهيم الحماحمي بكلية الدرسات الإسلامية بدمياط الجديدة على تقديمه للكتاب، والأخ الفاضل المدرس المساعد أحمد محمود الجبة بكلية اللغة العربية

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (حم ت الضياء) وصححه الألباني في ص.ج ٦٥٤١ .

بالقاهرة على مراجعته للكتاب لغويًا، ومدرس اللغة العربية الأستاذ الفاضل عبد المحسن رجب التوارجي على قيامه بمراجعة جزء من الكتاب لغويا، والأخ العزيز مجاهد عبد القوى مجاهد على تعاونه المثمر البناء، وكل من قدم لي يد المعاونة في اعداد هذا الكتاب، ولا أستطيع أن أكافيء أصحاب الفضل إلا أن أقول لهم جزاكم الله خيرا ؛ عملا بحديث رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم :**{مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ}** (١).

أحبتي في الله، إن كان ثمة تقصير في هذا الكتاب فمن نفسي، ولا أستطيع أن أبرر ذلك إلا أن أقول ما قاله العماد الأصفهاني:

إني رأيت أنه لا يكتب أحد كتابا في يومه إلا قال في غده:

لو غير هذا لكان أحسن ::: ولو زيد هذا لكان أحسن

ولو قدم هذا لكان أفضل ::: ولو ترك هذا لكان أجمل

وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر، أ. هـ.

وفقنا الله وإياكم لطاعته والعمل بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

كتبه الراجي عفو ربه

أحمد عبد المتعال

٢٨ رجب ١٤٣٢هـ

* * *

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (ت) وصححه الألباني في ص. ج ٦٣٦٨.

الدرس الأول:

دعوة للتفكر في خلق السماوات والأرض

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع ما قاله أول رائد فضاء يصعد إلى القمر، إنه رائد الفضاء السوفيتي الملحد، فعندما أصبح حول الأرض ونظر من نافذة مركبته فرأى بديع خلق الله في السماوات والأرض، فقال: ماذا أرى؟! أنا في حلم أم سُحِرَت عيناي، ثم يقول: في الفضاء يحل الليل بصورة مفاجئة، وبسرعة تقطع الأنفاس، وتعمى العيون بلا تدرج كما هو الحال على الأرض، وليل الفضاء الخارجي من أشد الأشياء السوداء التي رأيتها في حياتي، يقول: ثم تظهر الشمس فجأة، وتلمع كأنها ضوء صاعقة مبدّدة خلال ثوانٍ في وسط الليل الحالك، فلا تدرج في الفضاء، بل ثوان وأنت في ليل مظلم في أَحْلَك الظلمات، وثوان أخرى وأنت في نهار ساطع النور وهاج يبدد الظلمات.

فيا لها من نعمة، نعمة الشروق والغروب، والليل والنهار، التي أقسم الله عز وجل بها في عدة آيات فقال:**{فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَى أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ(٤١)}** [المعارج:٤٠ - ٤١]، وقال:**{وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤)}** [الشمس:٣ - ٤]، ولك أن تتأمل مرة أخرى، في قائل هذه الكلمات الشيوعي الملحد؛ فالبرغم من بديع ما رأى خلال دورانه حول الأرض إلاّ أنه لم يَرِد على لسانه سوى الذُّهول أمام عظمة الكون، ثم السكوت المطلق عن خالق الكون ومبدعه، واستحقاقه للعبادة وحده لا شريك له، فسبحان الله!**{مَن يُضْلِلِ الله فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٨٦)}** [الأعراف:١٨٦] **{إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦)}** [العاديات:٦]، **{إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ}** [إبراهيم:٣٤].

إخوتي في الله، لو تفكرنا في الأشياء من حولنا، سنستدل بهذا الجزء القليل

على الكثير، مثل التفكر في السماوات والأرض، وكم فيها من عبر! وكم فيها من أسرار! وكم فيها من مواطن الإعجاز! والتفكر في الشمس والقمر والليل والنهار والأرض والجبال، وكذا التفكر في الكائنات الحية من حولنا، وأيضا التفكر في أنفسنا، أشياء وأشياء يمكن التفكر فيها، والغرض من هذا التفكر أن نصل إلى الغاية، وهي معرفة خالق هذه الأشياء.

تأمل - أخي في الله - تعاقب الليل والنهار بصورة معتدلة، وتفاوت الليل عن النهار، وكلٍ عن مثله، فلا ليل يشبه ليلا، ولا نهار يشبه نهارًا منذ خلق الله الخلق وحتى قيام الساعة، إن ذلك من أعجب وأبدع آيات الله الدالة على ربوبيته وألوهيته وحكمته**{وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ}** [فصلت:٣٧]، **{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً (٦٢)}** [الفرقان:٦٢].

إن تعاقب الليل والنهار نعمة عظيمة؛ إذ هي تنظم وجود الأحياء على الأرض، من نمو النبات، وتفتُّحُ الأزهار، ونضج الثِّمار، وهجرة الطيور والأسماك والحشرات، ومن شاء فليتصور ليلا بلا نهار، أو نهارًا بلا ليل، كيف تكون الحياة؟**{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ الله عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ** الله **يَأْتِيكُم بِضِيَاء أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ الله عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ** الله **يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ(٧٢)}** [القصص:٧١ - ٧٢]، أما إنها لو سكنت حركة الشمس لغرق نصف الأرض في ليل سرمدي، وغرق نصفها الآخر في نهار سرمدي، وتعطلت مع ذلك مصالح ومنافع، ومن عاش في المناطق القطبية بعض الوقت عرف نعمة تعاقب الليل والنهار؛ إذ يبقى النهار لمدة ستة أشهر، والليل كذلك،**{وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(٧٣)}** [القصص:٧٣].

وتأمل - أخي الكريم - كيف جعل الله الليل سكنًا ولباسًا؟ يغشى العالم فتسكن فيه الحركات، وتأوي إلى بيوتها الحيوانات، وإلى أوكارها الطير والحشرات، تستجمُّ فيه النفوس، ومن كَدِّ السعي والنَّصَب فيه تستريح، حتى إذا أخذت النفوس راحتها وَسُبَاتها وتطلَّعت إلى معاشها جاء فالق الإصباح سبحانه بالنهار يقدُمه بشير الصباح، فيهزم الظُّلْمَة ويمزِّقها كل مُمَزَّق، ويكشفها عن العالم فإذا هم مبصرون. فينتشر الحيوان، وتخرج الطير من

أوْكارِها لتطلب معاشها ومصالحها. فيا له من معادٍ ونشأة دالة على قدرة الله على المعاد الأكبر،{**يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ (١٨)**} [الحاقة:١٨] (٨٥).

قال أحد علماء الفلك الكفار عندما نظر إلى السماء من خلال منظار بَنَاه بنفسه، فرأى ما أذهله في هذا الكون : إن الإنسانية لن تنتهي من اكتشاف أسرار الكون، ولن تعرف من الكون إلا مقدار ما نعرفه من نقطة ماء في محيط عظيم. فهل آمن مع ذلك وصدَّق؟ لا، وصدق الله{**يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**} [الروم: ٧].

وقال آخر أيضًا: إن وضع الأجرام السماوية ليس مجرد مصادفة وعشوائية، بل هي موضوعة في الفضاء بدقَّة وإتقان؛ إذ أن القمر لو اقترب من الأرض بمقدار ربع المسافة التي تفصلنا عنه لأغرق مدُّ البحر الأرض كلها، وما علاقة القمر بالبحر؟! الله يعلمها الذي قال وصدق:{**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**} [فصلت: ٥٣].

ثم تعالَ معي نتفكر في هذا الكون بسماواته وأرضه وأحيائه، متأملين، متدبِّرين{**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**} [البقرة: ١٦٤].

تأمل السماء، انظر فيها وفي كواكبها، دورانها، وطلوعها، وغروبها، واختلاف ألوانها وكثرتها، وشمسها وقمرها، باختلاف مشارقها ومغاربها، حركتها من غير فتور ولا تغير في سيرها، تجري في منازل قد رتِّبت لها بحساب مُقدَّر لا يزيد ولا ينقص إلى أن يطويها فاطرها.

تأمل تجد أنه ما من كوكب ولا نجم إلا ولله في خَلْقِه حِكْمَة، في مقداره، وفي شكله، وفي لونه، وفي موضعه في السماء، والكواكب والنجوم كلها تسبح في السماوات التى رفعت بلا عمد فوقها ولا عمد تحتها{**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا**} [لقمان: ١٠]{**وَيُمْسِكُ السَّمَاء أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ**} [الحج: ٦٥]، والإنسان العاقل أمام بديع صنع الله في

سماواته يتوقف طويلا حائرا مما يراه، فما يملك إلا أن تخشع جوارحه، وتخضع، وتذل، وتستجيب، فتَقْدُر الله حقَّ قَدْرِه، وتفرده بالعبادة وحده لا شريك له.

ويقول أحد كبار علماء الفلك وهو يهودي: أريد أن أعرف كيف خلق الله الكون، أريد أن أعرف أفكاره، الله بارع حاذق ليس بشرِّير، الله لا يلعب بالنرد مع الكون، تعالى الله، وجلَّ الله**{وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ** الله **تُنكِرُونَ}** [غافر: ٨١] فكيف لو اطلع على ما جاء في القرآن، لربما كان من المؤمنين حقًّا. نعم، الله لا يلعب مع الكون، عز وجل ، فهو القائل:**{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (١٦) لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ(١٧) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ(١٨)}}** [الأنبياء: ١٦ - ١٨].

معاشر الإخوة، ما الأرض بالنسبة للكون إلا كحبة رمل في صحراء عظيمة تسير في مسار حول الشمس دون أن يصطدم بها ملايين النجوم، والكواكب المنتشرة في الكون، ولا يزال علماء الفلك يكتشفون من خلال تجاربهم ومراصدهم ومناظيرهم كل يوم ما يدهش العقول في هذا الكون الفسيح، فمنهم من رأى المجرات الصغيرة وهي تتألف من عشرة ملايين نجم قد عُرِف منها ما عُرِف، نعم، لقد رأى مجرتنا درب التبانة، وقد تألَّفت من مائة مليار نجم، قد عُرِف منها الشمس، وتبدو هذه المجموعة كقُرصٍ قُطرهُ تسعون ألف سنة ضوئية، وسمكه خمسة آلاف سنة ضوئية، ومع هذا البعد الشاسع فإن ضوء الشمس يصلنا في لحظات، وكذلك نور القمر. بل قد رأى هناك مجرات تكبرها بعشرات المرات، أحصى منها مائة مليار مجرة تجري، كلها في نظام دقيق بسرعة هائلة، كلٌ في مساره الخاص دون اصطدام، كل يجري لأجل**{تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاء بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً}** [الفرقان: ٦١]، هذا الذي رآه، وما لم يره أكثر، فقد قال الله عز وجل :**{فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ(٣٩)}** [الحاقة: ٣٨ - ٣٩].

والله عز وجل ما خلق السماوات والأرض عبثا، بل خلقهما لحكمة بالغة، يقول الله تعالى:**{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ**

الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ} [ص:٢٧].

أخي في الله، لو كان في السماوات والأرض آلهة غير الله سبحانه وتعالى تدبر شؤونهما، لاختلَّ نظامهما، فتنزَّه الله رب العرش، وتقدَّس عَمَّا يصفه الجاحدون الكافرون، من الكذب والافتراء وكل نقص (٥٩).

وصدق الله تعالى حين قال:**{لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ** الله **رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ}** [الأنبياء: ٢٢]، وصدق الشاعر حين قال:

فيا عجبا كيف يعصى الإله ::: أم كيف يجحده الجاحد

ولله في كل تحريكة وفي ::: كل تسكينة أبداً شاهد

وفي كل شيء له آية ::: تدل على أنه الواحد

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس الثاني:
دعوة للتفكر في عجائب البحار

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة السفينة التى لا تقهر، يذكر أنه في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، صنع الإنجليز باخرة عظيمة، كانت كما يقولون فخر صناعاتهم، ثم انطلقت في رحلة ترفيهية حاملة على متنها علية القوم ونخبة المجتمع كما يصفون أنفسهم، وقد بلغ الفخر والاعتزاز ببناة السفينة درجة كبيرة من الصلف والغرور فسموها الباخرة التي لا تقهر، بل سمع أحد أفراد طاقمها يتشدق فخراً أمام بعض كبار ركابها بما ترجمته: حتى الله نفسه لا يستطيع أن يغرق هذا المركب، جل الله وتعالى وتقدس لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، يحيي ويميت، فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون، وفي اليوم الثالث من سيرها في المحيط الأطلسي وفي خضم كبرياء صُنَّاعها وركابها تصطدم بجبل جليدي عائم فيفتح فيها فجوة بطول تسعين متراً، وبعد ساعتين وربع تستقر الباخرة التي لا تقهر - كما زعموا - في قعر المحيط ومعها ألف وخمسمائة وأربع ركاب وحمولة بلغت ستة وأربعين ألف طن،**{فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(٤٠)}** [العنكبوت:٤٠].

تأمل معي أخي الكريم في الله البحر بأمواجه وأحيائه تجده آية من آيات الله وعجائب مصنوعاته، وكم لله من آية! ثم أضف إلى علمك أن الماء في الأرض يملأ ثلاثة أرباع سطح الأرض فما الأرض بجبالها ومدنها وسهولها وأوديتها بالنسبة إلى الماء إلا كجزيرة صغيرة في بحر عظيم يعلوها الماء من كل جانب وطبعها العلو ولولا إمساك الرب سبحانه وبحمده للبحر بقدرته ومشيئته لطفح على الأرض فأغرقها ودمرها وجعل عاليها

سافلها، فتبارك الله لا إله إلا هو رب العالمين، ثم تأمل معي أخرى عجائب البحر وما فيه من الحيوانات على اختلاف أجناسها وأشكالها ومنافعها ومضارها وألوانها تجد عجباً وقدرة قادر جل وعلا، قال الإمام ابن القيم في مفتاح السعادة : في البحار حيوانات كالجبال لا يقوم لها شيء، وفيه من الحيوانات ما يرى من ظهورها فيظن من عظمها أنها جزيرة فينزل عليها الركاب ويشعلون نارهم فتحس بالنار إذا أوقدت فتتحرك فَيُعْلَم أنه حيوان وما من صنف من أصناف حيوان البر إلا وفي البحر أمثاله بل فيه أجناس لا يعهد لها نظير أصلا، مع ما فيه أيضاً من اللآلئ والجواهر والمرجان فسبحان الخالق العظيم، ثم انظر إلى السفن وسيرها في البحر تشقه، بلا قائد يقودها ولا سائق يسوقها، وإنما قائدها وسائقها الريح التي سخرها الله لإجرائها، فإذا حبست عنها الريح ظلت راكدة على وجه الماء، فذاك قول الله تعالى**{وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ(٣٢) إن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ(٣٣)}** [الشورى:٣٢ - ٣٣]، نعم، سخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره، لا بأمر غيره سبحانه وبحمده، سخرها بأمره تجري ليست وفق رغبات النفوس الأمارة بالسوء، ولا رغبات الجشعين من الأفراد والهيئات التي استعملت أساطيلها منذ أقدم العصور إلى يومك هذا لقهر الإنسان ونهب خيراته واحتقار آدميته، فلك الحمد ربنا، ولك الأمر من قبل ومن بعد، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

أخي الحبيب، تأمل معي مرة أخرى كيف مد الله البحار، وخلطها، وجعل مع ذلك بينه حاجزاً ومكاناً محفوظاً، فلا تبغي محتويات بحرٍ على بحر، ولا خصائص بحرٍ على آخر عندما يلتقيان،**{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى}** [طه:٥٤]، في إيران أنهار عندما تلتقي بمياه البحر ترجع مياهها عائدة إلى مجاريها التي جاءت منها، ونهر الأمازون يجعل مياه المحيط الأطلسي عذبة لمئات الكيلو مترات من مصبه فيه فلا يختلط بمياه المحيط الأطلسي، وتلتقي مياه المحيط الأطلسي بمياه البحر الأبيض فتبقى مياه البحر الأبيض أسفل لثقلها ولكثرة ملحها وتعلو مياه المحيط لخفتها، وكذلك لا تختلط مياه البحر الأسود بمياه البحر الأبيض عندما تلتقي بل تشكل مجريين متلاصقين فوق

بعضهما البعض، فمياه الأسود تجري في الأعلى نحو مياه البحر الأبيض لأنها أخف، ومياه البحر الأبيض تجري في الأسفل لأنها أثقل فتجري نحو البحر الأسود، فتبارك الذي قال**{وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَّحْجُوراً(٥٣)}** [الفرقان:٥٣].

معاشر الإخوة، سأل رجل أحد السلف عن الله، قال له : ألم تركب البحر؟، قال: بلى، قال فهل حدث لك مرة أن هاجت بكم الريح عاصفة قال: نعم، قال وانقطع أملك من الملاحين ووسائل النجاة، قال: نعم، قال فهل خطر ببالك وانقدح في نفسك بأن هناك من يستطيع أن ينجيك إن شاء، قال: نعم، قال فذاك هو الله لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً الذي قال في كتابه**{هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ(٢٢) فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَينَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(٢٣)}** [يونس:٢٢ - ٢٣] (٥٩).

فالله سبحانه وتعالى هو الذي يسيِّركم أيها الناس في البر على الدواب وغيرها، وفي البحر في السُّفُن، حتى إذا كنتم فيها وجرت بريح طيبة، وفرح ركاب السفن بالريح الطيبة، جاءت هذه السفنَ ريحٌ شديدة، وجاء الركابَ الموجُ - وهو ما ارتفع من الماء - من كل مكان، وأيقنوا أن الهلاك قد أحاط بهم، أخلصوا الدعاء لله وحده، وتركوا ما كانوا يعبدون، وقالوا: لئن أنجيتنا من هذه الشدة التي نحن فيها لنكونن من الشاكرين لك على نِعَمك. فلما أنجاهم الله من الشدائد والأهوال إذا هم يعملون في الأرض بالفساد وبالمعاصي. يا أيها الناس إنما وَبالُ بغيكم راجع على أنفسكم، لكم متاع في الحياة الدنيا الزائلة، ثم إلينا مصيركم ومرجعكم، فنخبركم بجميع أعمالكم، ونحاسبكم عليها.

إخوتي في الله، عجائب البحر أعظم من أن يحصيها أحد إلا الله، كشف علماء البحار من النصف الثاني من القرن العشرين أن في البحار أمواجاً عاتية دهماء مظلمة حالكة، إذا أخرج المرء يده لم يكد يراها فعلى عمق

ستين متراً عن سطح البحر يصبح كل شيء مظلماً في البحار، بمعنى أننا لا نستطيع رؤية الأشياء في أعماق تبعد ستين متراً عن سطح البحر، ولذلك زود الله الأحياء البحرية التي تعيش في أعماق البحار اللجية بنور تولده لنفسها ومن لم يجعل الله له نوراً في تلك الظلمات فما له من نور، نسي هؤلاء المكتشفون أن الله ذكر تلك الظلمات في قوله قبل أن يخلقوا وآباؤهم وأجدادهم**{أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ(٤٠)}** [النور:٤٠] تُرْجِمَ معنى هذه الآية لعالم من علماء البحار أفنى عمره في ذلك، وظن أنه على شيء وأنه اكتشف شيئا، وجاء بشيء فيه إبداع، فقال في دهشة بعد ترجمة الآية: إن هذا ليس من عند محمد الذي عاش حياته في الصحراء، ولم يعاين البحر ولججه وظلماته وأمواجه وشعبه، إن هذا من عند عليم خبير ثم شهد شهادة الحق ودخل في دين الله، نعم لا يملك إلا ذلك، من وصف الظلمات في قعر البحار سوى الله العليم الباري، سبحانه ملكاً على العرش استوى وحوى جميع المُلْكِ والسلطان، لا إله إلا الله كيف تعمى العيون وتعمى القلوب عن آيات الله**{أَإِلَهٌ مَّعَ** الله **قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ}** [النمل:٦٢] (٥٩)، وصدق الشاعر حين قال:

فيا عجبا كيف يعصى الإله ::: أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكة وفي ::: كل تسكينة أبداً شاهد
وفي كل شيء له آية ::: تدل على أنه الواحد

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس الثالث:
دعوة للتفكر في هذا الكون العظيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع حقيقة علمية عظيمة يتحدث عنها القرآن الكريم قبل ألف وأربعمائة عام، يقول المهندس عبد الدائم الكحيل: منذ بداية القرن العشرين بدأ العلماء يلاحظون أن القشرة الأرضية مع الطبقة التي تليها، ليست قطعة واحدة، بل مقسَّمة إلى ألواح، وتفصل بين هذه الألواح شقوق تمتد لآلاف الكيلومترات. وبدأوا يرسمون الخرائط الخاصة بشبكة الشقوق أو الصدوع والتي توضح هذه الألواح.

ولكن الذي يثير العجب أنهم اكتشفوا صدعاً ضخماً، فقد اكتشف العلماء صدعاً يمتد لأكثر من ٤٠ ألف كيلو متر، وأسموه حلقة النار، هذه الحلقة موجودة في قاع المحيط الهادئ وتمتد على طول الساحل الغربي لأمريكا مروراً بآلاسكا ثم اليابان والفيلبين وأندونيسيا ثم جزر المحيط الهادي الجنوبية الغربية ثم نيوزيلندا، ووجدوا أن النشاط الزلزالي في هذه الحلقة ينتج عن اصطدام الألواح الأرضية بعضها بعض. ويؤكد العلماء أن ٩٠ بالمئة من براكين العالم وزلازل تتركز في هذه الحلقة (حسب وكالة الجيولوجيا الأمريكية).

والله تعالى يخبرنا بهذا الصدع منذ أربعة عشر قرنا من الزمان، قال الله تعالى:**{وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ}** [الطارق: ١٢ - ١٣]، هذه آية عظيمة حيث يُقسم الله تعالى بالأرض وبظاهرة جيولوجية عظيمة وهي (الصدع)، وهذا دليل واضح على أن كتاب الله ليس بكلام بشر وهو القرآن الكريم، بل هو قول فصل أنزله الذي يعلم أسرار السماوات الأرض.

أخي في الله، تأمل هذه الأرض بينما هي هادئة ساكنة وادعة؛ مهاد وفراش، قرار وذلول، خاشعة، إذا بها تهتز، تتحرك، تثور، تتفجر، تدمّر، تبتلع، تتصدع، زلازل، خَسْف، براكين، تجدها آية من آيات الله، وكم لله من

آية يخوف الله بها عباده لعلَّهم يرجعون!، وهي مع ذلك جزاء لمن حقَّ عليه القول. وهي أيضًا تذكير بأهوال الفزع الأكبر، يوم يُبعثون ويُحشرون، وعندها لا ينفع مال ولا بنون، يذكر صاحب علوم الأرض القرآنية أنه قبل حوالي خمسة قرون ضرب زلزال شمال الصين عشر ثوان فقط، هلك بسببه أربعمائة وثلاثون ألف شخص، وقبل ثلاثة قرون ضرب زلزال مدينة لشبونة في البرتغال لعدة ثوان، هلك فيه ستمائة ألف، وشعر الناس برعب وهَلَع وجزع إثر ارتجاج الأرض تحت أقدامهم على مساحة ملايين الأميال، فنعوذ بالله أن نُغْتَال من تحتنا.

فإلى أولي الألباب**{أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ(١٦)}** [الملك: ١٦]، انفجرت جزيرة كاراكات في المحيط الهندي قبل قرن، فسُمِع الانفجار إلى مسافة خمسة آلاف كيلو متر، وسجلته آلات الرصد في العالم، وتحولت معه في ثوان جزيرة حجمها عشرون كيلو مترًا مربعًا إلى قطع نثرها الانفجار على مساحة مليون كيلو متر مربع، وارتفعت أعمدة الدخان والرَّماد إلى خمسة وثلاثين كيلو متر في الفضاء، وأظلمت السماء على مساحة مئات الكيلو مترات حاجبة نور الشمس لمدة سنتين، وارتفعت أمواج البحر إلى علوّ ثلاثين مترًا، فأغرقت ستة وثلاثين ألف نسمة من سكان جاوا وسومطره**{وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ}** [المدثر:٣١]،**{قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ (٦٥)}** [الأنعام: ٦٥]،**{قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧)}** [عبس: ١٧]، يسمع ويرى آيات الله من زلازل وبراكين وأعاصير وأوبئة تحصد الآلاف في ثوانٍ فلا يتفكر ولا يتدبر ولا يُقدِّر الله حق قدره بل يُعيد ذلك أحياناً إلى الطبيعة في بلادة وبلاهة لا مثيل لها**{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ(٦٧)}** [الزمر: ٦٧]، لا يملك المسلم إزاء هذه البلاهة والبلادة إلا أن يقول بقول الله**{وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً(٤٩)}** [الكهف: ٤٩]،**{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ(٩٦)}** [الأعراف: ٩٦]،**{وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**

(٧٥) وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ(٧٦)} [المؤمنون: ٧٥ - ٧٦] (٥٩).

وهناك آيات كثيرة أودعها الله في هذه الأرض وسخرها لنا لنكتشفها ونزداد إيماناً ويقيناً بهذا الخالق العظيم، ولتكون وسيلة نرى من خلالها قدرة الله لنكون من الموقنين، يقول تبارك وتعالى في محكم الذكر:**{وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ}** [الذاريات: ٢٠ - ٢٣]، هذه آيات عظيمة يحدثنا فيها تبارك وتعالى عن آياته في هذه الأرض وفي الأنفس، فالأرض التي خلقها الله تعالى لنا هيأها بصورة مناسبة للحياة، فلو كانت الكرة الأرضية التي نعيش عليها وهي تبعد بحدود مئة وخمسين مليون كيلو متر عن الشمس، لو كانت أبعد بقليل من هذه المسافة عن الشمس لتجمدت الحياة على الأرض، ولو كانت أقرب أيضاً بقليل من الشمس لاحترقت المخلوقات على وجه الأرض.

فالله تبارك وتعالى جعل هذه الأرض في مدارها الصحيح والمناسب للحياة، والعلماء اليوم يقولون بالحرف الواحد: إن هذه الأرض وُضعت في المدار الصحيح، والقابل للحياة، ولولا ذلك لم تظهر الحياة على ظهرها أبداً.

ولو أن هذه الأرض كانت بطيئة في دورانها، ماذا حدث؟ نحن نعلم أن دوران الأرض حول نفسها في مواجهة الشمس يولد الليل والنهار، فلو كانت الأرض أبطأ مما عليه اليوم، لامتد الليل طويلاً، ربما لأشهر أو لسنوات وامتد النهار طويلاً أيضاً، ولكن الله تبارك وتعالى الذي جعل الليل لباساً والنهار معاشاً جعل مدة دوران الأرض حول نفسها هو بحدود ٢٤ ساعة، وهذه المدة مناسبة لتركيبة جسم الإنسان، فالإنسان لا يستطيع أن ينام أكثر من ٧ أو ٨ أو ٩ ساعات، ولذلك فإن الله تبارك وتعالى جعل الليل، وجعل النهار، مدتهما مناسبة لحجم وعمر وحركة هذا الإنسان، وهذه نعمة من نعم الله تبارك وتعالى الكثيرة والتي قال فيها:**{وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ الله لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ}** [إبراهيم: ٣٤]. فهذا هو حال الإنسان.. دائماً يظلم نفسه ويكفر بنعم الله تبارك وتعالى التي أنعمها عليه.

إخوتي في الله، إذا نظرنا إلى سطح القمر مثلاً، نلاحظ أنه مليء بالفوهات

البركانيـة، وبـالحفر التـي أحدثتها الـزلازل والنيـازك التـي ضـربته لبلايـين السنين، فإذا نظرنا إلى القمر نرى أنه غير مسطح وغير ممهد وغير صالح للحياة أصلاً، فلا يمكن إنشاء وإعمار الحياة على ظهر القمر، وأن الأرض هي الكوكب الوحيد الذي إذا وقفت على ظهره لا تشعر بأي انحناء أو أي خلل، بل تراه مسطحاً وممهداً ومفروشاً أمامك، لذلك قال تعالى: **{وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ}** [الذاريات: ٤٨]، وقول الله تعالى:**{أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ(١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠)}** [الغاشية:١٧ - ٢٠].

الإخوة الأعزاء، يقول الدكتور يحيى المحجرى في كتاب آيات قرآنية في مشكاة العلم أن أهم اكتشاف عام ١٩٢٩ هو اكتشاف هابل اكتشف أن كل المجرات في ابتعاد مستمر عن بعضها بسرعات هائلة قد تصل في بعض الأحيان إلى كسور من سرعة الضوء وكذلك بالنسبة لنا فكل المجرات التى نراها حولنا - ما عدا الأندروميدا وبعض المجرات الأخرى القريبة - في ابتعاد مستمر عنا، ولنا الآن أن نتساءل عن معنى هذا الاكتشاف، إذا كانت وحدات الكون كلها في ابتعاد مستمر عن بعضها فإن ذلك لا يعنى إلا شيئا واحدا وهو أن الكون في تمدد حجمي أو اتساع مستمر مصداقا لقول الله تعال:**{وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ}** [الذاريات: ٤٧]، وصدق الشاعر حين قال:

فيا عجبا كيف يعصى الإله ::: أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكة وفي ::: كل تسكينة أبداً شاهد
وفي كل شيء له آية ::: تدل على أنه الواحد

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس الرابع:
دعوة للتفكر في خلق الإنسان

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع التفكر في خلق هذا الكائن العظيم إنه الإنسان، فحينما يتأمل الإنسان على ما جاء في القرآن الكريم وهو الكتاب المنزل من الله تعالى على رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان، يجد الكثير من الآيات القرآنية التي تكلمت عن خلق الإنسان بل سيجد العجب العجاب، ويجد فعلاً عظمة الله تعالى في خلق هذا الإنسان، هذا المخلوق العجيب، من يتصور أيها الفضلاء! أننا نحن هذا الكائن الغريب؟! هذه الأجسام العظيمة، هذه العقول، هؤلاء البشر الذين يمشون على الأرض من يتصور أن أصل هؤلاء جميعاً هو من نطفة؟! بل من نطفة قذرة يتقذر الإنسان منها لو رآها على ثوبه، لو وقعت على ملابسه لتقزز الإنسان منها، ولقد جاء في القرآن الكريم أن الإنسان خلق من سلالة من ماء مهين قال تعالى:**{مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ}** [السجدة:٨].

بل حتى القرآن أحياناً يذكر هذه الحقيقة على استحياء:**{كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ}** [المعارج:٣٩].

وجاء أيضا قول الله تعالى:**{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مَنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٧)}** [الحج:٥ - ٧].

فالله سبحانه وتعالى يخاطب الناس كلهم فيقول لهم: يا أيها الناس إن كنتم في شك من أن الله يُحيي الموتى فإنَّا خلقنا أباكم آدم من تراب، ثم تناسلت ذريته من نطفة، وهي المنيُّ يقذفه الرجل في رحم المرأة، فيتحول بقدرة الله إلى علقة، وهي الدم الأحمر الغليظ، ثم إلى مضغة، وهي قطعة لحم صغيرة قَدْر ما يُمْضَغ، فتكون تارة مخلَّقة، أي تامة الخلق تنتهي إلى خروج الجنين حيًا، وغير تامة الخلق تارة أخرى، فتسقط لغير تمام؛ لنبيِّن لكم تمام قدرتنا بتصريف أطوار الخلق، ونبقي في الأرحام ما نشاء، وهو المخلَّق إلى وقت ولادته، وتكتمل الأطوار بولادة الأجنَّة أطفالا صغارًا تكبَرُ حتى تبلغ الأشد، وهو وقت الشباب والقوة واكتمال العقل، وبعض الأطفال قد يموت قبل ذلك، وبعضهم يكبَرُ حتى يبلغ سن الهرم وضَعْف العقل؛ فلا يعلم هذا المعمَّر شيئًا مما كان يعلمه قبل ذلك. وترى الأرض يابسةً ميتة لا نبات فيها، فإذا أنزلنا عليها الماء تحركت بالنبات تتفتح عنه، وارتفعت وزادت لارتوائها، وأنبتت من كل نوع من أنواع النبات الحسن الذي يَسُرُّ الناظرين. ذلك المذكور مما تقدَّم من آيات قدرة الله تعالى، فيه دلالة قاطعة على أن الله سبحانه وتعالى هو الرب المعبود بحق، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، وهو يُحيي الموتى، وهو قادر على كل شيء. وأن ساعة البعث آتية، لا شك في ذلك، وأن الله يبعث الموتى مِن قبورهم لحسابهم وجزائهم.

إخوتي في الله، من يصدق أن هذه النقطة الصغيرة المتعلقة بجدار الرحم تكمن فيها جميع خصائص هذا الإنسان المقبل من صفاته الجسدية وسماته من طول وقصر وضخامة وضآلة، وقبح ووسامة، وآفة وصحة، كما تكمن فيها صفاته العصبية والعقلية والنفسية، وأن هذه النقطة الصغيرة الضئيلة في هذا الإنسان المعقد المركب الذي يختلف كل فرد من جنسه عن الآخر فلا يتماثل اثنان في هذه الأرض على الإطلاق، وهذه من أعجب الأشياء، هذه النقطة الصغيرة كل البشر لا يمكن أن يأتي اثنان متشابهان في كل الأشياء، مستحيل.

قد يتشابه اثنان مثلاً في لون الوجه، في لون العينين، في بعض الملامح البارزة لكن لا يمكن أن يتفق على وجه الأرض منذ فجر الخليقة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لا يمكن أن ترى اثنين يتشابهان في كل

الأمور، وفي كل الصفات.

أخي الحبيب، إن حكمة الخلق لا يمكن أن يتعرف عليها الإنسان بذاته، فلابد أن يتعلم هذه الحكمة من الذي خلقه، وأنت أيها الإنسان لم تخلق نفسك، قال الله تعالى في القرآن:{**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ (٣٦)**} [الطور:٣٥ - ٣٦]
إن خالق الإنسان وخالق الكون هو الله الذي لا إله إلا هو الذي قال:{**اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**} [الزمر:٦٢ - ٦٣].

والمحال الأعظم أن يخلق الله عز وجل هذا الكون وهذه العوالم، سماوات وأرض، وبحار، ونجوم، وجبال وشجر، ودوابٌ وأنعام، وليلٌ ونهار عبثاً، محال أن يخلقها الله عبثاً.

يقول الله عز وجل:{**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**} [المؤمنون: - ١١٥ - ١١٦].

إن الله عز وجل ما خلقك عبثاً، بل خلقك لحكمة، هذه الحكمة
تعرفها من قول الله عز وجل:{**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**}
[الذاريات:٥٦] هذه حكمة خلقك، وهذا سبب وجودك: أن تعمر هذه الحياة
بعبادة الله:{**مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨)**} [الذاريات:٥٨].

الرزق مكفول، والعمر محدود، والإمكانات موفرة، والمنهج واضح، والطريق مستقيم، وأنت مأمورٌ أن تسير على هذا المنهج، وأن تواصل السير على هذا الطريق المستقيم، وألا تلتف أو تنحرف؛ فإنك إن انحرفت عن هدي الله وعن طريق الله، كان المصير دماراً وعذاباً في الدنيا، ودماراً وبواراً في النار، قال تعالى:{**إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً (٣) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلا وَأَغْلالاً وَسَعِيراً (٤) إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً (٥)**} [الإنسان:٢ - ٥].

فيخاطب الله سبحانه وتعالى البشرية قائلا: إنا خلقنا الإنسان من نطفة مختلطة من ماء الرجل وماء المرأة، نختبره بالتكاليف الشرعية فيما بعد، فجعلناه من أجل ذلك ذا سمع وذا بصر؛ ليسمع الآيات، ويرى الدلائل، إنا بيَّنا له وعرَّفناه طريق الهدى والضلال والخير والشر؛ ليكون إما مؤمنًا شاكرًا، وإما كفورًا جاحدًا. إنا أعتدنا للكافرين قيودًا من حديد تُشَدُّ بها أرجلهم، وأغلالا تُغلُّ بها أيديهم إلى أعناقهم، ونارًا يُحرقون بها. إن أهل الطاعة والإخلاص الذين يؤدون حق الله، يشربون يوم القيامة مِن كأس فيها خمر ممزوجة بأحسن أنواع الطيب، وهو ماء الكافور.

تعلموا هذه الحقيقة من الله، أنكم ما خلقتم عبثاً؛ لأن العبث محال على الله، بل العبث غير لائق بك أيها الإنسان! لو بنيت جداراً في بيتك، أو صممت عملاً في محيط اختصاصك، ثم سألك أحد الناس، وقال لك: لمَ هذا؟ فقلت: عبثاً، أليس نقصاً في رجولتك؟ أليس قدحاً في عقليتك أن تعمل شيئاً عبثاً بدون حكمة؟ نعم، قال تعالى:**{وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً}** [طه:١٢٤] أي ومن تولَّى عن ذكري الذي أذكِّره به فإن له في الحياة الأولى معيشة ضيِّقة شاقة - وإن ظهر أنه من أهل الفضل واليسار -، ويُضيَّق قبره عليه ويعذَّب فيه، ونحشره يوم القيامة أعمى عن الرؤية وعن الحجة، والله ولو امتطى أحدث الموديلات، ولو امتلك ملايين الدولارات، ولو نكح أجمل الزوجات، ولو سكن أرفع العمارات، ولو احتل أحلى وأعلى الرتب والمناصب، وقلبه بعيدٌ عن الله، فإن هذه كلها لا تزيده إلا عذاباً (٦٦)، وصدق الشاعر حين قال:

فيا عجبا كيف يعصى الإله ::: أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكة وفي ::: كل تسكينة أبداً شاهد
وفي كل شيء له آية ::: تدل على أنه الواحد

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس الخامس:
دعوة للتفكر في النفس البشرية

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع ماجاء في كتاب سنريهم آياتنا في أن امرأة حملت مكرهة، وحاولت إسقاط الجنين، ولم تستطع؛ إذ قد ثبته الله، فجعله في قرار مكين؛ فأنَّى لأحدٍ أن يسقطه؟. ولدت بعد ذلك، وكان المولود أنثى، ولما وُلدت رفضت أن تتناول ثدي أمها، وأصرَّت أيامًا على هذا، ولكنها مع ذلك قبلت أن ترضع من مرضعة أخرى غير أمها، عندها أغمضت عيناها، وأعيدت إلى أمها معصوبة العينين، فرفضت ثديها مرة أخري وهي لم تره، فأجرى الطبيب حوارًا مع أمها، تبين أن الأم لم تكن راغبة في الحمل، فحملت على كُرْه، وحاولت الاعتداء عليه بإسقاطه، فانعكس ذلك على الجنين بعد ولادته، فسبحان الله رب العالمين! إنها أحاسيس ومشاعر وأفعال أمه، تنعكس عليه فحسب، وإلا فهو لا يعلم شيئًا بنص قول الله تعالى:**{وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}** [النحل: ٧٨].

أي لا تعلمون شيئًا من أمور الدنيا، ولا تعلمون شيئًا مما قضى به عليكم من السعادة والشقاوة، ولا تعلمون مصالحكم ومنافعكم؛ فهم يخرجون من بطون أمهاتهم لا يعلمون، وبعد خروجهم يرزقهم الله السَّمع؛ فالأصوات يدركون، ويرزقهم البصر؛ فالمرئيات يعرفون ويحسون، ويرزقهم الأفئدة؛ فبها يميِّزون، وتحصل هذه الحواس بأمر الله تدريجيًا، كلما كبر زِيدَ في سمعه وبصره حتى يبلغ أشده ليتمكن بها من عبادة ربه وطاعة مولاه جل وعلا.

إنها دعوة لمن يتفكرون، ويتدبرون فينتفعون، فلا عند حدود النظر المشهود يقفون، بل إلى قدرة الله عز وجل في خلقه ينظرون، ولسان حالهم ومقالهم:**{وَهُوَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}** [القصص: ٧٠]، والمقصد**{لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ}** [الفتح:

٤].

تأمل أخي في الله مدى معرفة الناس بالجنين قبل حوالي ثلاثين عامًا، لقد كان كائنًا حيًا لا يُعْلَم عنه إلا حركاته التي يصدرها داخل بطن أمه، ومع تطور وسائل الملاحظة والمشاهدة، ووصولها إلى بطن الجسم الإنساني - وكل ذلك بإذن الله - كالتصوير والتسجيل الضوئي والصوتي، علم أن للجنين نفسية لا ينفصل فيها عن أمه تمامًا، فتراه في حالات انكماش واكتئاب مرة، وحالات انشراح وانبساط أخرى، بل يبدي الانزعاج لبعض مخالفات أمه؛ كالتدخين مثلاً، عافانا الله وإياكم والمسلمين عمومًا.

يطلب طبيب مجرب من أم حامل في شهرها السادس كانت تعتاد التدخين أن تمتنع عنه لمدة أربع وعشرين ساعة، وهو يتابع الجنين بأجهزة التصوير الضوئي، فإذا به ساكن هادئ، وبينما هو كذلك، إذ قدم لها الطبيب لفافة؛ لفافة سيجارة عافانا الله وإياكم وما أن وضعتها بين أصابعها، وتمَّ إشعالها إلا وأشار المقياس إلى اضطراب الجنين تبعًا لاضطراب قلب أمه. فسبحان من جعله في وسط ظلمات ثلاث، يتأذى مما تتأذى منه أمه تبعًا، وإن لم تشعر أمه بذلك. أيضًا رأوا أنه حين ترغب الأم في الحمل، ثم تحمل، تجدها ترسل إليه بإذن الله موجاتٍ من العواطف المكثَّفة، وتغمره بفيض زاخر من الرضا والحنان، فيبادلها الشعور مبتهجًا، وكأنه يشكرها على حسن لقائها ورعايتها. ويعبر عن امتنانه لها بحركات لطيفة ساحرة، لا حد لعذوبتها على قلب أمه، فسبحان الله، وتبارك الله أحسن الخالقين! وحين لا ترغب الأم في الحمل، ثم تحمل مكرهة، تقطع الصِّلة العاطفية مع الجنين، فتراه يحيا منكمشًا، ثم يبدأ يتَّجه نحو المشاكسة، ويعبر عن ذلك بركلات من قدميْه تعبر عن احتجاجه واستنكاره، ولربما يصبح إسقاطا فيما بعد، وإن لم يسقط فإنه يبدو مهيأ للعناد، والرفض، والعدوان بعد ولادته، ويظهر ذلك في أول أيام ولادته.

طالعت بعض الأمهات هذه الحقائق فَكُنَّ يَبْحثْن عمَّا يريح أحاسيسهنَّ ومشاعرهنَّ أثناء الحمل لينعكس على أبنائهن، ينشدن ويسمعن آيات من كتاب الله، ولذا جاء في كتاب سنريهم آياتنا: أن سيدة حامل في دمشق كانت تكثر من قراءة القرآن وسماعه قائمة وعاملة ومضطجعة، والنتيجة أنه

عندما وُلِد الجنين تمكن بفضل الله أن يختم القرآن؛ حفظًا وتلاوة في الخامسة من عمره، فتبارك الله أحسن الخالقين! موجز القول: أن الجنين الذي يحيا في رباط مع أمه، سعيدا من العواطف المصحوبة بالرضا والسكينة، يستجيب بإذن ربه بعد ولادته، معترفًا بإحسان أمه إليه لسان حاله:{**هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ**} [الرحمن: ٦٠] (٨٥).

أخي الحبيب، النوم، ما النوم؟ هل تأملته يومًا من الأيام؟ أنت تعرفه وتمارسه كل يوم، بل إن ثلث عمرك يذهب فيه، ضرورة لا غنى عنها، بل إن حياتك مؤلفة من قسمين اثنين لا ثالث لهما، من يقظة تبتغي فيها فضل الله، وِفْقَ شرع الله، ونوم تبتغي فيه الراحة لتعاود العمل في طاعة الله، الليل لِبَاس، والنهار مَعَاش، قال تعالى في القرآن{**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ**} [يونس:٦٧]، النوم آية، بل إنه وفاة وموت؛ بنص قول الله تعالى:{**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**} [الزمر:٤٢]، وَقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{**إِنَّ الله** عز وجل **لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ**}(١)، وقال تعالى:{**لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ**} [البقرة: ٢٥٥].

هل تأملت أخي الحبيب ما يجري لإنسان حين ينام وينسلخ من وعيه فيرفع عنه القلم كيف يتسرب إليه النوم، ثم يستولي عليه؟ كيف يأتيه، أو كيف يأتي هو إلى النوم؟، في النوم تتعطل وظائف الحس إجمالا، يتوقف البصر أولا بإغماض الجفون حتى لو لم تغمض العينان، كما هي عند بعض الناس، فتبقى الجفون مفتوحة، لكن الرؤية مفقودة، كذلك الموت، والنوم موتة صغرى، والحاسة التي تبقى تعمل خلال النوم هي السمع، وقد حدَّد العلماء والباحثون استمرار السمع خلال النوم بمقدار الثلثين على تفاوت بين الناس في السمع، فما أجمل الإعجاز في كتاب الله يوم يقول:{**فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً**} [الكهف:١١]، فجمع بين النوم والسمع في سياق واحد، أما الدِّماغ أثناء النوم فلا ينام بالمعني المفهوم، لكنه يتغير فبعد أن

---

(١) (**صحيح**) أخرجه (م) ٢٩٣.

كان يبث موجات عالية يبث موجات أقل ترددًا، ولذا رُفِعَ القلمُ عن النائم حتى يستيقظ؛ لأن العقل مناط التكليف كما هو معلوم.

أخي في الله، هل تأملت نائمَيْن متجاوِرَيْن، ودار بِخَلَدِك أنَّ أحدهما ربما ينعم بالرؤى الصالحة بودِّه ألا يستيقظ الدهر كله مما يجد من لذة، والآخر يجاوره في شقاء يُعذَّب بالأحلام الشيطانية المزعجة، بودِّه لو لم يَنَم، ثم ساءلت نفسك، هل يعلم هذا عن مجاوره، أو ذاك عن هذا؟ أو أنت تعلم ما يدور بذهنهما، ألم يَدُر بخلدك وأنت تستعرض هذا في ذهنك أن تنتقل من هذه الصورة مباشرة إلى المقابر، فتتخيل الموتى صفوفا بجانب بعضهم، هذا يُنعَّم، وذاك يُعذَّب**{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧)}** [ق:٣٧] (٥٩).

يقول صاحب كتاب النوم والأرق : أن شخصًا نهض من فراشه نائمًا، وخرج من النافذة، ومشى على سور العمارة من الخارج، وتجمع الناس في الشارع يحبسون أنفاسهم خشية وقوعه، وظل يمشي على السور مغمض العينين حتى دار حول العمارة، ثم عاد إلى النافذة ودخل منها ليعود إلى سريره، فيواصل نومه، ولما استيقظ لم يذكر شيئًا مما حدث له، لقد كان يتحرك وهو نائم بل يمشي على ارتفاعات شاهقة مُغمَض العينين لو كان في صحوة ما استطاع ذلك من الذي قاد خطاه؟!

إن في هذا لدلالة قاطعة على وحدانية الله تعالى**{أَإِلَهٌ مَّعَ** الله **قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ}** [النمل:٦٢]، (٥٩)، وصدق الشاعر إذ قال:

فيا عجبا كيف يعصى الإله ::: أم كيف يجحده الجاحد

ولله في كل تحريكة وفي ::: كل تسكينة أبداً شاهد

وفي كل شيء له آية ::: تدل على أنه الواحد

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس السادس:
دعوة للتفكر في عالم النحل

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع ما جاء في دفاع النحل عن مملكته، يُذْكَر أن ألد أعداء النحل هو الفأر، يهاجم الخلية فيأكل العسل ويلوث أجواء الخلية، فماذا تفعل تلك النحلة الصغيرة أمام هذا الفأر الذي هو لها كجبل عظيم، إنها تطلق عليه مجموعة من العاملات فتلدغه حتى يموت، كيف تخرجه، إن بقي أفسد العسل، ولوث أجواء الخلية، ولو اجتمع نحل الدنيا كله لإخراجه ما استطاع، فماذا يفعل، جعل الله عز وجل للنحل مادة شمعية يفرزها ويغلف بها ذلك الفأر فلا ينتن ولا يتغير ولو بقي ألف عام، حتى يأتي صاحب الخلية فيخرجه، فسبحان من قدَّر فهدى وخلق فسوى**{أَإِلَهٌ مَّعَ** الله **قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ}** [النمل:٦٢].

فالنحل مأمور بالأكل من كل الثمرات خلافاً لكثير من الحشرات التي تعيش على نوع معين من الغذاء، وتعجب أنها لا تأكل من التبغ فلا تأكل إلا الطيبات فهل يعتبر بذلك أهل الغفلات، زودها الله بقرني استشعار وجعل فيهما شعيرات عصبية دقيقة يصل عددها إلى ثلاثين ألفاً تشكل حاسة الشم والسمع واللمس، وتعمل كالكشاف في ظلام الخلية، فسبحان من وهبها ذاك وبه زودها.

للنحلة عيون كثيرة، في حافتي الرأس عينان، وعينان أخريان في أعلى الرأس وتحتهما عين ثالثة، مما جعل لها سعة أفق في النظر، فالنحلة ترى أقصى اليمين وأقصى الشمال والبعيد والقريب في وقت واحد، علماً بأن عيونها لا تتحرك، ولذا فالنحل قد يعيش في أماكن يكون فيها السحاب معظم شهور السنة مع أن رؤية الشمس كما هو معلوم ضرورية لمعرفة مكان الحقول التي فيها غذاء النحل، وهنا تكمن الحكمة في قوة رؤية النحل، فبإمكانها رؤية الشمس من خلال السحب، كل ذلك لئلا يموت جوعاً في حالة اختفاء الشمس خلف الغمام، كما هو في بعض البلدان، إنها لحقيقة

مذهلة، تدل على حكمة الله، وقدرة الله، ووحدانية الله، وكمال تدبيره فتبارك الله أحسن الخالقين.

أما فم النحلة فمن أعاجيب خلق الله في خلقه، إذ هو مزود بما يُمَكِّنَه من أداء جميع الوظائف الحيوية فهو يقضم ويلحس، ويمضغ ويمتص، وهو مع هذا شديد الحساسية لما هو حلو الطعم طبيعياً، ولا يتحرج من المواد المرة، إذ يحولها إلى حلوة بإذن ربه الذي ألهمه فسبحان من قال:**{وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}**.

أما سمع النحل فدقيق جداً، يتأثر بأصوات وذبذبات لا تستطيع أن تنقلها أذن الإنسان، فسبحان من زوده بها، وتحمل مع ذلك النحلة ضعفي وزنها، وبسرعة أربعمائة خفقة جناح في الثانية الواحدة، وهناك من النحل مرشدات، عندما تجد مصدراً للغذاء تفرز عليه مادة ترشد إليه بقية أخواتها للرحيق، وعندما ينضب وينتهي الرحيق تفرز عليه المرشدات مواد منفرة منه، حتى لا يضيع الوقت في البحث فيه، ثم تنتقل إلى مصدر آخر، من علمها وأرشدها؟ إنه الله القائل:**{وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ}** [هود:٦]، والقائل**{مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}** [هود:٥٦].

وتستطيع العاملة خارج الخلية الرجوع إلى خليتها والتعرف عليها من بين عشرات الخلايا، بلا عناء ولا تعب، ولو ابتعدت عنها آلاف الأميال، ولذا يقول أحد علماء الأحياء الكفار، وقد رَصد النحل بمناظيره فترة طويلة، يقول: يا عجباً لها تنطلق آلاف الأميال من شجرة إلى ثمرة إلى زهرة، ثم تعود ولا تخطئ طريقها، ربما أن لها ذبذبات مع الخلية، أو أنها تحمل لاسلكياً يربطها بالخلية، ربما! ربما! ثم يقف حائراً بليداً تائهاً، أما نحن فإنا نوقن أن الله ألهمها ذلك وأوحى إليها وعندنا سورة في كتاب الله تسمى سورة النحل قال تعالى:**{وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(٦٩)}** [النحل:٦٨ - ٦٩] (٥٩).

أما عن حُرَّاس خلية النحل الذين يتفقدون كلَّ من يدخل الخلية فالنحل من

ألطف الحيوان وأنقاه وأنظفه، ولذلك لا تلقي مُخَلَّفاتها في خليتها، بل تطير ثم تلقيها بعيداً عنها، وتأبى النتن والروائح الكريهة، تأبى القذارة، ولذلك إذا رجع النحل إلى الخلية بالعشية، فإن حراساً للخلية يستطيعون أن يميزوا كل غريب ودخيل عليهم من النحل، فيطرحوه خارجاً أو يقتلوه، علماً أن تعداد الخلية يصل إلى ثمانين ألف نحلة أو أكثر حيث يقف على باب الخلية بَوَّاب منها، ومعه أعوان كُثُر، وكل نحلة تريد الدخول يشمها البواب ويتفقدها فإن وجد فيها رائحة منكرة، أو رأى بها قَذَراً منعها من الدخول وعزلها إلى أن يدخل النحل كله، ثم يرجع إلى الممنوعات المعزولات فيتبين ويتثبت، ويتفقدها مرة أخرى، فمن وجدها وقعت على شيء نجس أو منتن، قدها وقطعها نصفين ومن كانت جنايتها خفيفة، بها رائحة وليس عليها قَذَر، تركها خارج الخلية حتى يزول ما بها ثم يسمح لها بالدخول، وهذا دأب وطريقة البواب كل يوم في كل عشية، فسبحان من ألهمه، سبحان من ألهمه معرفة صاحبه من غيره،{**سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ(١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ(١٨١) وَالْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٨٢)**} [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢].

هل تأملت أخي الحبيب النحل وأحواله وأعماله وما فيها من العبر والآيات الباهرات؟ ألم تر أقراص شمعها السداسية في دقتها الحسابية وإتقان بنائها وإحكام صنعها، الذي أدهش وما زال يدهش علماء النحل والحساب، ماهي آلات الحساب والمقاييس التي سمحت لهذا المخلوق بالوصول إلى هذا العمل الهندسي الدقيق، هل هذا بواسطة قرنين استشعار والفكين الذين يدعي علماء الأحياء أن الطبيعة زودتها بهما، سبحان الله، وتبارك الله، عجيب وغريب منطق هؤلاء يَتَستَّرون وراء كلمات جوفاء كالطبيعة والتطور والصُّدفة، كلما وقفوا أمام بديع صنع الله وإعجازه في الخلق، فأنى يؤفكون وسبحان من قال:{**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**} [النمل: ١٤].

الكل في النحل يعمل في الخلية لأجل الكل، لا حياة لفرد عند النحل بدون جماعة، ولذلك أذهل ذلك علماء النحل{**صُنْعَ** الله **الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**} [النمل: ٨٨].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى يأكل النحل من على رؤوس الأشجار والأزهار، فتجني أطيب ما فيها ثم تعود إلى بيوتها بطاناً، فتصب فيها شراباً مختلفاً ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية، ومن عجيب أمر ملكها أنه إذا لحقه أذى من صاحب الخلية غضب وغضبه يعرفه أصحاب النحل، ثم يخرج من الخلية، فيتبعه جميع النحل حتى تبقى الخلية خالية، يذهب حتى يحط رحاله على رؤوس الشجر المرتفع، ويجتمع عليه النحل كله حتى يصير كالعنقود، عندها يضطر صاحب الخلية إلى الاحتيال عليه لاسترجاعه وطلب مرضاته، فيأخذ عصاً طويلة ويضع عليها حزمة من نبات طيب الرائحة، ويدنيه من هذا الكبير لها، من ملكها على الشجرة فلا يزال يحركه ويستجديه ويستعطفه إلى أن يرضى، فينزل على حزمة النبات الطيب الرائحة، فيحمله صاحب الخلية إلى الخلية، فينزل ويدخُلُها مع جنوده، ثم يتبعه جميع النحل عائداً إلى الخلية.. وينطلق النحل إلى البساتين، فتأخذ تلك الأجزاء الصافية من على ورق الزهر والورد، فتمصه لتكون مادة العسل، ثم تكبس الأجزاء المنعقدة على وجه الورقة وتعقدها على رجلها ثم تذهب لتملأ بها المسدسات الفارغة، ثم يقوم يعسوبها - أي ملكها - على بيته فينفخ فيه، ثم يطوف على تلك البيوت بيتاً بيتاً وينفخ فيها - أي البيض - كلها فتدب فيها الحياة بعد حين بأمر مَنْ؟! إنه بأمر الله تعالى فتخرج نحلاً صغاراً، فسبحان القائل{**الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى(٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى(٣)**} (٥٩)، وصدق الشاعر حين قال:

فيا عجبا كيف يعصى الإله ::: أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكة وفي ::: كل تسكينة أبداً شاهد
وفي كل شيء له آية ::: تدل على أنه الواحد

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس السابع:
دعوة للتفكر في عجائب الحيوان

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع ما شاهده أحد العلماء في إحدى الغابات قطعة من الأرض قد نما فيها أرز قصير من نوع بري مساحة القطعة خمسة أقدام في ثلاثة، ويتراءى للناظر إلى هذه البقعة من الأرض أن أحداً لا بد أن يعتني بها، الطينة مشققة، والأعشاب مستأصلة والغريب أنه ليس هناك مناطق أرز حول ذلك المكان، ولاحظ ذلك العالم أن طوائفَ من النمل تأتي إلى هذه المزرعة الصغيرة وتذهب، فانبطح على الأرض ذات يوم ليراقب ماذا يصنع النمل، فإذا به يفاجأ أن النمل هو صاحب المزرعة، وإنه اتخذ الزراعة مهنة تشغل كل وقته فبعضه يشق الأرض ويحرث، والبعض يزيل الأعشاب الضارة وينظف، وطال الأرز واستوى ونضج، وبدأ موسم الحصاد، وهذا لا زال بمناظيره يراقب، شاهد صفاً من النمل وهو في وقت الحصاد وهو متسلقاً شجر الأرز، إلى أن يصل إلى الحبوب فتنزع كل نملة حبة من تلك الحبوب، ثم تهبط سريعاً إلى الأرض، ثم تذهب بها إلى مخازن تحت الأرض لتخزنها ثم تعود، وطائفة أخرى أعجب من ذلك تتسلق مجموعة كبيرة منها أعواد الأرز، فتلقط الحب وتلقي به فبينما هي كذلك، إذ بمجموعة أخرى تحتها تتلقى هذا الحب وتذهب به إلى المخازن.

ويعيش النمل هناك عيشة مدنية في بيوت بل في شقق وأدوار أجزاء منها تحت الأرض وأجزاء أخرى فوقها، له حراس وخدم وعبيد وهناك ممرضات تعنى بالمرضى ليلاً ونهاراً، وقسم آخر يرفع جثث الموتى ويشيعها ليدفنها، كل هذا يتم بغريزة أودعها الله في هذا القلب، فتبارك الله**{وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم}** [الأنعام: ٣٨].

تأمل أخي الحبيب تلك النملة الضعيفة، وما أُعطيت من فطنة وحيلة في جمع القوت وادخاره، وحفظه ودفع الآفة عنه، ترى عبراً وآيات باهرات تنطق بقدرة رب الأرض والسماوات وتقول:{**أَإِلَهٌ مَّعَ** الله **قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ**} [النمل: ٦٢]، انظر إليها تخرج من أسرابها طالبة أقواتها، فإذا ظفرت بها شرعت في نقلها على فرقتين اثنتين، فرقة تحملها إلى بيوتها ذاهبة، وأخرى خارجة من بيوتها إلى القوت، لا تخالط فرقة أخرى كخيطين أو جماعتين من الناس، الذاهبون في طريق والراجعون في أخرى في تناسق عجيب، ثم إذا ثقل عليها حمل شيء، استغاثت بأخواتها فتعاونت معها على حملها، ثم خلوا بينها وبينه، وبلا أجرة، تنقل الحب إلى مساكنها ثم تكسره اثنتين أو أربعة، لئلا ينبت إذا أصابه بلل، وإذا خافت عليه العفن، أخرجته إلى الشمس حتى يجف، ثم ترده إلى بيوتها، ولعلك قد مررت يوماً عليها، وعلى أبواب مساكنها حب مكسر، ثم تعود من قريب فلا ترى منه حبة واحدة.

عالم النمل عالم عجيب، من تأمله ازداد إيماناً ويقيناً بأن وراء ذلك التنظيم المحكم حكيما خبيرا، بإفراد العبادة له جديراً لا شريك له.

إخوتي في الله، للنمل مدافن جماعية يدفن فيها موتاه كالإنسان، والنمل ذكي، جد ذكي، ويصطاد بطريقة ذكية، يأتي إلى شجرة فينقسم إلى قسمين، قسم يرابط تحت الشجرة قرب جذعها، وآخر يتسلق جذعها لمهاجمة الحشرات التي تكون عليها، وبذلك يحكم الطوق على كل حشرة لا تطير، فتسقط التي تنجو من النمل المتسلق فتقع في شباك النمل المتربص بها عند قاعدتها، من هداها؟، من هيأ لها رزقها؟ إنه القائل{**وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**} [هود: ٦]، (٥٩).

جاء في كتاب الثوابت العلمية في القرآن من بعض التصرفات الذكية الألمعية عند الحيوان، ما يلقي الضوء على معنى قول الله تعالى في كتابه العزيز:{**قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥٠)**} [طه: ٥٠]: يُذْكَرُ أن طبيباً وجد في طريقه كلباً كسرت إحدى قوائمه، فأخذه إلى عيادته واهتم بها وقومها وجبرها واعتنى به حتى شفي تماماً، ثم أطلق سراحه، وبعد ذلك بزمن سمع الطبيب قرعاً لطيفاً على باب عيادته فوجد الكلب نفسه مصطحباً معه كلباً آخر مكسور الرجل، جاء به إلى المعاينة والعلاج،

فسبحان الله ولا إله إلا الله، هذه عجائب طالما أخذت بها عيناك وانفتحت بها، والأعجب من ذلك قصة هرٍ اعتاد أن يجد طعامه اليومي أمام بيت أحد المهتمين به فيأكله وفي أحد الأيام لاحظ رب البيت أن الهر لم يعد يكتفي بالقليل مما كان يقدم له من قبل، أصبح يسرق غير ذلك فقام رب البيت يرصده ويراقبه فوجده يذهب بالطعام إلى هرٍ أعمى فيضع الطعام أمامه، فتبارك الله**{مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}** [هود: ٥٦].

ليس هذا فحسب بل هناك من القصص الواقعية عن عجائب الحيوان ما يشده العقول، ويذكر صاحب عجائب الأحياء أن فرساً صغيراً ماتت أمه عنه، فقام صاحبها الأعرابي واسمه الزعتري الذي يسكن مصر برعاية الفَرَسَ اليتيم رعاية بلغت حد التدليل، فكان يقدم له الشعير مخلوطاً بالسكر، وإذا مرض استدعى له الطبيب البيطري لفحصه إذا أصابه ما أصابه، ويمرض الأعرابي الزعتري فيفقد الفرس شهيته ويترك حظيرته ليرابط أمام خيمة صاحبه وظل كذلك أياماً ثم مات الزعتري وحمل المشيعون جنازته فسار الفرس خلفهم حزيناً منكس الرأس حتى دُفِنَ صاحبه العزيز عليه في التراب، ولما هم المشيعون بالرجوع انطلق الفرس المفجوع كالبرق وظل منطلقا حتى وصل إلى تلٍ عالٍ فصعده ثم ألقى بنفسه من قمته ليلقى حتفه وسط دهشة الجميع، فسبحان من رزقه تلك الأحاسيس والمشاعر ومن سلبها كثيراً ممن كرمه الله من بني آدم.

أخي في الله، تعال بنا ننتقل إلا عالم الفئران فمن عجيب أمر الفأر ما ذكره صاحب العقيدة في الله أنها إذا شربت من الزيت الذي في أعلى الجرة ينقص ويصعب عليها الوصول إليه في أسفل الجرة فتذهب وتحمل في أفواهها الماء ثم تصبه في الجرة حتى يرتفع الزيت ويقترب منها ثم تشربه، من علمها ذلك، إنه الله أحق مَن عُبِدَ وصُلِّيَ لَهُ وسُجِد، سبحان من يجري الأمور بحكمة في الخلق بالأرزاق والحرمان.

من علم الذئب إذا نام أن يناوب بين عينيه فينام بإحداهما حتى إذا نعست الأخرى نام وفتح بها الثانية.

من علم الطاووس أن يلقي ريشه في الخريف إذا ألقى الشجر ورقه، فإذا

اكتسى الشجر اكتسى أيضاً، بإذن من؟، بإذن من؟.

من علم العصفورة إذا سقط فرخها أن تستغيث؟ فلا يسمعها عصفور حولها حتى يجيء، فيطير الجميع حول الفرخ ويحركونه ويحدثون له هِمة وقوة وحركة حتى يطير معهم، ذالكم هو الله القائل**{وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم}** [الأنعام: ٣٨].

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم مِنْ سَفَرٍ حَتَّى إِذَا دَفَعْنَا إِلَى حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ بَنِي النَّجَّارِ، إِذَا فِيهِ جَمَلٌ لاَ يَدْخُلُ الْحَائِطَ أَحَدٌ إِلاَّ شَدَّ عَلَيْهِ، قَالَ: فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَجَاءَ حَتَّى أَتَى الْحَائِطَ، فَدَعَا الْبَعِيرَ فَجَاءَ وَاضِعًا مِشْفَرَهُ إِلَى الأَرْضِ حَتَّى بَرَكَ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم :**{هَاتُوا خِطَامًا}**، فَخَطَمَهُ وَدَفَعَهُ إِلَى صَاحِبِهِ، قَالَ: ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى النَّاسِ، قَالَ:**{إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا يَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُ** الله **إِلَّا عَاصِيَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ}** [(١)].

فسبحان من هدى هذه الكائنات للإيمان يوم ضل بعض بني الإنسان والجان، فالكون بكائناته جميعاً يسبح الله ويثني على الله، وسبحان القائل في عليائه**{تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً}** [الاسراء: ٤٤] (٥٩)، وصدق الشاعر حين قال:

فيا عجبا كيف يعصى الإله ::: أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكة وفي ::: كل تسكينة أبداً شاهد
وفي كل شيء له آية ::: تدل على أنه الواحد

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) **(صحيح)** أخرجه (حم) وصححه الألباني في س.ص ١٧١٨.

الدرس الثامن:
قصة خلق البشرية

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع ما جاء في القرآن الكريم في قصة البشرية حيث خلق الله جل وعلا آدم بيده الكريمة من طين، ونفخ فيه من روحه، قال تعالى:**{إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ}** [ص:٧١]، وقال تعالى:**{ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ}** [الإسراء: ٩].

وبيانًا لفضل آدم عليه السلام علَّمه الله أسماء الأشياء كلها، من الطيور، والدواب وغير ذلك، ثم عرض مسمياتها على الملائكة قائلا لهم: أخبروني بأسماء هؤلاء الموجودات، إن كنتم صادقين في أنكم أَوْلى بالاستخلاف في الأرض منهم، قالت الملائكة: ننزِّهك يا ربَّنا، ليس لنا علم إلا ما علَّمتنا إياه. إنك أنت وحدك العليم بشئون خلقك، الحكيم في تدبيرك. قال الله: يا آدم أخبرهم بأسماء هذه الأشياء التي عجَزوا عن معرفتها. فلما أخبرهم آدم بها، قال الله للملائكة: لقد أخبرتكم أني أعلم ما خفي عنكم في السماوات والأرض، وأعلم ما تظهرونه وما تخفونه. واذكر - أيها الرسول - للناس تكريم الله لآدم حين قال سبحانه للملائكة: اسجدوا لآدم إكرامًا له وإظهارًا لفضله، فأطاعوا جميعًا إلا إبليس امتنع عن السجود تكبرًا وحسدًا، فصار من الجاحدين بالله، العاصين لأمره.

وهذا مصداقا لقول الله تعالى:**{وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ(٣١) قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ(٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ(٣٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ(٣٤)}** [البقرة: ٣١ - ٣٤].

ثم خلق الله تعالى لآدم حواء من ضلعه ليأنس إليها وقال الله: يا آدم اسكن

أنت وزوجك حواء الجنة، وتمتعا بثمارها تمتعًا هنيئًا واسعًا في أي مكان تشاءان فيها، ولا تقربا هذه الشجرة حتى لا تقعا في المعصية، فتصيرا من المتجاوزين أمر الله. فأوقعهما الشيطان في الخطيئة: بأنْ وسوس لهما حتى أكلا من الشجرة، فتسبب في إخراجهما من الجنة ونعيمها. وقال الله لهم: اهبطوا إلى الأرض، يعادي بعضكم بعضًا - أي آدم وحواء والشيطان - ولكم في الأرض استقرار وإقامة، وانتفاع بما فيها إلى وقت انتهاء آجالكم.

وقال تعالى:{**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا**} [الأعراف: ١٨٩]، وقال تعالى:{**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ(٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ(٣٦)**} [البقرة: ٣٥ - ٣٦].

ولقد أقسم الشيطان لآدم وحواء بالله إنه ممن ينصح لهما في مشورته عليهما بالأكل من الشجرة، وهو كاذب في ذلك، قال تعالى:{**فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ**} [الأعراف:٢٠]، فأكل آدم وحواء من الشجرة التي نهاهما الله عنها، فانكشفت لهما عوراتهما، وكانت مستورةً عن أعينهما، فأخذا ينزعان من ورق أشجار الجنة ويلصقانه عليهما؛ ليسترا ما انكشف من عوراتهما، وخالف آدم أمر ربه، فغوى بالأكل من الشجرة التي نهاه الله عن الاقتراب منها.

قال تعالى:{**فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى**} [طه:١٢١].

ولقد قال الله لإبليس: ما الذي منعك من السجود لمن أكرمتُه فخلقتُه بيديَّ؟ أستكبرت على آدم، أم كنت من المتكبرين على ربك؟ وفي الآية إثبات صفة اليدين لله تبارك وتعالى، على الوجه اللائق به سبحانه.

قال إبليس معارضًا لربه: لم أسجد له؛ لأنني أفضل منه، حيث خلقتني من نارٍ، وخلقته من طين. - والنار خير من الطين –.

قال الله له: فاخرج من الجنة فإنك مرجوم بالقول، مدحور ملعون، وإن عليك طردي وإبعادي إلى يوم القيامة.

قال إبليس: ربِّ فأخِّر أجلي، ولا تهلكني إلى حين تَبعث الخلق من قبورهم.

قال الله له: فإنك من المؤخَّرين إلى يوم الوقت المعلوم، وهو يوم النفخة الأولى عندما تموت الخلائق.

قال إبليس: فبعزتك يا رب وعظمتك لأضلنَّ بني آدم أجمعين، إلا مَن أخلصتَه منهم لعبادتك، وعصمتَه من إضلالي، فلم تجعل لي عليهم سبيلا.

قال الله: فالحقُّ مني، ولا أقول إلا الحق، لأملان جهنم منك ومن ذريتك وممن تبعك من بني آدم أجمعين.

فأخرجه الله من الجنة، وأعطاه القدرة على الوسوسة والإغواء، وأمهله إلى يوم القيامة؛ ليزداد إثما، فتعظم عقوبته، ويتضاعف عذابه، وليجعله الله محكا يتميز به الخبيث من الطيب.

وهذا مصداقا لقول الله تعالى:**{قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ(٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ(٧٦) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ(٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ(٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ(٨٠) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ(٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ(٨٣) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ(٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ(٨٥)}** [ص: ٧٥ - ٨٥].

ولقد تلقى آدمُ بالقبول بقول كلماتٍ ألهمه الله إياها توبة واستغفارًا، وهي قوله تعالى:**{ربَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِن الخَاسِرِينَ}** فتاب الله عليه، وغفر له ذنبه إنه تعالى هو التواب لمن تاب مِن عباده، الرحيم بهم، قال الله لهم: اهبطوا من الجنة جميعًا، وسيأتيكم أنتم وذرياتكم المتعاقبة ما فيه هدايتكم إلى الحق. فمن عمل بها فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمر الآخرة ولا هم يحزنون على ما فاتهم من أمور الدنيا، والذين جحدوا وكذبوا بآياتنا المتلوة ودلائل توحيدنا، أولئك الذين يلازمون النار، هم فيها خالدون، لا يخرجون منها.

وهذا مصداقا لقول الله تعالى:{**فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ(٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(٣٩)**} [البقرة: ٣٧ - ٣٩].

ومنذ أن أهبط الله آدم وزوجته إلى الأرض والعداوة قائمة بين بني آدم من جهة، وبين إبليس وذريته من جهة، وإبليس وذريته في صراع دائم مع بني آدم؛ لصدهم عن الهدى، وحرمانهم من الخير، وتزيين الشر لهم وإبعادهم عما يرضي الله؛ حرصاً على شقائهم في الدنيا، ودخولهم النار في الآخرة.

قال تعالى:{**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**} [فاطر:٦].

ويخبر الله تعالى بأن الشيطان بعد أن قَضى الله الأمر ودخل أهلُ الجنة الجنةَ وأهلُ النارِ النارَ يقول: إن الله وعدكم وعدًا حقًا بالبعث والجزاء، ووعدتكم وعدًا باطلا أنه لا بَعْثَ ولا جزاء، فأخلفتكم وعدي، وما كان لي عليكم من قوة أقهركم بها على اتباعي، ولا كانت معي حجة، ولكن دعوتكم إلى الكفر والضلال فاتبعتموني، فلا تلوموني ولوموا أنفسكم، فالذنب ذنبكم، ما أنا بمنقذكم ولا أنتم بمنقذي من عذاب الله، إني تبرَّأت مِن جَعْلِكم لي شريكًا مع الله في طاعته في الدنيا، إن الظالمين في إعراضهم عن الحق واتباعهم الباطل لهم عذاب مؤلم أليم، وهذا مصداقا لقول الله تعالى:{**وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ الله وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**} [إبراهيم:٢٢].

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس التاسع:

بعثة الرسل والأنبياء للخلق وشهادة الناس لمحمد صلى الله عليه وسلم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع ما جاء من بعثة الأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم فالله تعالى لم يخلق خلقه سدى ولم يتركهم هملاً بل أرسل إليهم الرسل الذين يبينون لهم عبادة ربهم، وينيروا لهم دروب الحياة، ويوصلوهم إلى سعادة الدنيا والآخرة، قال تعالى:**{ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاء أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضاً وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْداً لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ(٤٤)}** [المؤمنون:٤٤].

والله تعالى يرسل الرسل مبشرين أهل طاعته بالنعيم المقيم في الجنة، ومنذرين لأهل المعاصي بالعذاب الأليم في النار، فمن آمن وعمل صالحًا فأولئك لا يخافون عند لقاء ربهم، ولا يحزنون على ما فاتهم من الدنيا.

قال تعالى:**{وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}** [الأنعام:٤٨].

وقال تعالى:**{مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً}** [الإسراء:١٥].

ولقد عاش آدم ومن بعده ذريته عشرة قرون وهم على طاعة الله، وتوحيده، ثم حصل الشرك، وعُبِد غير الله مع الله؛ فبعث الله أول رسله وهو نوح عليه السلام يدعو الناس إلى عبادة الله، ونبذ الشرك، وكل رسل الله تعالى اختلفوا فيا بينهم في الأزمنة والأمكنة والشرائع، واتفقوا في الأصل وهو الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله وحده، قال تعالى:**{وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}** [الأنبياء:٢٥].

إلى أن جاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام فدعا قومه إلى ترك عبادة الأصنام وإفراد الله بالعبادة، ثم كانت النبوة في ذريته من بعده في إسماعيل وإسحاق

ثم كانت في ذرية إسحاق. ومن أعظم الأنبياء من ذرية إسحاق يعقوب، ويوسف، وموسى وداود، وسليمان، وعيسى عليهم السلام ولم يكن بعد عيسى نبي من بني إسرائيل، وبعد ذلك انتقلت النبوة إلى فرع إسماعيل؛ فكان أن اصطفى الله عز وجل محمداً صلى الله عليه وسلم ليكون خاتماً للأنبياء والمرسلين، ولتكون رسالته هي الخاتمة، وكتابه الذي أنزل إليه وهو القرآن هو رسالة الله الأخيرة للبشرية، ولهذا جاءت رسالته شاملة، كاملة، عامة للإنس والجن، العرب وغير العرب صالحة لكل زمان ومكان، قال تعالى:**{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}** [سبأ: ٢٨]. ولقد كانت شهادة القريب والبعيد لمحمد صلى الله عليه وسلم لمن الأمور التى تؤكد صدق الرسالة الإسلامية نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

١- شهادة خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها **لرسول الله** صلى الله عليه وسلم

قال ابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية : لَمَّا كَانَتْ خَدِيجَةُ رضى الله عنها وهي زوجة النبي صلى الله عليه وسلم تَعْلَمُ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ الصَّادِقُ الْبَارُّ، قَالَ لَهَا لَمَّا جَاءَهُ الْوَحْيُ:**{إِنِّي قَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي}** فَقَالَتْ: كَلاَّ - وَاللَّهِ لاَ يُخْزِيكَ الله، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ - أي تنفق على الضعيف واليتيم والعيال -، وَتُقِرِّي - أي تكرم - الضَّيْفَ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ - أي تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك -، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ - أي مصائب الدهر -، فَذَكَرَتْ خَدِيجَةُ مَا يَنْفِي هَذَا، فَلَقَدْ عُلِمَ مِنْ سُنَّةِ الله أَنَّ مَنْ جَبَلَهُ عَلَى الأَخْلاَقِ الْمَحْمُودَةِ وَنَزَّهَهُ عَنِ الأَخْلاَقِ الْمَذْمُومَةِ: فَإِنَّهُ لاَ يُخْزِيهِ (٣٣).

٢- شهادة هرقل ملك الروم لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وَكَذَلِكَ هِرَقْلُ مَلِكُ الرُّومِ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لَمَّا كَتَبَ إِلَيْهِ كِتَابًا يَدْعُوهُ فِيهِ إِلَى الإسلام، طَلَبَ مَنْ كَانَ هُنَاكَ مِنَ الْعَرَبِ، وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ قَدْ قَدِمَ فِي طَائِفَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ فِي تِجَارَةٍ إِلَى الشَّامِ، وَسَأَلَهُمْ عَنْ أَحْوَالِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَسَأَلَ أَبَا سُفْيَانَ، وَأَمَرَ الْبَاقِينَ إِنْ كَذَبَ أَنْ يُكَذِّبُوهُ، فَصَارُوا بِسُكُوتِهِمْ مُوَافِقِينَ لَهُ فِي الأَخْبَارِ، سَأَلَهُمْ: هَلْ كَانَ فِي آبَائِهِ مِنْ

مَلِكٍ؟ فَقَالُوا: لاَ، قَالَ: هَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ قَبْلَهُ؟ فَقَالُوا: لاَ، وَسَأَلَهُمْ: أَهْوَ ذُو نَسَبٍ فِيكُمْ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، وَسَأَلَهُمْ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَقَالُوا: لاَ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْهِ كَذِبًا، وَسَأَلَهُمْ: هَلِ اتَّبَعَهُ ضُعَفَاءُ النَّاسِ أَمْ أَشْرَافُهُمْ؟ فَذَكَرُوا أَنَّ الضُّعَفَاءَ اتَّبَعُوهُ؟ وَسَأَلَهُمْ: هَلْ يَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ فَذَكَرُوا أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَسَأَلَهُمْ: هَلْ يَرْجِعُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ سُخْطَةً لَهُ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ فَقَالُوا: لاَ، وَسَأَلَهُمْ: هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْحَرْبِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ؟ فَقَالُوا: يُدَالُ عَلَيْنَا مَرَّةً وَنُدَالُ عَلَيْهِ أُخْرَى، وَسَأَلَهُمْ: هَلْ يَغْدِرُ؟ فَذَكَرُوا أَنَّهُ لاَ يَغْدِرُ، وَسَأَلَهُمْ: بِمَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ فَقَالُوا: يَأْمُرُنَا أَنْ نَعْبُدَ الله وَحْدَهُ لاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَانَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ. وَهَذِهِ أَكْثَرُ مِنْ عَشْرِ مَسَائِلَ، ثُمَّ بَيَّنَ لَهُمْ مَا فِي هَذِهِ الْمَسَائِلِ مِنَ الأَدِلَّةِ، فَقَالَ: سَأَلْتُكُمْ هَلْ كَانَ فِي آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ فَقُلْتُمْ: لاَ، قُلْتُ: لَوْ كَانَ فِي آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ لَقُلْتُ: رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ، وَسَأَلْتُكُمْ هَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ فِيكُمْ أَحَدٌ قَبْلَهُ؟ فَقُلْتُمْ: لاَ، فَقُلْتُ: لَوْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ قَبْلَهُ لَقُلْتُ: رَجُلٌ ائْتَمَّ بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ، وَسَأَلْتُكُمْ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَقُلْتُمْ: لاَ، فَقُلْتُ: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ ثُمَّ يَذْهَبُ فَيَكْذِبُ عَلَى الله، وَسَأَلْتُكُمْ أَضُعَفَاءُ النَّاسِ يَتْبَعُونَهُ أَمْ أَشْرَافُهُمْ؟ فَقُلْتُمْ: ضُعَفَاؤُهُمْ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ، يَعْنِي فِي أَوَّلِ أَمْرِهِمْ، ثُمَّ قَالَ: وَسَأَلْتُكُمْ هَلْ يَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ فَقُلْتُمْ، بَلْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حَتَّى يَتِمَّ، وَسَأَلْتُكُمْ هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ سُخْطَةً لَهُ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ فَقُلْتُمْ: لاَ، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ، إِذَا خَالَطَتْ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ لاَ يَسْخَطُهُ أَحَدٌ. وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ عَلاَمَاتِ الصِّدْقِ وَالْحَقِّ، فَإِنَّ الْكَذِبَ وَالْبَاطِلَ لاَ بُدَّ أَنْ يَنْكَشِفَ فِي آخِرِ الأَمْرِ، فَيَرْجِعَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَيَمْتَنِعَ عَنْهُ مَنْ لَمْ يَدْخُلْ فِيهِ، وَالْكَذِبُ لاَ يَرُوجُ إِلاَّ قَلِيلاً ثُمَّ يَنْكَشِفُ.

وَسَأَلْتُكُمْ: كَيْفَ الْحَرْبُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ؟ فَقُلْتُمْ: إِنَّهَا دُوَلٌ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى وَتَكُونُ الْعَاقِبَةُ لَهَا، قَالَ: وَسَأَلْتُكُمْ هَلْ يَغْدِرُ؟ فَقُلْتُمْ: لاَ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لاَ تَغْدِرُ، وَهُوَ لِمَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْ عِلْمِهِ بِعَادَةِ الرُّسُلِ وَسُنَّةِ الله فِيهِمْ أَنَّهُ تَارَةً يَنْصُرُهُمْ وَتَارَةً يَبْتَلِيهِمْ وَأَنَّهُمْ لاَ يَغْدِرُونَ - عَلِمَ أَنَّ هَذِهِ عَلاَمَاتُ الرُّسُلِ، وَأَنَّ سُنَّةَ الله فِي الأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ بِالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، لِيَنَالُوا دَرَجَةَ

الشُّكْرِ وَالصَّبْرِ. قَالَ: وَسَأَلْتُكُمْ عَمَّا يَأْمُرُ بِهِ؟ فَذَكَرْتُمْ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا الله وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلاَةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ، وَيَنْهَاكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ، وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيٍّ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ نَبِيًّا يُبْعَثُ، وَلَمْ أَكُنْ أَظُنُّهُ مِنْكُمْ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ، وَلَوْلاَ مَا أَنَا فِيهِ مِنَ الْمُلْكِ لَذَهَبْتُ إِلَيْهِ، وَإِنْ يَكُنْ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ (٣٣).

٣- شهادة النجاشي ملك الحبشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وجاء في الرحيق المختوم أن جعفر بن أبي طالب وهو أحد من هاجر للحبشة فرارا بدينه عندما سأله ملك الحبشة النجاشي عن محمد صلى الله عليه وسلم قال: أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية؛ نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل منا القوى الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم،وقذف المحصنات،وأمرنا أن نعبد الله وحده،لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام - فعدد عليه أمور الإسلام - فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه على ما جاءنا به من دين الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئًا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك. فَقَالَ النَّجَاشِيُّ لَمَّا اسْتَخْبَرَهُمْ عَمَّا يُخْبِرُ بِهِ - أي رسول الله صلى الله عليه وسلم - وَاسْتَقْرَأَهُمُ الْقُرْآنَ فَقَرَؤُوا عَلَيْهِ: فقال:إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ (٢٦).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس العاشر:

حسن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماحته مع الناس

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع حلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأعرابي الذي جذبه جذبة شديدة، أخرج البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضى الله عنه قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ الله الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ (١).

ولم لا؟! وقد قال الله تعالى عنه:**{وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}** [القلم:٤]، وقال تعالى:**{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ}** [آل عمران:١٥٩]، ولقد أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأعلى درجات التسامح، فقال له تعالى:**{فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}** وقال أيضًا:**{فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ}** ولقد بعث الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، قال تعالى:**{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}** [الأنبياء:١٠٧].

وَعَنْ عَائِشَةَ رضى الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: مَا خُيِّرَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا، كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم لِنَفْسِهِ إِلاَّ أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ الله فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا (٢).

ومع هذا فإن بعض الناس الذين لا يعرفون حقيقة هذا الدين يظنون أن الإسلام لا يعرف العفو والصفح والسماحة، وإنما جاء بالعنف والتطرف،

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٢٩٨٠.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (خ)٥٧٥٧ و(م) ٦١٩٠ واللفظ للبخاري

لأنهم لم يتحروا الحقائق من مصادرها الأصلية، وإنما اكتفوا بسماع الشائعات والافتراءات من أرباب الإلحاد والإفساد الذين عبدوا الشهوات ونهجوا مسلك الشبهات بما لديهم من أنواع وسائل الإعلام المتطورة.

ولم تقتصر سماحة النبي صلى الله عليه وسلم مع المسلمين فقط بل شملت أهل الكتاب والمشركين أثناء الحرب فقد أوصى بالقبط - أي أهل مصر - خيرًا وثبت عنه أنه قال:{**إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرًا، فإن لهم ذمة ورحمًا**} [١]، وثبت عن رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم أَنهُ قَالَ:{**إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا فَإِذَا رَأَيْتُمْ رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ فَاخْرُجْ**}[٢].

وفيما يلي صورٌ من سماحة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع غير المسلمين على سبيل المثال لا الحصر:

١ - رحمته صلى الله عليه وسلم بالخلق عامة وهو الذي قال الله عز وجل عنه:{**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**} [الأنبياء:١]، فكان صلى الله عليه وسلم الرحمة المهداة إلى الخلق كلهم، وحث على العطف على الناس ورحمتهم، فَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الله قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :{**لَا يَرْحَمُ الله مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ**} [٣].

وكلمة الناس هنا تشمل كل أحد من الناس، دون اعتبار لجنسهم أو دينهم وجاءت النصوص في باب الرحمة مطلقة، وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:{**مَا مِنْ مُسْلِمٍ غَرَسَ غَرْسًا فَأَكَلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ أَوْ دَابَّةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ**}[٤]، فدين الإسلام دين السماحة والرحمة يسع الناس كلهم ويغمرهم بالرحمة والإحسان.

٢ - دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لمخالفيه من غير المسلمين فقد قدم الطفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه فقالوا: يا رسول الله إن دوسا قد كفرت

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (ك) وصححه الألباني في س.ص ١٣٧٤.
(٢) **(صحيح)** أخرجه (م) ٢٥٤٣.
(٣) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٥٦٦٧.
(٤) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٢١٩٥.

وأبت فادع الله عليها، فقيل: هلكت دوس - ظنا بأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما رفع يديه للدعاء عليها - فقال صلى الله عليه وسلم :**{اهْدِ دَوْسًا وَائْتِ بِهِمْ}** (١). ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأم أبي هريرة قبل إسلامها فقد روى مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإسلام وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم مَا أَكْرَهُ فَأَتَيْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم وَأَنَا أَبْكِي قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإسلام، فَتَأْبَى عَلَيَّ، فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ فَادْعُ الله أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{اللهمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ}** فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ الله صلى الله عليه وسلم فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ، فَإِذَا هُوَ مُجَافٍ، فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ قَالَ: فَاغْتَسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا، وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا، فَفَتَحَتْ الْبَابَ ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنْ الْفَرَحِ (٢).

٣ - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل هدايا مخالفيه من غير المسلمين، فقبل هدية زينب بنت الحارث اليهودية امرأة سلام بن مشكم في خيبر حيث أهدت له شاة مشوية، قد وضعت فيها السم(٣).

وقد قرر الفقهاء قبول الهدايا من الكفار بجميع أصنافهم حتى أهل الحرب، قال ابن قدامة في المغني: ويجوز قبول هدية الكفار من أهل الحرب، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قبل هدية المقوقس صاحب مصر.

٤ - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعامل مخالفيه من غير المسلمين في البيع والشراء والأخذ والعطاء. فَعَنْ عَائِشَةَ رضى الله عنها قَالَتْ: تُوُفِّيَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلاَثِينَ صَاعًا

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (م) ١٩٧.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (م)٢٤٩١.

(٣) **(صحيح)** أخرجه (خد) وصححه الألباني في فقة السيرة ٣٤٧.

مِنْ شَعِيرٍ [١].

٥ - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغشى مخالفيه في دورهم، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ بَيْنَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ إِذْ خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم فَقَالَ:{**انْطَلِقُوا إِلَى يَهُودَ**} فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى جِئْنَاهُمْ فَقَامَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم فَنَادَاهُمْ فَقَالَ:{**يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا**} فَقَالُوا: قَدْ بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ [٢].

٦ - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بصلة القريب وإن كان غير مسلم، فَعَنْ أَسْمَاءَ رضى الله عنها قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قُلْتُ: وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُ أُمِّي قَالَ:{**نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ**}[٣].

٧ - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم غاية في الحلم والسماحة مع غير المسلمين من اليهود في معاملتهم حتى نقضوا العهد وخانوه، أما من يعيشون بين المسلمين يحترمون قيمهم ومجتمعهم فلهم الضمان النبوي.

ولقد ضمن لمن عاش بين ظهراني المسلمين بعهد وبقي على عهده أن يحظى بمحاجة النبي صلى الله عليه وسلم لمن ظلمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{**أَلا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**} [٤].

وشدد الوعيد على من هتك حرمة دمائهم فقال صلى الله عليه وسلم :{**مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا**}[٥]، تلك صور من سماحة النبي صلى الله عليه وسلم مع غير المسلمين (٣٠).

هذا هو نبي الرحمة السراج المنير الذي قال عنه رب العالمين : {**وَإِنَّكَ لَعَلَى**

---

(١) (**صحيح**) أخرجه (م) ٢٧٥٩.

(٢) (**صحيح**) أخرجه (م) ١٧٦٥.

(٣) (**صحيح**) أخرجه (خ) ٢٤٧٧، و(م) ١٠٠٣.

(٤) (**صحيح**) أخرجه (د هق) وصححه الألباني في ص.ج ٢٦٥٥.

(٥) (**صحيح**) أخرجه (خ) ٢٩٩٥.

خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم :٤]، وقال عنه رب العالمين أيضا : **{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّـهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ}** [آل عمران :١٥٩].

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس الحادي عشر:
القرآن الكريم معجزة خالدة ومتجددة على مر العصور

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة مسيلمة الكذاب مدعي النبوة الذي أراد أن يثبت للناس أنه يأتيه وحي من السماء فقام يؤلف قرآناً فأثبت كَذِبَه أمام الناس، وكان مما قال: والزارعات زرعا، والحاصدات حصدا، والذاريات قمحا، والطاحنات طحنا، والخابزات خبزا، والثاردات ثردا، واللاقمات لقما، إهالة وسمنا، لقد فُضِّلتم على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر، لرفيقكم فامنعوه، والمعتر آووه، والناعي فواسووه، حيث أراد أن يعد سورة على وزن سورة العاديات فكان أضحوكة الناس وأيضا أعد سورة أخرى عن الفيل قال فيها: الفيل وما أدراك ما الفيل، له خرطوم طويل. إن من تدبر في آيات القرآن الكريم عرف أن الله عز وجل جعل القرآن معجزة ودلالة وبرهاناً وتأيدا لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فما من نبي يبعث إلا ويؤيد بمعجزات، وكانت معجزة النبي صلى الله عليه وسلم الخالدة هي القرآن الكريم،

والله تعالى يتحدى من يشكِّك في القرآن ويقول أنه ليس من عند الله، فقال تعالى:**{أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً(٨٢)}** [النساء: ٨٢]، والله تعالى يتحدى الإنس والجن بأن يأتوا بمثله فقال تعالى:**{قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً}** [الإسراء:٨٨]، فلما أكثر الكفار من إثارة الشائعات الكاذبة بأن القرآن من قول محمد صلى الله عليه وسلم نفسه، قال تعالى:**{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ(٣٨)}** [يونس: ٣٨].

ولقد أكثر الكفار من إثارة الشائعات الكاذبة والشبهات لصد الناس عن هذا الدين، فقالوا عن القرآن: أن محمدًا يراه بالليل ويتلوه بالنهار فقال الله تعالى حكاية عنهم:**{أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ}** [الأنبياء: ٥]، وقالوا: إن القرآن كذب وأعانه

عليه آخرون فقال تعالى عن ذلك:**{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ}** [الفرقان: ٤]، وقالوا: إنه قصص السابقين تملى عليه صباحا ومساء فقال الله تعالى عن ذلك:**{وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً(٥)}** [الفرقان: ٥]، وقالوا: إن له جِنًا أو شيطانًا يتنزل عليه كما ينزل الجن والشياطين على الكهان، فقال تعالى ردًا عليهم:**{هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ(٢٢٢)}** [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٢]، أي إنها تنزل على الكذاب الفاجر المذنب وما جرّبتم على الرسول كذبًا، ولا فسقًا، فكيف تجعلون القرآن من تنزيل الشيطان؟ وكان مما قالوا عن النبي صلى الله عليه وسلم : إنه شاعر وكلامه شعر فقال الله تعالى ردًا عليهم يصف الشعراء بثلاث صفات ليست في رسول الله صلى الله عليه وسلم : **{وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ(٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ(٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ(٢٢٦)}** [الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٦].

وقالوا أن النبي صلى الله عليه وسلم يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق، فكيف هو بنبي! فقال الله عنهم:**{وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً(٧)}** [الفرقان: ٧]، وقالوا: إنه بشر فكيف أنزل الله عليه القرآن قال تعالى عن ذلك:**{مَا أَنزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ}** [الأنعام: ٩١]، ورد الله عليهم بأن كل قوم أنكروا على رسلهم رسالتهم قال تعالى عنهم:**{إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا}** [إبراهيم: ١٠]، فقالت رسلهم لهم**{قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَـكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ}** [إبراهيم: ١١]، فالأنبياء والرسل لا يكونون إلا بشرًا، ولا منافاة بين البشرية والرسالة. وكذلك أنكروا البعث فقال تعالى عنهم: **{أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ(١٦) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ(١٧)}** [الصافات: ١٦ - ١٧]، وكذلك قالوا عن البعث بعد الموت إن هذا لأمر بعيد الحصول قال تعالى عنهم قولهم:**{ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ}** [ق: ٣] (٢٦).

وقد يتوهم البعض أن التحدي القرآني كان للعرب فقط، هذا وهم كبير، فإن التحدي موجه إلى العالمين حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ولم يأت دين من الأديان بمعجزة توضع بين أيدي الناس يبحث فيها أهل كل عصر

بوسائل عصرهم؛ مثلما أتى الدين الإسلامي بهذا القرآن، فكأن النبوة بهذا القرآن متجددة أبدًا، ولكي يقيم ربنا تبارك وتعالى الحجة على أهل العصور المتأخرة أبقى لهم فيه العديد من الآيات الكونية والتي تحوي من الإشارات الكونية ما لم يكن معروفا لأحد من الخلق في زمن الوحي وذلك لأهداف وحكم يعلمها الله سبحانه وتعالى.

ولو تدبرنا آيات القرآن ونظرنا في أوامر الله وما جرت عليه من صلاح، فهي أوامر بالتوحيد والعقيدة أو بالصلاة أو بالزكاة أو بالحج أو بالصوم أو ببر الوالدين أوبصلة الأرحام أو بالدعوة إلى الله أو بالجهاد في سبيل الله.. كل الأوامر لو تفكرت فيها تجد أن في مشروعيتها خيراً عظيماً لهذه الأمة.

فهذه الصلاة يقول الله تعالى عنها: **{إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ}** [العنكبوت:٤٥] لأنك تستحي أن تعمل منكراً وستصلي بعد قليل أو كنت تصلي قبل قليل وتناجي رب العالمين الذي أمرك بتجنب الفواحش والمنكرات.

ويقول الله تعالى في الزكاة: **{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ}** [التوبة:١٠٣] فهل تدري أنك إذا دفعت الزكاة أنك تطهرت وزكوت؟ وما معنى تطهرت؟ أي: زكيت نفسك وطهرتها، فانتصرت على النفس، أخرجت المال، وهو تحت قدمك، وصرت أنت سيد المال، لكن إذا بخلت بالمال ولم تخرج زكاته تصير أنت عبداً للمال وعبدًا للدنيا.

وهذا الصيام يقول الله عز وجل عنه: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}** [البقرة:١٨٣] فثمرة الصيام التقوى فإن النفس إذا امتنعت عن الحلال طمعا في مرضاة الله تعالى وخوفا من عقابه فأولى أن تنقاد نفسه للامتناع عن الحرام.

وأن الإنسان إذا جاع بطنه صلحت سائر جوارحه، فالصيام يؤدي إلى قهر الشيطان وكسر الشهوة وحفظ الجوارح، وأن الصائم إذا ذاق ألم الجوع أحس بحال الفقراء فرحمهم وأعطاهم ما يسدّ جوعتهم، إذ ليس الخبر كالمعاينة وهكذا.

وأيضا فإن من أعظم مقاصد الحج تهذيب سلوك المسلم الحاج، يقول الله عز وجل عنه: **{الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ**

فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ} [البقرة:١٩٧].

فالقرآن الكريم فيه صلاح الفرد والمجتمع، وفيه صلاح البشرية جمعاء، أنظر وتدبر أخي الكريم لقول الله تعالى:{**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}** [النحل: ٩٠].

فالله سبحانه وتعالى يأمر عباده في هذا القرآن بالعدل والإنصاف في حقه بتوحيده وعدم الإشراك به، وفي حق عباده بإعطاء كل ذي حق حقه، ويأمر بالإحسان في حقه بعبادته وأداء فرائضه على الوجه المشروع، وإلى الخلق في الأقوال والأفعال، ويأمر بإعطاء ذوي القرابة ما به صلتهم وبرُّهم، وينهى عن كل ما قَبُحَ قولا أو عملا وعما ينكره الشرع ولا يرضاه من الكفر والمعاصي، وعن ظلم الناس والتعدي عليهم، والله - بهذا الأمر وهذا النهي - يَعِظكم ويذكِّركم العواقب؛ لكي تتذكروا أوامر الله وتنتفعوا بها.

والله سبحانه وتعالى قد استحفظ اليهود التوراة فخانوا وبدلوا، واستحفظ النصارى الإنجيل فخانوا وبدلوا، لذا فالله جل وعلا لم يستحفظ المسلمين القرآن؟ ولكنه تعهد بحفظه، فقال تعالى:{**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ(٩)}** [الحجر: ٩].

ولا نعلم كلاماً قط في الأرض يحفظ كله ولا يغادر منه حرف إلا القرآن، فترى الطفل الصغير الذي لا يحسن المعاني يحفظ القرآن ولا ينساه.

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم :{**أَبْشِرُوا فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ، فَتَمَسَّكُوا بِهِ فَإنكم لنْ تُهلَكوا، ولنْ تَضِلوا بَعْدَه أبَدَا}**[1]،قال تعالى:{**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ}** [القمر: ١٧].

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) **(صحيح)** أخرجه (طب)، وصححه الألباني في ص. ج ٣٤.

الدرس الثاني عشر:
إنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإسلام

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع مناظرات إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع والده وقومه وملك البلاد، أما الحوار الذي دار بينه وبين أبيه وقومه، قال إبراهيم عليه السلام لهم: ما هذه الأصنام التي صنعتموها، ثم عكفتم على عبادتها؟ قالوا: وجدنا آباءنا عابدين لها، ونحن نعبدها اقتداء بهم - وهذا قول كل من جاء ببدعة وضلالة وضل عن طريق الهداية - قال لهم إبراهيم: لقد كنتم أنتم وآباؤكم في عبادتكم لهذه الأصنام في ضلال عظيم فهي لا تضركم ولا تنفعكم، تنحتونها ثم تعبدونها أليس هذا هو الضلال قالوا: أهذا القول الذي جئتنا به حق وَجِدٌّ، أم كلامك لنا كلام لاعبٍ مستهزئ لا يدري ما يقول؟ قال لهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام: بل ربكم الذي أدعوكم إلى عبادته هو رب السماوات والأرض الذي خلقهنَّ، وأنا من الشاهدين على ذلك، وهذا مصداقا لقول الله تعالى:**{وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِه عَالِمِينَ(٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ(٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ(٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ(٥٤)}** [الأنبياء: ٥١ - ٥٤].

ولقد أراد إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن يقيم الحجة على عُبَّاد الكواكب والنجوم والشمس والقمر بأنهم لا يصلحون أن يكونوا آلهة، فلما أظلم على إبراهيم عليه الصلاة والسلام الليلُ، ناظر قومه؛ ليثبت لهم أن دينهم باطل، وكانوا يعبدون النجوم. رأى إبراهيم عليه الصلاة والسلام كوكبًا، فقال مستدرجا قومه لإلزامهم بالتوحيد: هذا ربي، فلما غاب الكوكب، قال: لا أحب الآلهة التي تغيب. فلما رأى إبراهيم القمر طالعًا قال لقومه على سبيل استدراج الخصم: هذا ربي، فلما غاب، قال مفتقرا إلى هداية ربه: لئن لم يوفقني ربي إلى الصواب في توحيده، لأكونن من القوم الضالين عن سواء

السبيل بعبادة غير الله تعالى. فلما رأى الشمس طالعة قال لقومه: هذا ربي، هذا أكبر من الكوكب والقمر، فلما غابت، قال لقومه: إني بريء مما تشركون من عبادة الأوثان والنجوم والأصنام التي تعبدونها من دون الله تعالى، إني توجَّهت بوجهي في العبادة لله عز وجل وحده، فهو الذي خلق السماوات والأرض، مائلا عن الشرك إلى التوحيد، وما أنا من المشركين مع الله غيره.

وهذا مصداقا لقول الله تعالى:{**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ(٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ(٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ(٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ(٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(٧٩)**} [الأنعام: ٧٥ - ٧٩].

إخوتي في الله، لقد حاجَّ إبراهيم عليه الصلاة والسلام ملك البلاد النمرود حين ادعى الألوهية لأن الله أعطاه المُلْك فتجبَّر وسأل إبراهيمَ: مَن ربُّك؟ فقال إبراهيم عليه السلام: ربي الذي يحيي الخلائق فتحيا، ويسلبها الحياة فتموت، فهو المتفرد بالإحياء والإماتة، قال النمرود: أنا أحيي وأميت، أي أقتل مَن أردتُ قَتْلَه، وأستبقي مَن أردت استبقاءه، فقال له إبراهيم عليه الصلاة والسلام: إن الله الذي أعبده يأتي بالشمس من المشرق، فهل تستطيع تغيير هذه السُّنَّة الإلهية بأن تجعلها تأتي من المغرب؛ فتحيَّر هذا الكافر وانقطعت حجته، شأنه شأن الظالمين لا يهديهم الله إلى الحق والصواب.

وهذا مصداقا لقول الله تعالى:{**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(٢٥٨)**} [البقرة: ٢٥٨].

ولقد جاء الأنبياء كلهم لمقصد واحد وهو توحيد الله في الارض وإفراده بالعباده ولكن الناس بدلوا، قال تعالى:{**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ(٢٥)**} [الأنبياء: ٢٥].

ولقد أشرك اليهود بالله عندما زعموا أن عزيرًا ابن الله، قال تعالى: **{وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ الله أَنَّى يُؤْفَكُونَ(٣٠)}** [التوبة: ٣٠].

وأشرك النصارى بالله عندما ادَّعوا أن المسيح ابن الله وهذا القول اختلقوه، وهم بذلك يشابهون قول المشركين من قبلهم، فكيف يعدلون عن الحق إلى الباطل؟! ولقد خَلْقَ الله عيسى من غير أب كما خلق الله آدم من غير أب ولا أم، إذ خلقه من تراب الأرض، ثم قال له: " كن بشرًا " فكان. من أجل ذلك، فإن دعوى ألوهية عيسى لكونه خلق من غير أب دعوى باطلة؛ فآدم عليه السلام خلق من غير أب ولا أم، واتفق الجميع على أنه عَبْد من عباد الله، قال تعالى:**{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٥٩)}** [آل عمران: ٥٩].

فالإسلام هو دين الفطرة وهو ملة إبراهيم عليه السلام، وهذه الملة السمحة هي ملة إبراهيم عليه السلام، ولقد سمى الله هذه الأمة بالمسلمين في الكتب السماوية السابقة وجعل الله خاتم الرسل محمداً صلى الله عليه وسلم شاهدًا على المسلمين بأنه بلغ رسالة ربه، وجعل الله هذه الأمة شاهدة على الأمم السابقة بأن رسلهم قد بلَّغتهم كما أخبرهم الله تعالى في كتابه، قال تعالى: **{وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ (٧٨)}** [الحج: ٧٨].

ولقد اختار الله تعالى للناس الإسلام، فقال تعالى:**{إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسلام}** [آل عمران: ١٩].

ومن يطلب دينًا غير دين الإسلام الذي هو توحيد الله تعالى والانقياد له بالطاعة، والعبودية، ولرسوله النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم بالإيمان به وبمتابعته ومحبته ظاهرًا وباطنًا، فلن يُقبل منه ذلك، وهو في الآخرة من الخاسرين، قال تعالى:**{وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسلام دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ(٨٥)}** [آل عمران: ٨٥].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم :{**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ** - أي دين الإسلام - **فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ** - أي مقطوعة الأذن أو الأنف} [١].

وفيما يلي شهادة للفيلسوف الإنجليزي الشهير " توماس كارليل " حيث أطال النفس في كتابه (الأبطال) عن النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب به قومه النصارى، ومن ذلك قوله: لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متحدث في هذا العصر أن يصغي إلى ما يقال من أن دين الإسلام كذب، وأن محمداً خدّاع مزوِّر.

وإن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول مازالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء أكذوبةٌ وخدعة؟!

أمَّا أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبداً.. وما الرسالة التي أداها إلا حق صراح، وما كلمته إلا قول صادق (١٥).

وقال المؤرخ الإنجليزي ويلز: إن مصير أوربا كلها للإسلام.وإن لم يكن دينا وعقيدة فسلوكا ومنهاجا وأخلاقا (٥).

وقال المستشرق الأمريكي فران فوجال: أرجو أن تنجحوا في الإستفادة من دينكم وقوانين شريعتكم ليس هذا من أجلكم فحسب..بل من أجل الإنسانية (٥١).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ١٢٩٢، و(م) ٢٦٥٨.

الدرس الثالث عشر:

قول الإسلام في المسيح عليه الصلاة والسلام

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، نحن على موعد مع ما جاء في القرآن بأن عيسى عبد الله ورسوله، قال تعالى:{**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً (١٩)قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً(٢٠) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً (٢١)فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً(٢٢) فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً(٢٣) فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً(٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً(٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً(٢٦) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً(٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً(٢٨)فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً(٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ** الله **آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً(٣٠)وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً(٣١) وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً(٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً(٣٣) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ(٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٣٥) وَإِنَّ** الله **رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ(٣٦) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ(٣٧)**} [مريم ١٦ - ٣٧].

المعنى: واذكر أيها الرسول في هذا القرآن خبر مريم إذ تباعدت عن أهلها،

فاتخذت لها مكانًا مما يلي الشرق عنهم. فجعلت مِن دون أهلها سترًا يسترها عنهم وعن الناس، فأرسلنا إليها الملَك جبريل، فتمثَّل لها في صورة إنسان تام الخَلْق. قالت مريم له: إني أستجير بالرحمن منك أن تنالني بسوء إن كنت ممن يتقي الله. قال لها المَلَك: إنما أنا رسول ربك بعثني إليك؛ لأهب لك غلامًا طاهرًا من الذنوب. قالت مريم للمَلَك: كيف يكون لي غلام، ولم يمسسني بَشَر بنكاحٍ حلال، ولم أكُ زانية! قال لها المَلَك: هكذا الأمر كما تصفين من أنه لم يمسسك بشر، ولم تكوني بَغِيًّا، ولكن ربك قال: الأمر عليَّ سهل؛ وليكون هذا الغلام علامة للناس تدل على قدرة الله تعالى، ورحمة منَّا به وبوالدته وبالناس، وكان وجود عيسى على هذه الحالة قضاء سابقًا مقدَّرًا، مسطورًا في اللوح المحفوظ، فلا بد مِن نفاذه. فحملت مريم بالغلام بعد أن نفخ جبريل في جَيْب قميصها، فوصلت النفخة إلى رَحِمِها، فوقع الحمل بسبب ذلك، فتباعدت به إلى مكان بعيد عن الناس. فألجأها طَلْقُ الحمل إلى جذع النخلة فقالت: يا ليتني متُّ قبل هذا اليوم، وكنت شيئًا لا يُعْرَف، ولا يُذْكَر، ولا يُدْرَى مَن أنا، فناداها جبريل أو عيسى: ألا تَحزني، قد جعل ربك تحتك جَدْول ماء. وحَرِّكي جذع النخلة تُسَاقِطْ عليك رطبًا غَضًّا جُنِيَ مِن ساعته. فكلي من الرطب، واشربي من الماء وطيبي نفسًا بالمولود، فإن رأيت من الناس أحدًا فسألك عن أمرك فقولي له: إني أَوْجَبْتُ على نفسي لله سكوتًا، فلن أكلم اليوم أحدًا من الناس. والسكوت كان تعبدًا في شرعهم، دون شريعة محمد صلى الله عليه وسلم. فأتت مريم قومها تحمل مولودها من المكان البعيد، فلما رأوها كذلك، قالوا لها: يا مريم لقد جئت أمرًا عظيمًا مفترى. يا أخت الرجل الصالح هارون ما كان أبوك رجل سوء يأتي الفواحش، وما كانت أمك امرأة سوء تأتي البِغاء. فأشارت مريم إلى مولودها عيسى ليسألوه ويكلموه، فقالوا منكرين عليها: كيف نكلم مَن لا يزال في مهده طفلا رضيعًا؟ قال عيسى وهو في مهده يرضع: إني عبد الله، قضى بإعطائي الكتاب، وهو الإنجيل، وجعلني نبيًا. وجعلني عظيم الخير والنفع حيثما وُجِدْتُ، وأوصاني بالمحافظة على الصلاة وإيتاء الزكاة ما بقيت حيًا. وجعلني بارًّا بوالدتي، ولم يجعلني متكبرًا ولا شقيًا، عاصيًا لربي. والسلامة والأمان عليَّ من الله يوم وُلِدْتُ، ويوم أموت، ويوم أُبعث حيًا يوم

القيامة. ذلك الذي قصصنا عليك - أيها الرسول - صفتَه وخبرَه هو عيسى ابن مريم، مِن غير شك ولا مرية، بل هو قولُ الحق الذي شك فيه اليهود والنصارى. ما كان لله تعالى ولا يليق به أن يتخذ مِن عباده وخَلْقه ولدًا، تنزَّه وتقدَّس عن ذلك، إذا قضى أمرًا من الأمور وأراده، صغيرًا أو كبيرًا، لم يمتنع عليه، وإنما يقول له: " كن "، فيكون كما شاءه وأراده. وقال عيسى لقومه: وإن الله الذي أدعوكم إليه هو وحده ربي وربكم فاعبدوه وحده لا شريك له، فأنا وأنتم سواء في العبودية والخضوع له، هذا هو الطريق الذي لا اعوجاج فيه. فاختلفت الفِرَق من أهل الكتاب فيما بينهم في أمر عيسى عليه السلام، فمنهم غال فيه وهم النصارى، فمنهم من قال: هو الله، ومنهم من قال: هو ابن الله، ومنهم من قال: ثالث ثلاثة - تعالى الله عما يقولون -، ومنهم جافٍ عنه وهم اليهود، قالوا: ساحر، وقالوا: ابن يوسف النجار، فهلاك للذين كفروا مِن شهود يوم عظيم الهول يوم القيامة.

وأما الدليل على أن عيسى عليه الصلاة والسلام لم يصلب قول الله تعالى: **{فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ اللّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقًّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً(١٥٥) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً(١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً(١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً (١٥٨) وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً(١٥٩)}** [النساء: ١٥٥ - ١٥٩].

المعنى: ولقد لعنَّا - أي اليهود - بسبب نقضهم للعهود، وكفرهم بآيات الله الدالة على صدق رسله، وقتلهم للأنبياء ظلمًا واعتداءً، وقولهم: قلوبنا عليها أغطية فلا تفقه ما تقول، بل طمس الله عليها بسبب كفرهم، فلا يؤمنون إلا إيمانًا قليلا لا ينفعهم. وكذلك لعنَّاهم بسبب كفرهم وافترائهم على مريم بما نسبوه إليها من الزنى، وهي بريئة منه. وبسبب قولهم - على سبيل التهكم والاستهزاء -: هذا الذي يدعي لنفسه هذا المنصب (قتلناه)، وما قتلوا عيسى وما صلبوه، بل صلبوا رجلا شبيهًا به ظنًّا منهم أنه عيسى.

ومن ادَّعى قَتْلَهُ من اليهود، ومن أسلمه إليهم من النصارى، كلهم واقعون في شك وحَيْرَة، لا عِلْمَ لديهم إلا اتباع الظن، وما قتلوه متيقنين بل شاكين متوهمين. بل رفع الله عيسى إليه ببدنه وروحه حيًّا، وطهَّره من الذين كفروا. وكان الله عزيزًا في ملكه، حكيمًا في تدبيره وقضائه. وإنه لا يبقى أحدٌ من أهل الكتاب بعد نزول عيسى آخر الزمان إلا آمن به قبل موته عليه السلام، ويوم القيامة يكون شهيدًا بتكذيب مَن كذَّبه، وتصديق مَن صدَّقه.

ولقد أمر الله تعالى رسوله الكريم بأن يقول لأهل الكتاب من اليهود والنصارى: تعالَوْا إلى كلمة عدل وحق نلتزم بها جميعًا: وهي أن نَخُص الله وحده بالعبادة، ولا نتخذ أي شريك معه، من وثن أو صنم أو صليب أو طاغوت أو غير ذلك، فإن أعرضوا عن هذه الدعوة الطيبة فقولوا لهم - أيها المؤمنون -: اشهدوا علينا بأنا مسلمون منقادون لربنا بالعبودية والإخلاص.

وهذا مصداقا لقول الله تعالى:{**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ الله وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**} [آل عمران:٦٤].

ويخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزول عيسى عليه السلام آخر الزمان، فَعَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضى الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:..{**إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ** - أي خفضه - **قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ** - أي يتساقط منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفائه -، **فَلاَ يَحِلُّ** - أي لا يمكن ولا يقع - **لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلاَّ مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ** - أي الدجال - **حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ** - أي بلدة قريبة من بيت المقدس - **فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لاَ يَدَانِ** - أي لا قدرة ولا طاقة - **لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ. وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ** - أي من كل مكان مرتفع يسرعون -، **فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ!! وَيُحْصَرُ**

نَبيُّ الله **عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأسُ الثَّوْرِ لأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبيُّ** الله **عِيسَى وَأَصْحَابُهُ** - أي إلى الله -، **فَيُرْسِلُ الله عَلَيْهِمْ النَّغَفَ** - أي دود يكون في أنوف الإبل والغنم - **فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى** - أي قتلى - **كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبيُّ** الله **عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الأَرْضِ فَلاَ يَجِدُونَ فِي الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلاَّ مَلأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبيُّ** الله **عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى** الله، **فَيُرْسِلُ الله طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ** - أي الإبل الخراسانية - **فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ الله، ثُمَّ يُرْسِلُ الله مَطَرًا لاَ يَكُنُّ** - أي لا يمنع - **مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ** - أي: الطين الصلب - **وَلاَ وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ** - أي الجماعة - **مِنْ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ** - أي اللبن - **حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ** - أي القريبة العهد بالولادة - **مِنْ الإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ** - أي الجماعة - **مِنْ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنْ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنْ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنْ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنْ النَّاسِ** - أي الجماعة من الأقارب دون القبيلة -، **فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ الله رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ** - أي يجامع الرجال النساء علانية - **فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ}** (١).

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنُ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :{**مَنْ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ** الله، **وَابْنُ أَمَتِهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ؛ أَدْخَلَهُ الله مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ}** (٢).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) **(صحيح)** أخرجه (م) ٢٩٣٧.
(٢) **(صحيح)** أخرجه (م) ٢٨.

الدرس الرابع عشر:
أركان الإسلام الخمسة وأركان الإيمان الستة ودرجة الإحسان

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، نحن على موعد مع حديث جبريل عليه السلام حين قدم على رسول الله ومعه أصحابه في صورة أدمي، من حديث أبي ذر رضى الله عنه الذي رواه النسائي الذي قال فيه: كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يَجْلِسُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَصْحَابِهِ فَيَجِيءُ الْغَرِيبُ فَلاَ يَدْرِي أَيُّهُمْ هُوَ حَتَّى يَسْأَلَ، فَطَلَبْنَا إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم أَنْ نَجْعَلَ لَهُ مَجْلِسًا يَعْرِفُهُ الْغَرِيبُ إِذَا أَتَاهُ، فَبَنَيْنَا لَهُ دُكَّانًا مِنْ طِينٍ كَانَ يَجْلِسُ عَلَيْهِ، وَإِنَّا لَجُلُوسٌ وَرَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم فِي مَجْلِسِهِ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ أَحْسَنُ النَّاسِ وَجْهًا وَأَطْيَبُ النَّاسِ رِيحًا كَأَنَّ ثِيَابَهُ لَمْ يَمَسَّهَا دَنَسٌ حَتَّى سَلَّمَ فِي طَرَفِ الْبِسَاطِ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ..[١]، وأما حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذي رواه مسلم فلفظه: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ:**{يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنْ الإسلام}** فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{الإسلام أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ** الله صلى الله عليه وسلم، **وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا}**، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ:**{فَأَخْبِرْنِي عَنْ الإيمان}** قَالَ:**{أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ}**، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ:**{فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِحْسَانِ}** قَالَ: **أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ}**، قَالَ: **فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَةِ}** قَالَ:**{مَا الْمَسؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ}**، قَالَ:

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (ن) ٤٩٩١ وصححه الألباني.

فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ:{**أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**} قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي:{**يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟** قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:{**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**}(١).

إخوتي في الله، من هذا الحديث يتبين لنا أن أركان الإسلام خمسة: أولها شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقامة الصلاة أي الصلوات الخمس، وإيتاء الزكاة أي عند بلوغ نصاب الزكاة، وصوم رمضان وذلك لمن قدر على الصيام ولم يكن عنده عذر شرعي يمنعه من الصيام، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إلى ذلك سبيلا، أما أركان الإيمان فهي ستة وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه مثل التوراة والإنجيل والقرآن، ورسله واليوم الآخر وما فيه من غيبيات والقدر خيره وشره.

والإسلام مرحلة تسبق الإيمان فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً والدليل قول الله تعالى:{**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**} [الحجرات:١٤]، والإيمان عند أهل السنة والجماعة قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان، ومن أهم صفات المؤمنين الإيمان بالغيب فوصف الله تعالى بها عباده المتقين في سورة البقرة قال تعالى:{**الم(١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ(٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ(٣)**} [البقرة:٣].

ويتحول الغيب إلى مشاهد إذا عاين العبد الحق وحضر الموت فقال: إني تبت الآن فليس لهذا الإنسان توبة أبداً، إذ أنه الآن لم يعد مؤمناً بعالم الغيب، بل أصبح مؤمناً بعالم الشهادة؛ لأنه يرى الملائكة عياناً أمامه، إذاً: ما الفرق بينه وبين الكفار الذين طلبوا أن يروا ربهم، أو يروا الملائكة؟!

قال تعالى:{**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً**} [الأنعام:١٥٨].

والنتيجة الطبيعية لعدم الإيمان بالغيب عدم رؤية الأشياء على حقيقتها،

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (م) ٩.

فيعيش الإنسان في شك وحيرة وشتات للقلب، يلهث ويجري ويكدح في هذه الحياة، ولكن من غير هدف، ومن غير راحة، ومن غير اطمئنان على الإطلاق؛ فسبحان الله! هل يطمئنون وهم لا يؤمنون بالآخرة؟ يقول الله تعالى:{**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤)**} [طه:١٢٤].

ولذلك يصف الله تعالى المؤمنين بأنهم يؤمنون بما جاء به الله ورسوله من غيبيات قال تعالى:{**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ** الله **أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥)**} [الحجرات: ١٥]، وهناك صفات كثيرة للمؤمنين نذكر منها ما جاء في سورة المؤمنون قال تعالى:{**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ(١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ(٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ(٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(١١)**} [المؤمنون: ١ - ١١].

وأخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه من آمن بالله ربّاً وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولاً، وأقام أركان الإسلام: الصلاة والزكاة أدخله الله الجنة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه : عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:{**مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى** الله **أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ هَاجَرَ فِي سَبِيلِ** الله **أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا**} قَالُوا: يَا رَسُولَ الله أَفَلاَ نُنَبِّئُ النَّاسَ بِذَلِكَ؟ قَالَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا الله لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ الله فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ[(١)].

وفي حديث جبريل عليه السلام عرّف رسول الله صلى الله عليه وسلم درجة

---

(١) (**صحيح**) أخرجه (خ) ٦٩٨٧.

الإحسان وهي درجة أعلى من درجة الإيمان فَمَن عَبَدَ الله وكأنه يرى الله تعالى فقد بلغ مرتبة الإحسان. وهذه المراقبة لاتكون بالدعوى والكلام بل هي في قلب المرء، ومن راقب الله في سره هداه الله إلى الأعمال الصالحة، فمراقبة النفس ما هي إلاّ مجاهدتها أن ترتكب ما لا يرضاه الله تعالى قال الله تعالى: **{والذينَ جاهَدوا فينا لنَهدِيَنَّهُم سُبُلَنا وإنّ الله لَمَعَ المُحسِنينَ}** [العنكبوت:٦٩]

ولقد ضرب الصحابة الكرام المثل الأعلى في مراقبة لله تعالى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد ورد عَنْ أَنَسٍ رضى الله عنه قَالَ: إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالاً هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنْ الشَّعَرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِنْ الْمُوبِقَاتِ، قَالَ أَبُو عَبْد الله يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُهْلِكَاتِ [(١)].

ذلكم هو الفرق بين جيل الصحابة وتابعيهم وبين ما أعقبهم من أجيال: فلقد عبدوا الله تعالى بإخلاصهم ومراقبتهم لله تعالى قبل أن تتحرك جوارحهم بالعبادة، فأكرمهم الله تعالى بالهداية والتسديد في هذه الحياة الدنيا، ولأجر الآخرة أكبر، فمراقبة الله تعالى ما هي إلاَّ مجاهدة النفس أن ترتكب ما لا يرضاه الله تعالى.

وكذا بَيَّنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل عليه السلام شيئا يسيرا من أشراط الساعة وهي علامات اقتراب وقوع الساعة، منها أن تلد الأمة ربتها وقد حصل هذا لما كثرت الفتوح صار الرجل يأخذ إماء كثيرة ويصير له عشر أو عشرون من الإماء، فيطأ هذه ويطأ هذه، فكل واحدة تنجب فيصبح الأولاد أسيادا على الأمهات لكثرة الرقيق، أما المراد أن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان أي أن أسافل الناس يصيرون رؤساءهم، وتكثر أموالهم، حتى يتباهوا بطول البنيان وإتقانه، والله أعلم.

ولمعرفة المزيد من أشراط الساعة الصغرى وكذلك أشراط الساعة الكبرى يمكن الرجوع لكتاب (زاد المسلم اليومي من العلم الشرعي).

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٦١٢٧.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس الخامس عشر:

الركن الأول من أركان الإسلام

شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة عظيمة تبين عظمة كلمة التوحيد فَعَنْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رضى الله عنه قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم إِلَى الْحُرَقَةِ - أي قبيلة من جهينة - فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ رَجُلاً مِنْهُمْ فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، فَكَفَّ الأَنْصَارِيُّ فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ:**{يَا أُسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله؟}** قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذًا - أي مستجيرا من القتل - فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ [(١)].

وسُئل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى عن الشهادتين فأجاب بقوله: الشهادتان " شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله " هما مفتاح الإسلام ولا يمكن الدخول إلى الإسلام إلا بهما، ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن أن يكون أول ما يدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

فأما الكلمة الأولى: " **شهادة أن لا إله إلا الله** " فأن يعترف الإنسان بلسانه وقلبه بأنه لا معبود بِحق إلا الله عز وجل، والمعني أنه لا معبود حق إلا الله وحده، وهذه الجملة مشتملة على نفي وإثبات، أما النفي فهو " لا إله " وأما الإثبات ففي " إلا الله " والله " لفظ الجلالة " بدل من خبر " لا " المحذوف، والتقدير " لا إله حق إلا الله " فهو إقرار باللسان بعد أن آمن به القلب بأنه لا معبود بِحق إلا الله عز وجل وهذا يتضمن إخلاص العبادة لله وحده ونفي

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٤٠٢١ و (م) ٩٦. واللفظ للبخاري.

العبادة عما سواه.

أما معنى شهادة " أن محمداً رسول الله " فهو الإقرار باللسان والإيمان بالقلب بأن محمداً بن عبد الله القرشي الهاشمي صلى الله عليه وسلم رسول الله عز وجل إلى جميع الخلق من الجن والإنس كما قال الله تعالى:**{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}** [الأعراف:١٥٨]، وقال تعالى:**{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً}** [الفرقان:١]، ومقتضى هذه الشهادة أن تصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبر، وأن تمتثل أمره فيما أمر، وأن تجتنب ما عنه نهى وزجر، وأن لا تعبد الله إلا بما شرع، ومقتضى هذه الشهادة أيضاً ألا تعتقد أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم حقّاً في الربوبية وتصريف الكون، أو حقا في العبادة، بل هو صلى الله عليه وسلم عبد لا يعبد، ورسول لا يكذب، ولا يملك لنفسه ولا لغيره شيئاً من النفع أو الضر إلا ما شاء الله كما قال الله تعالى:**{قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ}** [الأنعام:٥٠]، فهو عبد مأمور يتبع ما أمر به، وقال الله تعالى:**{قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا رَشَداً (٢١) قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ** الله **أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً(٢٢)}** [الجن: ٢١ - ٢٢]، وقال سبحانه:**{قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاء الله وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}** [الأعراف:١٨٨]، فهذا معنى شهادة (أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله).

وبهذا المعنى تعلم أنه لا يستحق العبادة لا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من دونه من المخلوقين، وأن العبادة ليست إلا لله تعالى وحده**{قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ(١٦٣)}** [الأنعام:١٦٢ - ١٦٣]، وأن حق رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تنزله المنزلة التي أنزله الله تعالى إياها وهو أنه عبد الله ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، هذا وللشهادتين ثمرات عظيمة منها: تحرير القلب والنفس من الرق للمخلوقين، والاتباع

لغير المرسلين.

وسئل فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله تعالى عن أول واجب على الخلق، فأجاب بقوله: أول واجب على الخلق هو أول ما يدعى الخلق إليه وقد بينه النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه لليمن، فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضى الله عنه، أَنَّ مُعَاذًا رضى الله عنه قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم فَقَالَ:{**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وَأَنِّي رَسُولُ** الله، **فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ** - أي أن تأخذ أفضل أنعامهم عند جمع زكاة المال -، **وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ** الله **حِجَابٌ**} [(١)].

وحتى يدخل الكافر دين الإسلام يغتسل غسل الإسلام وينطق الشهادين هكذا ذهب الْحَنَابِلَةُ، وذهب الحنفية، والشافعية إلى استحباب الغسل للكافر إذا أسلم وهو غير جنب، وإذا أسلم وهو جنب وجب عليه الغسل، وإذا نطق المرتد بالشهادين صحت توبته عند الحنفية والشافعية والحنابلة (٧١).

ويأمر الله تعالى أهل الإيمان بطاعة الله ورسوله في أمرهما ونهيهما وعدم إبطال ثوابهم بأعمال الكفر والمعاصي قال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣)**} [محمد:٣٣].

وقال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ الله وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٥٩)**} [النساء:٥٩].

وقال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ الله وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠)** } [الأنفال:٢٠]، وأخرج مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه : عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:{**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ الله، وَمَنْ يَعْصِنِي فَقَدْ عَصَى الله، وَمَنْ يُطِعْ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ**

(١) (**صحيح**) أخرجه (خ) ٤٠٩٠و (م) ١٩واللفظ لمسلم.

الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي}[1].

ووضح أبو بكر رضى الله عنه حدود الطاعة في خطبة توليه الخلافة حين قال: أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم (١١).

ووضَّح عمر رضى الله عنه حدود الطاعة في أول خطبة له عند توليه الخلافة حين قال: يا أيها الناس من أطاع الله فقد وجبت طاعته ومن عصى الله فلا طاعة له، أطيعوني ما أطعت الله فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم (٣٧).

ولقد رتب الله على طاعة الله ورسوله السعادة والفلاح والفوز في الدارين{**وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً**} [الأحزاب:٧١]، كما رتَّب على المعصية، من العقوبات الدنيوية والأخروية، ما لا يُعد ولا يحصى، ولا يحد ولا يستقصى، يقول سبحانه:{**وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً**} [الأحزاب:٣٦]، ويقول الاله عز وجل :{**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**} [النور:٦٣].

وأعظم عقوبةٍ تصيب من خالف أمر الله وأمر رسوله، وأصر على المعاصي والمنكرات، أن يحال بينه وبين الإيمان الصحيح، وبينه وبين العقيدة السليمة، والطريق المستقيم، ويبتلى بزيغ القلب، وتلبيس الشيطان وأعوانه، فيرى سوء عمله حسناً وقبيحه صحيحاً، ولا يزال على ذلك مستمرئاً إياه، متعصباً له، مجادلاً فيه، مدافعاً عنه، حتى يموت عليه، ويبتلى بسوء الخاتمة - عياذاً بالله من شديد غضبه، وأليم عقابه، قال تعالى:{**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**} [الصف:٥] (٥٣).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (م)١٨٣٥.

الدرس السادس عشر:
الركن الثاني من أركان الإسلام إقامة الصلاة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع رحلة الإسراء والمعراج التى فرض فيها الصلاة أخرج مسلم في صحيحه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضى الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ:{.. **ثُمَّ عَرَجَ** - أي صعد كلٌ من جبريل عليه السلام ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم - **إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ** صلى الله عليه وسلم، **قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ** صلى الله عليه وسلم **مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى سِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ** الله **مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ** الله **يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى** الله **إِلَيَّ مَا أَوْحَى فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى** صلى الله عليه وسلم، **فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً،قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ: يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام، حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً، قَالَ: فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى** صلى الله عليه وسلم، **فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَقَالَ**

رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : **فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ}** (١).

والصلاة شأنها عظيم فإنها خمس في العدد وخمسون في الأجر وفرضت في السماء لعظم شأنها، فمن أسباب الفلاح المحافظة عليها، ولقد أخبر الله تعالى أنه:{**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ(١)**} [المؤمنون: ١]،{**وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ(٩)**} [المؤمنون: ٩]، وقال تعالى:{**أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً**} [الإسراء:٧٨].

المعنى: أقم الصلاة تامة من وقت زوال الشمس عند الظهيرة إلى وقت ظلمة الليل، ويدخل في هذا صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وأقم صلاة الفجر وأَطِلِ القراءة فيها؛ فصلاة الفجر تحضرها ملائكة الليل والنهار.

وقال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ** الله **وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**} [الجمعة:٩٩].

والصلاة هي أحد أركان الإسلام الخمسة فلقد قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : {**بُنِيَ الإسلام عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**} (٢)

ولقد بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عظم الصلاة، فَعَنْ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :{**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**} (٣).

وَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:{**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُّ** عز وجل : **انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ، فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنْ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ**} (٤).

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (م) ٢٥٩.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (م) ٨.

(٣) **(صحيح)** أخرجه (حم د ن ت)، وصححه الألباني في صت ٥٦٤.

(٤) **(صحيح)** أخرجه (ت ن هـ)، وصححه الألباني في ص.ج ٢٠٢٠.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ:{**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ**} (١).

ويتضح من هذا الحديث أن المحافظة على الصلوات الخمس وصلاة الجمعة يكفر الذنوب دون الكبائر، ولصلاة الجماعة مزية خاصة بينها رسول الله، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :{**صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ بِضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً**} (٢).

و لقد هم رسول الله أن يحرق على المتخلفين عن صلاة الجماعة بيوتهم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه : أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم فَقَدَ نَاسًا فِي بَعْضِ الصَّلَوَاتِ فَقَالَ:{**لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ رَجُلًا يُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنْهَا فَآمُرَ بِهِمْ فَيُحَرِّقُوا عَلَيْهِمْ بِحُزَمِ الْحَطَبِ بُيُوتَهُمْ**} (٣).

ولقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدم قبول صلاة المتخلف عن صلاة الجماعة إلا لعذر، فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضى الله عنه : عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:{**مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يَأْتِهِ فَلَا صَلَاةَ لَهُ إِلَّا مِنْ عُذْرٍ -**} (٤). والعذر الشرعي كمرض أو نوم أو نسيان أو خوف.. إلخ، كما أنه لم يرخص للأعمى حين سَأَلَ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ فَقَالَ:{**هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟**} قَالَ: نَعَمْ قَالَ:{**فَأَجِبْ**} (٥).

ولقد كان الصحابة يعدون المتخلف عن صلاة الجماعة منافقًا، فَعَنْ عَبْدَ الله بْنَ مَسْعُودٍ رضى الله عنه قَالَ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى الله غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ الله شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ صلى الله عليه

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (ت) ٢١٤ وصححه الألباني.
(٢) **(صحيح)** أخرجه (حم ق د ه) وصححه الألباني في ص.ج برقم ٣٨٢٣.
(٣) **(صحيح)** أخرجه (م) ٦٥١.
(٤) **(صحيح)**أخرجه (ه حب ك) وصححه الألباني في ص.ج برقم ٦٣٠٠.
(٥) **(صحيح)**أخرجه (م) ٦٥٣.

وسلم سُنَنَ الْهُدَى وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ إِلاَّ كَتَبَ الله لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلاَّ مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ[١].

إخوتي في الله، إن من مظاهر ضعف الإيمان: التكاسل عن الطاعات والعبادات، وإضاعتها، وإذا أداها فإنما هي حركات جوفاء لا روح فيها، وقد وصف الله عز وجل المنافقين بقوله:**{وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى}** [النساء:١٤٢]، فيتأخر عن صلاة الجماعة ثم عن صلاة الجمعة، وقد قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ عَنْ الصَّفِّ الْأَوَّلِ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمْ الله فِي النَّارِ}**[٢]، ومثل هذا لا يشعر بتأنيب الضمير إذا نام عن الصلاة المكتوبة، وكذا لو فاتته سنة راتبة أو وِرْد من أوراده فإنه لا يرغب في قضائه، ولقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على أداء الرجل السنن الرواتب في البيت حتى يتأسى به أهل البيت، فَعَنْ زَيْدِ بن ثَابِتٍ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{فَعَلَيْكُمْ بِالصَّلاةِ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ خَيْرَ صَلاةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إلا الْمَكْتُوبَةَ}** [٣].

ولقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن منع النساء الصلاة في المسجد ولكن يخرجن غير متبرجات ولا يزاحمن الرجال وصلاتهن في بيوتهن خير لهن، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه : أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ:**{لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ الله مَسَاجِدَ الله وَلَكِنْ لِيَخْرُجْنَ وَهُنَّ تَفِلَاتٌ** - أي غير متبرجات -**}** [٤].

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (م)، ٦٥٤.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (د) وصححه الألباني في صت ٥١٠.

(٣) **(صحيح)** أخرجه (ن طب)، وصححه الألباني في ص.ج برقم ١١١٧.

(٤) **(صحيح)** أخرجه (د دارمي بيهقي حم)، وصححه الألباني في إصلاح المساجد ٩١.

الدرس السابع عشر:
الركن الثالث من أركان الإسلام إيتاء الزكاة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع الصحابي الجليل سعيد بن عامر، فعن حسان بن عطية قال: لما عزل عمر بن الخطاب معاوية ابن أبي سفيان عن الشام، بعث سعيد بن عامر قال: فخرج معه بجارية من قريش نضيرة الوجه، قال: فما لبث إلا يسيرا حتى أصابته حاجة شديدة قال: فبلغ ذلك عمر فبعث إليه بألف دينار قال: فدخل بها على امرأته فقال: إن عمر بعث إلينا بما ترين فقالت: لو أنك اشتريت أدما وطعاما وادخرت سائرها، فقال لها: أو لا أدلك على أفضل من ذلك نعطي هذا المال من يتجر لنا فيه فنأكل من ربحها وضمانها عليه، قالت: فنعم إذا، فاشترى أدما وطعاما واشترى غلامين وبعيرين يمتاران عليهما حوائجهم وفرقها على المساكين وأهل الحاجة، قال: فما لبث إلا يسيرا حتى قالت له امرأته: إنه قد نفد كذا وكذا فلو أتيت ذلك الرجل فأخذت لنا من الربح فاشتريت لنا مكانه قال: فسكت عنها ثم عاودته فسكت عنها حتى آذته ولم يدخل بيته إلا من ليل إلى ليل، قال: وكان رجل من أهل بيته ممن يدخل بدخوله فقال لها: ما تصنعين إنك قد آذيته، وإنه قد تصدق بذلك؟ قال: فبكت أسفًا على ذلك المال، قال: ثم إنه دخل عليها يوما فقال: على رسلك، إنه كان لي أصحاب فارقوني منذ قريب ما أحب أني صددت عنهم، وإن لي الدنيا وما فيها، ولو أن خيِّرة من خيرات الجنان اطلعت من السماء لأضاءت لأهل الارض، ولقهر ضوء وجهها الشمس والقمر ولنصيف تكسى خير من الدنيا وما فيها. فلأنت في نفسي أحرى أن أدعك لهن من أن أدعهن لك قال فسمحت ورضيت (٣٧).

ولقد حثنا الله تعالى على التعجيل بإخراج الزكاة المفروضة قبل مجيء يوم القيامة قال تعالى:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ}** [البقرة:٢٥٤].

أخي الحبيب، زكاة المال هى حق الفقراء في المال ويختلف قيمتها باختلاف نوع المال وقيمة المال، فقيمتها خمسة وعشرون لكل ألف للذهب والفضة والتجارة، وقيمتها عشر المحصول إذا كانت الأرض تروى بماء المطر بدون مجهود، ونصف العشر إذ كانت الأرض تروى بماء الترع أي بمجهود، في حين أن زكاة المال في حالة الغنم والبقر والإبل، يمكن معرفة تفصيلها من كتب الفقه، ومصارف زكاة المال ثمانية مصارف ذكرت في هذه الآية قال تعالى:{**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**} [التوبة:٦٠].

المعنى: ولزكاة المال ثمانية مصارف من هذه الآية: فهي للمحتاجين الذين لا يملكون شيئًا، وللمساكين الذين لا يملكون كفايتهم، وللسعاة الذين يجمعونها، وللذين تؤلِّفون قلوبهم بها ممن يُرْجَى إسلامه أو قوة إيمانه أو نفعه للمسلمين، أو تدفعون بها شرَّ أحد عن المسلمين، وتعطى في عتق رقاب الأرقاء والمكاتبين، وتعطى للغارمين لإصلاح ذات البين، ولمن أثقلَتْهم الديون في غير فساد ولا تبذير فأعسروا، وللغزاة في سبيل الله، وللمسافر الذي انقطعت به النفقة.

إخوتي في الله، من أخرج زكاة المال طيبة بها النفس ذاق طعم الإيمان، فَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مُعَاوِيَةَ الْغَاضِرِيِّ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم :{**ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ طَعِمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ: مَنْ عَبَدَ اللهَ وَحْدَهُ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ رَافِدَةً عَلَيْهِ كُلَّ عَامٍ وَلَا يُعْطِي الْهَرِمَةَ** - أي الكبيرة - **وَلَا الدَّرِنَةَ** - أي المريضة بالدرن - **وَلَا الْمَرِيضَةَ وَلَا الشَّرَطَ اللَّئِيمَةَ، وَلَكِنْ مِنْ وَسَطِ أَمْوَالِكُمْ فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَسْأَلْكُمْ خَيْرَهُ وَلَمْ يَأْمُرْكُمْ بِشَرِّهِ**} [١].

أمَّا الصدقات فليس لها حد معين فبعض الصالحين يخرج عشر المكسب في العام والبعض يخرج عشري المكسب في العام والبعض يخرج مبالغ غير محددة، على كال حال الصدقات تنمي المال وتباركه في الدنيا علاوة على

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (د)، وصححه الألباني في ص.ج ٣٠٤١.

الجزاء الكبير في الآخرة، وللإنفاق في سبيل الله والصدقات مزايا وفضائل وفوائد كثيرة نذكر منها:

أولاً: أنها تطفئ غضب الله سبحانه وتعالى كما في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : {**إِنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ**} [(١)].

ثانياً: أنها تمحو الخطيئة، وتذهب نارها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : {**وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ**}[(٢)].

ثالثاً: أنها وقاية من النار قال النبي صلى الله عليه وسلم :{**فَاتَّقُوا النَّارَ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**} [(٣)].

رابعاً: أن المتصدق في ظل صدقته يوم القيامة فقد ذكر النبيَّ صلى الله عليه وسلم أنَّ من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله:{**وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ**} [(٤)].

خامساً: أن في الصدقة دواء للأمراض البدنية، كما في قوله صلى الله عليه وسلم :{**وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ**} [(٥)].

سادسا: أن الله يدفع بالصدقة أنواعاً من البلاء فَعَنْ الْحَارِثَ الأَشْعَرِيِّ رضى الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:{**إِنَّ الله أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا.. فَقَالَ** - مما قاله -: **إِنَّ الله أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ: وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ الْعَدُوُّ، فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: أَنَا أَفْدِيهِ مِنْكُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ فَفَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ**} [(٦)].

سابعا: أن العبد إنما يصل إلى حقيقة البر بالصدقة كما جاء في قوله تعالى:

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (طب)، وصححه الألباني في صت ١٩٠٨.
(٢) **(صحيح لغيره)** أخرجه (ت)، وصححه الألباني في صت ٩٨٣.
(٣) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٧٠٧٤، و(م) ١٠١٦.
(٤) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٦٤٢١.
(٥) **(صحيح)**، وحسنه الألباني في ص.ج ٣٣٥٨.
(٦) **(صحيح)** أخرجه (ت)، وصححه الأباني في صت ٨٧٧.

{لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران: ٩٢].

ثامنــا: أن الله يضــاعف للمتصــدق أجـره كمــا فــي قولــه عـز وجـل :**{إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا الله قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ}** [الحديد: ١٨].

تاسعا:البركـة والنمـاء لمالـه فـي الـدنيا والثـواب العظـيم فـي الآخـرة، قـال تعـالى:**{مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَالله يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَالله وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١)}** [البقرة:٢٦١].

عاشرا: أن المنفق يدعو له المَلَك كل يوم بخلاف الممسك وفـي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم :**{مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللهمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللهمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا}** (١).

حادي عشر: أن صاحب الصدقة يبارك له في ماله كما أخبر النبي عن ذلك بقوله:**{مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ}** (٢).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ١٣٧٤، و(م) ١٠١٠.

(٢) **(صحيح لغيره)** أخرجه (حم ت)، وصححه الألباني في صت ٢٤٦٣.

الدرس الثامن عشر:
الركن الرابع من أركان الإسلام صوم رمضان

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع الصحابي الجليل أبي أمامة الباهلي في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضى الله عنه قَالَ: أَنْشَأَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم غَزْوَةً فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، ادْعُ الله لِي بِالشَّهَادَةِ فَقَالَ:{**اللهمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ**}قَالَ: فَسَلِمْنَا وَغَنِمْنَا قَالَ: ثُمَّ أَنْشَأَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم غَزْوًا ثَانِيًا فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، ادْعُ الله لِي بِالشَّهَادَةِ، فَقَالَ:{**اللهمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ**} قَالَ: ثُمَّ أَنْشَأَ غَزْوًا ثَالِثًا، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ:

يَا رَسُولَ الله، إِنِّي أَتَيْتُكَ مَرَّتَيْنِ قَبْلَ مَرَّتِي هَذِهِ، فَسَأَلْتُكَ أَنْ تَدْعُوَ الله لِي بِالشَّهَادَةِ فَدَعَوْتَ الله عز وجل أَنْ يُسَلِّمَنَا وَيُغَنِّمَنَا، فَسَلِمْنَا وَغَنِمْنَا يَا رَسُولَ الله، فَادْعُ الله لِي بِالشَّهَادَةِ فَقَالَ:{**اللهمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ**} قَالَ: فَسَلِمْنَا وَغَنِمْنَا، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله مُرْنِي بِعَمَلٍ قَالَ:{**عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ**} قَالَ: فَمَا رُئِيَ أَبُو أُمَامَةَ وَلاَ امْرَأَتُهُ وَلاَ خَادِمُهُ إِلاَّ صُيَّامًا، قَالَ: فَكَانَ إِذَا رُئِيَ فِي دَارِهِمْ دُخَانٌ بِالنَّهَارِ قِيلَ: اعْتَرَاهُمْ ضَيْفٌ نَزَلَ بِهِمْ نَازِلٌ، قَالَ: فَلَبِثَ بِذَلِكَ مَا شَاءَ الله، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَمَرْتَنَا بِالصِّيَامِ فَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ بَارَكَ الله لَنَا فِيهِ رَسُولَ الله، فَمُرْنِي بِعَمَلٍ آخَرَ قَالَ:{**اعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تَسْجُدَ لِله سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَ الله لَكَ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً**}(١).

أخي الحبيب، صيام شهر رمضان أحد أركان الإسلام، ولقد فرض الله عز وجل صيام رمضان على أمة الإسلام في العام الثاني من الهجرة، فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة رمضانات، والصيام عبادة قديمة تَعبَّد الله بها من كان قبلنا من الأمم قال تعالى مخاطباً عباده المؤمنين، السامعين المستجيبين، المنقادين لشرع الله:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(١٨٣) أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ**

(١) (**إسناده صحيح**) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم رجاله ثقات.

مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤)} [البقرة:١٨٣، ١٨٤].

المعنى: فلقد فرض الله عليكم الصيام كما فرضه على الأمم قبلكم؛ لعلكم تتقون ربكم، وفرض الله عليكم صيام أيام معلومة العدد وهي أيام شهر رمضان. فمن كان منكم مريضًا يشق عليه الصوم، أو مسافرًا فله أن يفطر، وعليه صيام عدد من أيام أُخَر بقدر التي أفطر فيها. وعلى الذين يتكلفون الصيام ويشقُّ عليهم مشقة غير محتملة كالشيخ الكبير، والمريض الذي لا يُرْجَى شفاؤه، فدية عن كل يوم يفطره، وهي طعام مسكين، فمن زاد في قدر الفدية تبرعًا منه فهو خير له، وصيامكم خير لكم مع تحمُّل المشقة من إعطاء الفدية، إن كنتم تعلمون الفضل العظيم للصوم عند الله تعالى.

ولكن لأمة محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الشهر المزيد من الفضل والخصوصية فهو شهر كريم فيه فضائل كثيرة لم تتوفر لغيرنا من الأمم، يقول الله تعالى**{يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}** [البقرة:١٠٥]، لما فيه من الثواب الجزيل، ومضاعفة الحسنات، وتكفير للخطايا، ومحو للسيئات، والدعاء المستجاب والعمل المقبول بإذن الله، ويبين الله تعالى حكمته من فرض صيام رمضان على أمة الإسلام قوله:**{لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}** أي أنكم تنالون بالصيام التقوى، ويتحقق لكم بصيامكم رمضان تقوى الله جل وعلا، وذلك بأن المسلم يتعبّد لله بترك الطعام والشراب، والنساء، وتلك من الأمور المحببة إليه، المغروس حبّها في نفسه، يتركها طاعة لله، وعبادةً يتقرب بها إلى الله، مع ميل النفس وحبها لها، فيحصل الخضوع والطاعة لرب العالمين.

إخوتي في الله، من رحمة الله تعالى أنه نَوَّعَ لنا العبادات، فقد شرع الله لنا عبادات متنوعة، وحكمته جل وعلا في تنوع العبادات: زيادة الإيمان، قال تعالى:**{لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ}** [الفتح:٤]، ومضاعفة الأجور وتقوية الرغبة في الخير.

والصائم يتعبد بالصيام لله فيما بينه وبين الله، يعلم أن الله يرضى منه ترك الشهوات، فيدعها طاعةً لربه، ويعلم أن الله مراقب عليه، وعالم بسره

وعلانيته، قال تعالى:{**الَّذِى يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**} [الشعراء:٢١٨ - ٢٢٠]، فيمتنع عن الإتيان بناقض من نواقض الصيام؛ لأنه على يقين من مراقبة الله له وعلمه بسره وعلانيته.

والنعم لا تعرف إلا بفقدها، فالصائم عندما يشتد به الظمأ، ويؤلمه الجوع، فيعرف عند ذلك قدر نعم الله، فيزداد شكراً لله، بما متّعه بهذه النعم في كل عامِه، ويتذكر الفقراء، فيواسيهم ويتصدق عليهم.

قال فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين عن المفطرات:

١ - **الأكل والشرب:** وأما الإبر غير المغذية مثل إبر البنسلين فهذه لا تفطر والأحوط للإنسان تركها في الصيام، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :{**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ**} (١).

٢ - **الجماع:** وهو من كبائر الذنوب للصائم في نهار رمضان، وفيه الكفارة المغلظة: عتق رقبة، فإن لم يجد رقبة فإنه يصوم شهرين متتابعين فإن لم يستطع يطعم ستين مسكيناً.

٣ - **الإنزال:** أي إنزال المني بفعل الصائم، مثل أن يقبّل زوجته فيمني فإنه يفسد صومه، وأما إذا كان الإنزال بغير فعله مثل أن يحتلم: فصيامه لا يبطل.

٤ - **الحجامة:** فيفطر الحاجم والمحجوم لحديث رافع بن خديج أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{**أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ**} (٢)، فأما خروج الدم بالجرح، أو قلع الضرس، أو الرعاف أو نحوه فلا يفطر الصائم.

٥ - **القيء:** إذا استقاء فقاء، فأما إن غلبه القيء بغير اختياره فإنه لا يفطر.

ويجوز للصائم أن يتطيب بما شاء من الطيب، ولا يفطر بذلك، وأيضاً أن يداوي عينه بما شاء من قطور، ولا يفطر بذلك.

ولشهر رمضان خصائص عظيمة، تفضل الله بها علينا، نذكر منها:

١ - أن صيامه وقيامه يكون سبباً لإدراك ليلة القدر التى هي خير من ألف

---

(١) (**صحيح**) أخرجه (ن) وصححه الألباني في ص.ج ٣٣٧٧.

(٢) (**صحيح**) أخرجه (د) ٢٣٦١ وصححه الألباني.

شهر من العبادة، وأيضا سببا لمغفرة الذنوب أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه : عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:**{مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ}** (١)، وَقَالَ:**{مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ}** (٢).

٢ - تفتح أبواب الجنة الثمانية، وتغلق أبواب النيران وينادي منادٍ يا بَاغِيَ الخَيْر أقبل، ويا باغي الشر أدبر، ولله عتقاء في هذا الشهر الكريم، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ: صُفِّدَتْ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِله عُتَقَاءُ مِنْ النَّارِ وَذَلكَ كُلَ لَيْلَةٍ}** (٣)

٣ - من فطر صائما كان له من الأجر مثل أجر الصائم ولا ينقص ذلك من أجر الصائم، فَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : **{مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا}** (٤).

ولقد حثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتناول وجبة السحور وتعجيل الفطر وأن نفطر على تمرات، وأيضا حذرنا من قول الزور والعمل به.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ)١٨٠٢، و(م)٧٦٠.
(٢) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٣٧، و(م) ٧٥٩.
(٣) **(صحيح)** أخرجه (ت) وصححه الألباني في ص.ج ٧٥٩.
(٤) **(صحيح)** أخرجه (ت ن ه خزيمة حب) وصححه الألباني في صت ١٠٧٨.

الدرس التاسع عشر:

الركن الخامس من أركان الإسلام حج البيت من إستطاع إليه سبيلا

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع العالم الزاهد عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى، فعن محمد بن علي بن الحسن بن شقيق قال: سمعت أبي يقول كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج، اجتمع إليه إخوانه من أهل مَرْو فيقولون: نصحبك يا أبا عبد الرحمن، فيقول لهم: هاتوا نفقاتكم فيأخذ نفقاتهم فيجعلها في صندوق ويقفل عليها ثم يكتري لهم - أي يوفر لهم المركوب - ويخرجهم من مرو إلى بغداد، فلا يزال ينفق عليهم ويطعمهم أطيب الطعام وأطيب الحلواء، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زي وأكمل مروءة، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، فإذا صاروا إلى المدينة قال: لكل رجل منهم ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة من طرفها؟ فيقول: كذا، ثم يخرجهم إلى مكة فإذا وصلوا إلى مكة فقضوا حوائجهم قال لكل رجل منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة؟ فيقول كذا وكذا فيشتري لهم، ويخرجهم من مكة فلا يزال ينفق عليهم حتى يصيروا إلى مرو، فإذا وصلوا إلى مرو جصص أبوابهم ودورهم، فإذا كان بعد ثلاثة أيام صنع لهم وليمة وكساهم فإذا أكلوا وشربوا دعا بالصندوق ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صرته بعد أن كتب عليها (٣٧). وقد أوجب الله على المستطيع من الناس في أي مكان قَصْدَ هذا البيت لأداء مناسك الحج، ومن جحد فريضة الحج فقد كفر، والله غني عنه وعن حجِّه وعمله، وعن سائر خَلْقه، فقال:**{وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ(٩٧)}** [آل عمران:٩٧]، وقد روى سعيد بن منصور في سننه بسند صحيح كما يقول السيوطي في الدر المنثور عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال: لقـــد هممتُ أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار، فينظروا كل من كان له جِدٌّ - أي يملك نفقة الحج - ولم

يحج، فليضربوا عليهم الجزية، ما هم بمسلمين.. ما هم بمسلمين.

أما من كان ينوي الحج، ولكنه يؤخر، ويسوِّف، ويقول: أحج العام، أحج بعد العام، حتى جاءه الأجل، وهو لم يحج، فليس داخلاً في هذا، وإن كان الحزم أن يعجل الإنسان بالحج؛ فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ الْفَضْلِ أَوْ أَحَدِهِمَا عَنْ الآخَرِ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ، فَإِنَّهُ قَدْ يَمْرَضُ الْمَرِيضُ، وَتَضِلُّ الضَّالَّةُ وَتَعْرِضُ الْحَاجَةُ}** [(١)].

أخي الحبيب، هناك بعض الأوامر التى أمرنا الله تعالى بها في الحج في قوله تعالى:**{وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِله فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُواْ الله وَاعْلَمُواْ أَنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ}** [البقرة:١٩٦].

والمعنى: أدُّوا الحج والعمرة تامَّيْنِ خالصين لوجه الله تعالى، فإن منعكم عن الذهاب لإتمامهما بعد الإحرام بهما مانع كالعدو والمرض، فالواجب عليكم ذَبْحُ ما تيسر لكم من الإبل أو البقر أو الغنم تقربًا إلى الله تعالى؛ لكي تَخْرُجوا من إحرامكم بحلق شعر الرأس أو تقصيره، ولا تحلقوا رؤوسكم إذا كنتم محصرين، حتى ينحر المحصر هديه في الموضع الذي حُصر فيه ثم يحل من إحرامه، كما نحر النبي صلى الله عليه وسلم في " الحديبية " ثم حلق رأسه، وغير المحصر لا ينحر الهدي إلا في الحرم، الذي هو محله في يوم العيد، اليوم العاشر وما بعده من أيام التشريق. فمن كان منكم مريضًا، أو به أذى من رأسه يحتاج معه إلى الحلق - وهو مُحْرِم - حَلَق، وعليه فدية: بأن يصوم ثلاثة أيام، أو يتصدق على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام، أو يذبح شاة لفقراء الحرم. فإذا كنتم في أمن وصحَّة: فمن استمتع بالعمرة إلى الحج وذلك باستباحة ما حُرِّم عليه بسبب الإحرام بعد انتهاء عمرته، فعليه ذبح ما تيسر من الهدي، فمن لم يجد هَدْيًا يذبحه فعليه

---

(١) **(حسن)** أخرجه (حم هـ) وحسنه الألباني في ص.ج ٦٠٠٤.

صيام ثلاثة أيام في أشهر الحج، وسبعة إذا فرغتم من أعمال الحج، ورجعتم إلى أهليكم، تلك عشرة كاملة لا بد من صيامها. ذلك الهَدْيُ وما ترتب عليه من الصيام لمن لم يكن أهله من ساكني أرض الحرم، وخافوا الله تعالى وحافظوا على امتثال أوامره واجتناب نواهيه، واعلموا أن الله شديد العقاب لمن خالف أمره.

ومنهيات الحج بينها الله تعالى فقال تعالى :**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلآئِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}** [المائدة:٢].

والمعنى: يا أيها الذين آمنوا، لا تتعدَّوا حدود الله ومعالمه، ولا تستحِلُّوا القتال في الأشهر الحرم، وهي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، وكان ذلك في صدر الإسلام، ولا تستحِلُّوا حرمة الهَدْي، ولا ما قُلِّدَ منه؛ إذ كانوا يضعون القلائد، وهي ضفائر من صوف أو وَبَر في الرقاب علامةً على أن البهيمة هَدْيٌ وأن الرجل يريد الحج، ولا تَسْتَحِلُّوا قتال قاصدي البيت الحرام الذين يبتغون من فضل الله ما يصلح معايشهم ويرضي ربهم. وإذا حللتم من إحرامكم حلَّ لكم الصيد، ولا يحمِلَنَّكم بُغْض قوم من أجل أن منعوكم من الوصول إلى المسجد الحرام - كما حدث عام " الحديبية " - على ترك العدل فيهم. وتعاونوا - أيها المؤمنون فيما بينكم - على فِعْل الخير، وتقوى الله، ولا تعاونوا على ما فيه إثم ومعصية وتجاوز لحدود الله، واحذروا مخالفة أمر الله فإنه شديد العقاب.

وللحج مواقيت زمانية - كما ذكر كثير من أهل العلم - هي: شوال، وذو القعدة وعشر من شهر ذي الحجة، وهي المدة الزمنية التي إذا أدى المسلم فيها العمرة بنية التمتع، ثم حج من العام نفسه أصبح متمتعًا.

أما المواقيت المكانية للحج والعمرة فهي الخمسة المعروفة: ذو الحُلَيْفَة وقرن المنازل ويَلَمْلَم والجحفة وذات عرق فلا يجوز تجاوزها لمن أراد حجًّا أو عمرة، فإن تجاوزها فعليه الرجوع، فإن أحرم بعد تجاوزها صح إحرامه وعليه دم يجبر النقص الذي حصل بترك الواجب.

إخـوتي فـي الله، للحـج آداب وواجبـات فمـن آداب الحـج تحقيـق قـول الله تعـالى:{**فَمَـنْ فَـرَضَ فِـيهِنَّ الْحَـجَّ فَـلا رَفَـثَ وَلا فُسُـوقَ وَلا جِـدَالَ فِـي الْحَجِّ (١٩٧)**} [البقرة:١٩٧]، والرفث يطلق على الجماع، ويطلق على الفحش من القول والفعل، والفسوق هي المعاصي كلها، أما الجدال فهو المخاصمة بالباطل، ولعلنا نتساءل ما أركان وواجبات الحج والعمرة؟

فأركـان الحـج هـي: الإحـرام بلـبس ملابس الإحـرام من الميقـات، والوقـوف بعرفـة بعد فجـر يـوم التاسـع مـن شـهر ذى الحجـة، وطـواف الافاضـة بعد العودة من المزدلفة إلى منى يوم العاشر، والسعي بين الصفا والمروة.

وواجبـات الحـج: الإحـرام من الميقـات، والوقـوف بعرفـة إلـى غـروب شـمس يوم التاسع من شهر ذى الحجة، والمبيت بالمزدلفة بعد الخـروج مـن عرفـة، والمبيت ليالى التشريق الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من شـهر ذي الحجة بمني،ورمي الجمـار جمـرة العقبـة يـوم النحـر (٧ حصـوات علـى العقبـة الكبـرى يـوم العاشـر مـن ذى الحجـة) والجمـار الـثلاث أيـام التشـريق بمنى(سبع حصوات على العقبـة الصـغرى ثـم الوسـطى ثـم الكبري)،والحلـق والتقصـير يـوم النحـر، ونحـر الهـدى للمتمتـع والقـارن، والمتمتـع الـذى قـام بعمرة ثم تحلل من العمرة ثم أحرم مرة ثانيـة بـالحج يوم الترويـة أى الثـامن مـن شـهر ذى الحجـة، والقـارن هـو الـذى قـرن الحـج بـالعمرة بـإحرم واحـد، والمفرد الذى نوى الحج فقط، ثم طواف الوداع.

وأركان العمرة: الإحرام والطواف حول الكعبة والسعي بين الصفا والمروة.

وواجبات العمرة: الإحرام من الميقات، والحلق والتقصير.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس العشرون:

التمسك بشريعة الإسلام والحذر من الارتداد

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة ذكرت في كتاب الداء والدواء للشيخ محمد الهبدان عن سوء خاتمة مؤذن تنصر ليتزوج امرأة نصرانية، قال عبد الحق الإشبيلي رحمه الله: ويروى أنه كان بمصر رجلٌ يلزم مسجداً للأذان والصلاة، وعليه بهاء الطاعة ونور العبادة فَرَقِيَ يوماً المنارة على عادته للأذان، وكان تحت المنارة دارٌ لنصراني فاطَّلع فيها، فرأى ابنة صاحب الدار، فافْتُتِنَ بها، فترك الأذان، ونزل إليها، ودخل الدار عليها، فقالت له: ما شأنك؟! وما تريد؟! قال: أريدك! قالت: لماذا؟ قال: قد سلبت لُبّي وأخذتِ بمجامع قلبي. قالت: لا أجيبك إلى ريبة أبدا. قال: أتزوجُك.قالت: أنت مسلم وأنا نصرانية،وأبي لا يزوجني منك، قال: أتنصر. قالت: إن فعلت أفعلُ، فتنصَّر الرجل ليتزوجها، وأقام معهم في الدار، فلما كان في أثناء ذلك اليوم؛ رَقِيَ إلى سطحٍ كان في الدار، فسقط منه، فمات، فلم يظفر بها، وفاته دينه.

إخوتي في الله، لقد أمرالله عباده المؤمنين، بأن يدخلوا في جميع شرائع الإسلام وأن يعملوا بجميع أحكامه، بدون أن يتركوا شيئًا منها، ولا يتتبعوا طرق الشيطان فيما يدعوهم إليه من المعاصي، لأنه لهم عدو ظاهر العداوة قال تعالى:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٠٨)}** [البقرة:٢٠٨].

والله جل وعلا أمر عباده المؤمنين كذلك بأن يخافوه حق الخوف وذلك بأن يطاع فلا يُعصى، ويُشكَر فلا يكفر، ويُذكَر فلا ينسى، مع المداومة على التمسك بإسلامهم إلى آخر حياتهم قال تعالى:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢)}** [آل عمران:١٠٢].

والله جل وعلا حذر عباده المؤمنين من أن يرتدوا عن الإسلام وذلك برد أو

إنكار أى آية أو قول أو فعل أو إقرار لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**} [المائدة:٥٤].

وكذلك حذرنا عز وجل من قبول بعض الكتاب ورد بعضه كما فعل بنو إسرائيل من قبل لأن من فعل ذلك ليس له جزاء إلا الذل والفضيحة في الدنيا ويوم القيامة يردُّهم الله إلى أفظع العذاب في النار قال تعالى: {**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥)**} [البقرة:٨٥].

معاشر الإخوة، إن الارتداد عن دين الإسلام إلى الكفر، تارة يكون بترك الإسلام بالكلية إلى ملة من ملل الكفر، وتارة يكون بارتكاب ناقض من نواقض الإسلام، لذا كان من الضروري أن نتناول بعضها حتى نحذر من الوقوع فيها، وهذا الباب زلت فيه أقدام وضلت فيه أفهام، وهو من أخطر الأبواب وأعظمها في الدين لا يتجرأ عليه إلا ضعيف الدين قليل الورع، فتكفير المعين - أي شخص محدد بعينه - يحتاج إلى استيفاء شروط وانتفاء موانع، وتفصيل ذلك في كتب أخرى مطولة وليس في هذا الكتاب، وإنما اكتفيت هنا بالإشارة إلى بعض نواقض الإسلام وبعض صور الردة على سبيل الإجمال والعموم، ولمن يرغب في التوسع في هذا الموضوع فليراجع الكتب المتخصصة في ذلك والله أعلم، ونذكر من نواقض الإسلام وصور الردة على سبيل الإجمال والعموم ما يلي (٢٧):

١ - **الشرك في عبادة الله تعالى،** مثل التقرب إلى الموتى بطلب الحاجات منهم، وصرف النذور لهم والذبح لأضرحتهم، والذبح للجن لطلب شفاء المريض قال تعالى:{**إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً(٤٨)**} [النساء:٤٨].

٢ - **جحد ما علم من الدين بالضرورة وجوبه؛** كإنكار فرض الصلاة، أو الزكاة، أو الصوم، أو الحج ونحو ذلك، أو من قال بتناسخ الأرواح أي

أن من مات تنتقل روحه إلى غيره لأن فيه إنكار البعث، وكذلك الشك في قدم العالم أو بقائه أو أنكر وجود الله تعالى، أو من قال إن العالم باق على الدوام فلا يفنى لأنه يستلزم إنكار القيامة ولو اعتقد حدوثه وهو تكذيب للقرآن الكريم ونحو ذلك.

٣ ـ **استحلال ما علم تحريمه في الإسلام بالضرورة**؛ كالزنا، وشرب الخمر، وقتل النفس عمدًا بغير حق وعقوق الوالدين ونحو ذلك، ومنها: سب الله، أو رسوله، أو دين الإسلام، أو الملائكة ونحو ذلك.

٤ ـ **بغض شيءٍ مما جاء به الرسول** صلى الله عليه وسلم **ولو عمل به كفر إجماعا**، قال تعالى:**{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ الله فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ(٩)}** [محمد:٩].

٥ ـ **طاعة العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله**، أو تحليل ما حرمه، فقد اتخذهم أربابا من دون الله، قال تعالى:**{اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}** [التوبة:٣١].

٦ ـ **الاستهزاء بشيء مما جاء به الرسول** صلى الله عليه وسلم، كالذي يستهزئ بإعفاء اللحى أو بالسواك أو بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو بالجهاد أو غير ذلك.

قال تعالى:**{وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِالله وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ(٦٥)}** [التوبة:٦٥].

٧ ـ **من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباع رسول الله** صلى الله عليه وسلم **وأنه يسعه الخروج من شريعة الإسلام**، كما وسع الخضر الخروج من شريعة موسى عليهما السلام والدليل قول الله تعالى:**{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ(٨٥)}** [آل عمران:٨٥].

٨ ـ **ترك الصلاة مع جحودها**، قال الإمام النووي في شرح مسلم: فان كان منكرا لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين خارج من ملة الإسلام، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام، ولم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب

الصلاة عليه، وإن كان تركها تكاسلا مع اعتقاده وجوبها كما هو حال كثير من الناس، فقد اختلف العلماء فيه فذهب مالك والشافعى رحمهما الله والجماهير من السلف والخلف إلى أنه لا يكفر بل يفسق ويستتاب فإن تاب والا قتلناه حدا كالزانى المحصن، ولكنه يقتل بالسيف، وذهب جماعة من السلف إلى أنه يكفر وهو إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل رحمه الله.

٩ ـ السحر ومنه الصرف والعطف، فالصرف أى ما يفرق بين الزوجين ـ والعطف ـ أى الأعمال التي تحبب الرجل في المرأة والعكس ـ فمن فعله أو رضى به كفر قال تعالى:{**وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ (١٠٢)**} [البقرة:١٠٢].

١٠ ـ مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: {**وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(٢٣)**} [التوبة:٢٣]، كمن يعمل عيناً للتجسس على المسلمين لصالح الأعداء، قال بعض أهل العلم إن عمل جاسوسا ليس رضا بالكفر، ولكن لدنيا يصيبها فهو مرتكب لكبيرة، وإن فعلها حبا للكفر وبغضا للإسلام وإظهارا لشعائر الكفر على الإسلام فهو كافر.

وينبغي الحذر من الارتداد عن دين الإسلام للحصول على منافع دنيوية فالمرتد عن دين الإسلام له عقوبة في الدنيا وهو القتل وفي الآخرة يكون من أصحاب الجحيم والعياذ بالله.

ولقد حذرنا الله سبحانه وتعالى من طاعة أهل الكتاب والكفار من إلقائهم الشبه لنا في الدين فنرتد عن الدين، قال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠)**} [آل عمران:١٠٠]، وقال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ (١٤٩)**} [آل عمران:١٤٩].

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس الحادي والعشرون:
توحيد الله تعالى

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة عبد الله بن حذافة السهمي كما ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن حذافة السهمي أحد الصحابة أنه أسرته الروم، فجاؤوا به إلى ملكهم فقال له: تَنَصَّر وأنا أُشْركك في مُلْكِي وأزوجك ابنتي، فقال له: لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما تملكه العرب على أن أرجع عن دين محمد صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما فعلت، فقال: إذاً أقتلك، فقال: أنت وذاك، قال: فأمر به فصلب، وأمر الرماة فرموه قريباً من يديه ورجليه وهو يعرض عليه دين النصرانية فيأبى، ثم أمر به فأنزل، ثم أمر بقدر، وفي رواية ببقرة من نحاس فأحميت، وجاء بأسير من المسلمين فألقاه وهو ينظر، فإذا هو عظام تلوح، وعرض عليه فأبى، فأمر به أن يُلْقى فيها، فرفع في البكرة ليلقى فيها، فبكى فطمع فيه ودعاه، فقال: إنما بكيتُ لأن نفسي إنما هي نفس واحدة تُلقى في هذه القدر الساعة في الله، فأحببت أن يكون لي بعدد كل شعرة في جسدي نفس تعذب هذا العذاب في الله. وفي بعض الروايات أنه سجنه ومنع منه الطعام والشراب أياماً، ثم أرسل إليه بخمر ولحم خنزير فلم يقربه، ثم استدعاه فقال: ما منعك أن تأكل؟ فقال: أما إنه قد حل لي، ولكن لم أكن لأِشَمِّتك بي، فقال له الملِك: فقبل رأسي وأنا أُطْلِقك، فقال: وتطلق معي جميع أسارى المسلمين؟ قال: نعم، فقبل رأسه فأطلقه وأطلق معه جميع أسارى المسلمين عنده، فلما رجع، قال عمر رضى الله عنه : حق على كل مسلم أن يُقَبِّل رأس عبد الله بن حذافة، وأنا أبدأ، فقام فقبل رأسه رضى الله عنه.... اهـ.

أخي الحبيب، الهواء تحسُّه الأيدي ولا تراه من أخفاه؟ النَّبت في الصحراء من أرْبَاه؟ البدر من أتمَّه وأسراه؟ النخل من شقَّ نواه؟ الجبل من أرساه؟ الصخر من فجَّر منه المياه؟ النهر من أجراه؟ البحر من أطغاه؟ الليل من حاك دُجَاه؟ الصُّبح من أسفره وصاغ ضحاه؟ النوم من جعله وفاة؟

واليقظة منه بعثًا وحياة؟!! العقل من منحه وأعطاه؟ النحل من هداه؟ الطير في جو السماء من أمسكه ورعاه؟ في أوكاره من غذَّاه ونمَّاه؟ الجبار من يقصمه؟ المظلوم من ينصره؟ المضطّر من يجيبه؟ الملهوف من يغيثه؟ الضال من يهديه؟ الحيران من يرشده؟ العاري من يكسوه؟ الجائع من يشبعه؟ الكسير من يجبره؟ الفقير من يغنيه؟ أنت، أنت مَنْ خلقك؟ من صوَّرك؟ من شق سمعك وبصرك؟

ستجيب ما في الكون من آياته ::: عجب عجاب لو ترى عيناكا
ربي لك الحمد العظيم لذاتك ::: حمدًا وليس لواحد إلاَّكا
إن لم تكن عيني تراك ::: فإنني في كل شيء أستبين عُلاكا

الكون كله بكائناته يسجد لله ويخضع ويذل وتبقى فئة من الناس معرضة، كل الخلائق تسجد لله رب العالمين، قال تعالى:{**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (١٨)**} [الحج:١٨]، فسبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، وَعن عمرو بن عبسة قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{**مَا تَسْتَقِلُّ الشَمْسُ فَيَبقَى شَيءٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ إلا سَبَّحَ اللهَ بِحَمدِهِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ الشَّيَاطِينِ وَأَغْبِيَاءِ بَنِي آدَمَ**} [(١)]، وصدق رسول
الله صلى الله عليه وسلم (٥٩).

إخوتي في الله، **الشرك شركان : شرك أكبر، وشرك أصغر .**

الشرك الأكبر: وهو أن يجعل الند شريكا لله في أنواع العبادات أو بعضها كمن يذبح لغير الله، وينذر لغير الله، ويدعو غير الله، ويستعين بغير الله ويخاف غير الله ويرجو ويستغيث بغير الله.

الشرك الأصغر: مثل الحلف بغير الله، أو في الرياء وهو أن يعمل الرجل العمل من أجل الناس حتى يثنوا عليه كمن يحسن صلاته من أجل الناس، ومن ينفق الأموال ويتصدق حتى يقول الناس: أنه منفق، ومن يجاهد

(١) **(حسن)** أخرجه أبو نعيم في الحلية وحسنه الألباني في ص.ج ٥٥٩٩.

بشجاعة ليقال: شجاع.

والإيمان بالله عز وجل: هو الإيمان بوجوده وإفراده بالربوبية والألوهية والإيمان بجميع أسمائه وصفاته، فتوحيد الربوبية أى الإيمان بأن الله هو الخالق الرازق المدبر لهذا الكون وحده لا شريك له، وتوحيد الألوهية هو إفراد الله تعالى بالعبادة كالدعاء والإنابة والاستغاثة والرجاء والخوف والذبح..إلخ، وتوحيد الأسماء والصفات أي الإيمان بأسمائه وصفاته التى جاءت في الكتاب والسنة، وطريقة أهل السنة في توحيد أسماء الله وصفاته على ثلاثة أوجه:

الأول: إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، فالله سبحانه وتعالى سميع، فالسمع معلوم والكيف مجهول، وكذا الله بصير، فالبصر معلوم والكيف مجهول، وهكذا لباقي الصفات، ونحن نؤمن بأن كل صفات الله الواردة في الكتاب والسنة حقيقية تليق بجلال الله ولا تماثل المخلوقين.

الثاني: نفي ما نفاه الله عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله من صفات النقص، فالله تعالى نفى عن نفسه الظلم، ومن ثم يثبت الضد فهو العدل.

الثالث: أما ما لم يرد نفيه ولا إثباته مما تنازع عليه الناس كالجسم والحيز والجهة ونحوه فنتوقف في لفظه، فلا يثبت ولا ينفى لعدم وروده، وأما معناه إن أريد به باطل ينزه الله عنه ردوه، وإن أريد به حق لا يمتنع عن الله قبلوه.

والعبادة التي أمر الله بها لا تسمى عبادةً إلا مع توحيد الله تعالى، فلا تصح العبادة مع الشرك، ولا يوصف أحد بأنه عبد لله تعالى إلا مع تحقيقه التوحيد، وإفراد الله تعالى وحده بالعبادة، فمن عَبَد الله تعالى وأشرك معه غَيْرَه فليس عبدا لله.

فتوحيد الله تعالى، وإخلاص العبادة لله وعدم الإشراك به، هو الشرط في قبول العبادة عند الله، إضافة إلى أن العبادة لا تكون مقبولة إلا بموافقة الشرع وعلى وفق سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى:**{بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِله وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا**

هُـــــــــــــمْ يَحْزَنُـــــــــــــونَ}

[البقرة:١١٢].

ومعنى{**أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّه**} أي: حقق التوحيد فأخلص عبادته لله.

ومعنى{**وَهُوَ مُحْسِنٌ**}، أي: مُتَّبع لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

و عبادة الله عز وجل لها ثلاثة أصول مجتمعة وهي المحبة والخوف والرجاء، فمن عبد الله بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن (١٨).

فالحب بمثابة رأس الطائر، والخوف والرجاء للمؤمن بمثابة الجناحين للطائر، فلابد أن يجتمع كل من الخوف والرجاء في قلب المؤمن حتى يحلق في سماء الإيمان، ومن المعلوم أن من كان بالله أعرف كان منه أخوف، فينبغي على المؤمن التحلي بدوام المراقبة لله تعالى في السر والعلن، فإن الله تعالى يلوم العبد الذي لم يعظمه حق التعظيم، والله تعالى يقول:{**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ**} [الحديد:٤].

لذلك جمع الله بين الخوف والرجاء في سياق واحد في معرض مدحه لعباده المؤمنين، فقال:{**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً**} [الإسراء: ٥٧]، وقال:{**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**} [الأنبياء:٩٠].

وَعَنْ أَنَسٍ رضى الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ الله إِنِّي أَرْجُو الله، وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :{**لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ الله مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ**} [(١)].

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

---

(١) **(حسن)** أخرجه (ت هـ) وحسنه الألباني في صت ٣٣٨٣.

الدرس الثاني والعشرون:
إخلاص العمل لله تعالى

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع صاحب النقب، أخرج ابن قتيبة الدينوري في عيون الأخبار عن حاتم عن الأصمعيّ قال: حدّثنا أبو عمرو الصّفّار قال: حاصر مَسْلَمَةُ بن عبد الملك حصنا فندب - أي حث - الناس إلى النقب - أي النفق -، فما دخله أحد، حتى جاء رجل من عرض الجيش - أي جيش المسلمين - فدخله وعالج الباب - أي تعامل مع الباب - فكسره، ففتحه الله عليهم، فنادى مَسْلَمَةُ على صاحب النَقَب فما جاء أحد.

قال: فليدخل عليَّ ساعة يأتي. فأتى رجل فقال للحاجب - أي الحارس -: استأذن لي على الأمير.فقال: أنت صاحب النقب؟ قال: أنا أخبركم عنه.فأتى مسلمة فأخبره الحاجب، فأذن له، فقال له: إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثا: ألا تسودوا - أي تكتبوا - اسمه في صحيفة الخليفة، ولا تأمروا له بشيء، ولا تسألوه من هو؟ قال مسلمة: نعم فمن هو؟ قال الرجل: أنا هو ثم اختفى، فكان مَسْلَمَةُ لا يصلى صلاة إلا قال: اللهم اجعلنى مع صاحب النقب.

ولقد حثنا الله عز وجل على الإخلاص في الأعمال، فقال تعالى على لسان إبراهيم صلى الله عليه وسلم :**{قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}** [الأنعام:١٦٢]، وقال تعالى:**{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}** [البينة:٥].

وعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضى الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:**{إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ}**

[١]، وعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ رضى الله عنه : أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ:{**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**}، قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ:{**الرِّيَاءُ يَقُولُ الله** عز وجل **لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاؤُونَ فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً**} [٢].

أخي الحبيب، قال أحد الحكماء: مَثَل من يعمل الطاعات للرياء والسمعة كَمَثَلِ رجل خرج إلى السوق وملأ كيسه حصاة، فيقول الناس: ما ملأ كيس هذا الرجل! ولا منفعة له سوى مقالة الناس، ولو أراد أن يشتري شيئا لا يُعْطَى به شيئا، كذلك الذي عمل العمل لِيُرائي الناس لا ثواب له في الآخرة كما قال الله تعالى:{**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُوراً(٢٣)**} [الفرقان:٢٣]، يعنى أن الأعمال التى عملوها لغير وجه الله أبطلنا ثوابها وجعلناها كالهباء المنثور، وهو الغبار الذي يرى في شعاع الشمس، فالرجلان بجوار بعضهما، يصليان صلاة واحدة، وخلف إمام واحد، وبينهما كما بين الأرض والسماء.

الله أكبر! كم من عمل صغير تكبره النية، وكم تبلغ مجرد النية بأصحابها ولو لم يعملوا، أخرج البخاري في صحيحه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضى الله عنه : أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَدَنَا مِنْ الْمَدِينَةِ فَقَالَ:{**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ**} قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ:{**وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ حَبَسَهُمْ الْعُذْرُ**} [٣].

وهذا والله هو الفضل أن تنوي الخير وتسبق بنيتك، فلا تحرم نفسك من هذا الفضل العظيم، وهل يميز المؤمن عن المنافق إلا بما في قلب كل منهما؟!! إنه الإخلاص رفع الله به قوماً، ووضع بتركه آخرين(٤١).

قال تعالى:{**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ الله وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ**

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ)٢٣٩٢ و(م) ١٩٠٧.
(٢) **(صحيح)** أخرجه (حم) وصححه الألباني في ص.ج ١٥٥٥.
(٣) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٤١٦١.

قامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ الله إِلاَّ قَلِيلاً (١٤٢)} [النساء:١٤٢].

معاشر الإخوة، من الوسائل التى تعين على تحقيق الإخلاص ما يلى:

أولاً: أن تعرف ما هو الإخلاص؟ والإخلاص: أن يكون العمل لله لا ترى فيه نفسك ولا حظوظها، ولا ترى فيه الخلق؛ وعلامة الإخلاص: استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن، وليس معنى ذلك أن تعذب نفسك بكثرة الوساوس، وهل أنت مخلص أم مُرَاءٍ، فتنبه؛ فكم من الناس يحرمون أنفسهم من الأعمال بحجة: نخشى أن نقع في الرياء. يتركون الكثير من الأعمال بحجة أن هذا العمل رياء، والعلاج تصحيح النية.

ثانياً: معرفة الله وعظمته وقدرته وفضله**{وَلَوْلا فَضْلُ** الله **عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ الله يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَالله سَمِيعٌ عَلِيمٌ}** [النور:٢١]، فهل ينظر للخلق من عرف الله بحق؟! بالطبع لا.

ثالثاً: معرفة النفس وأنها جاهلة ظالمة طبعها الكسل وحب الشهوات، والظهور، فتذكر يا ابن آدم أنك تموت، وتدخل القبر وحدك، وتبعث وحدك، وتحاسب وحدك، فتنبه!! فلا يغرك الناس فأنت أعلم بنفسك.

رابعاً: اعلم أنك عبد محض، والعبد لا يستحق على خدمته لسيده أجراً، إذ هو يخدمه بمقتضى عبوديته، فما يناله من سيده من الأجر فهو تفضل منه.

خامساً: أنت مخلوق ضعيف**{خُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً}** [النساء:٢٨]، فَأَكثر من الاستعانة بالله، وألح عليه بالدعاء أن يرزقك الإخلاص قبل العمل، وأثناء العمل وبعد العمل، واستعذ بالله من شر نفسك ومن الرياء،

فَعَنْ أَبِي عَلِيٍّ رَجُلٍ مِنْ بَنِي كَاهِلٍ قَالَ: خَطَبَنَا أَبُو مُوسَى رضى الله عنه فَقَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ:**{أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ}** فَقَالَ لَهُ مَنْ شَاءَ الله أَنْ يَقُولَ: وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ:**{قُولُوا اللهمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُ}**(١) (٥٤).

إخوتي في الله، هناك أمور يجب التنبيه عليها في مسألة الإخلاص:

---

(١) **(حسن لغيره)** أخرجه (حم طس ش) وحسنه الألباني صت ٣٦.

أولاً: إخفاء الأعمال علامة على الإخلاص لكنه ليس شرطاً للإخلاص، المهم ألا تقصد نظر الناس إليك، ولا يهمك نظرهم وقولهم.

ثانياً: ليس من الرياء نشاط العبد للخير عند مجالسة الصالحين، فإن مجالستهم تبعث على النشاط وعلو الهمة، فليكن عملك لله وليس لهم وإن كانوا سبباً في تشجيعك للعمل، لكن احذر الكسل على الدوام، قال علي ابن أبي طالب رضى الله عنه : للمرائي علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أثني عليه، وينقص إذا ذم به.

ثالثاً: ثناء الناس ومدحهم لا ينافي الإخلاص، بل قد يكون عاجل بشرى المؤمن، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضى الله عنه قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنْ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ قَالَ:{**تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ**} (١)، لكن إياك أن يكون العمل طلباً للثناء، أو حتى انتظار الثناء من المخلوقين، فالمخلص يفر من الشهرة، ولكن الله يضع له القبول في الأرض فيسر العبد بفضل الله، قال ابن رجب: وهنا نكتة دقيقة، وهي أن الإنسان قد يذم نفسه بين الناس، يريد بذلك أن يُري الناس أنه متواضع، فيرتفع بذلك عندهم.

رابعاً: ليس معنى الإخلاص ترك العمل خوفا من الرياء، قال الفضيل ابن عياض: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما. نسأل الله أن يعافينا وإياكم منهما.

خامساً: يقول ابن القيم رحمه الله: لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس، إلا كما يجتمع الماء والنار.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) **(صحيح)** أخرجه (م) ٢٦٤٢.

الدرس الثالث والعشرون:

الإيمان بالملائكة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة نزول جبريل عليه السلام بالرسالة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار حراء. أخرج البخاري في صحيحه عن عَائِشَةَ رضى الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَتْ: كَانَ أَوَّلَ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ فَكَانَ يَلْحَقُ بِغَارِ حِرَاءٍ، فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ. قَالَ: وَالتَّحَنُّثُ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ بِمِثْلِهَا، حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ:**{اقْرَأْ}**، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{مَا أَنَا بِقَارِئٍ}**، قَالَ: **فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي}**، فَقَالَ:**{اقْرَأْ**، قُلْتُ:**{مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي}** فَقَالَ:**{اقْرَأْ}**، قُلْتُ:**{مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي}**، فَقَالَ:**{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ(٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ(٥)}** [العلق: ١ - ٥]، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ فَقَالَ:**{زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي}**، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، قَالَ لِخَدِيجَةَ:**{أَيْ خَدِيجَةُ، مَا لِي! لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي فَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ}**، قَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلاَّ، أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لاَ يُخْزِيكَ الله أَبَدًا، فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ - أي تنفق على الضعيف -، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ - تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك -، وَتَقْرِي الضَّيْفَ - أي تكرمه -، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أَبِيهَا، وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ، وَيَكْتُبُ مِنْ

الإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ الله أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، قَالَ: وَرَقَةُ يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ: وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ - أي جبريل - الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى، لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا. قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :{**أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟**} قَالَ وَرَقَة: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ أُوذِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ حَيًّا أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ [(١)].

وَعَنْ عَائِشَةَ رضى الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :{**خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ**} [(٢)].

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضى الله عنه : عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:{**أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ** الله **مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ**}[(٣)].

إخوتي في الله، نحن نحب الملائكة جميعهم ونواليهم ولا نفرق بين ملك وآخر؛ لأنهم جميعا عباد لله تعالى عاملون بأمره وتاركون لنهيه ولقد زعم اليهود أن جبريل عدو لهم وأن ميكائيل ولي لهم فأخبرهم ربهم بأن من عادى أحدا منهم فقد عادى الله عز وجل ، قال الله تعالى:{**قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧)**} [البقرة: ٩٧].

ولقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام على صورته مرتين: أحدهما في غار حراء، والأخري في رحلة الإسراء والمعراج رآه بستمائة جناح يسد الأفق بين المشرق والمغرب.

وأخبرنا الله عز وجل بأن الملائكة لهم أجنحة يتفاوتون في أعدادها مثنى وثلاث ورباع، ومنهم من له أكثر من ذلك كما أسلفنا أن جبريل عليه

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٤٦٧٠.
(٢) **(صحيح)** أخرجه (م) ٢٩٩٦.
(٣) **(صحيح)** أخرجه (د طس ن) وصححه الألباني في س.ص ١٥١.

السلام له ستمائة جناح، وهم خلق من نور وليسوا كالبشر يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتزوجون مطهرون من الشهوات ومنزهون عن الآثام والخطايا ولا يتصفون بشيء من الصفات المادية لبني آدم، غير أنهم لهم القدرة أن يتشكلوا بصور البشر، والملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم فهم يتأذون من رائحة الثوم والبصل والكرات، ولا تدخل الملائكة بيت فيه كلب أو صورة ولا يملون ولا يتعبون من عبادة الله عز وجل . وأن الملك الموكل بالوحي إلى الرسل عليهم الصلاة والسلام هو الروح الأمين جبريل عليه السلام، قال تعالى:**{وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ(١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ(١٩٥)}** [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥].

والملك الموكل بالقطر أى المطر هو ميكائيل عليه السلام وهو ذو مكانة عالية عند ربه عز وجل وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به ويصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الله عز وجل ، والملك الموكل بالنفخ في الصور، فالنفخة الأولى نفخة الصعق لصعق كل الخلائق إلا من شاء الله، والنفخة الثانية نفخة البعث والنشور فإسرافيل عليه السلام قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له للنفخ في الصور وحسبنا الله ونعم الوكيل وعلى الله توكلنا.

فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : **كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدْ الْتَقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ وَحَنَى جَبْهَتَهُ وَأَصْغَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ أَنْ يَنْفُخَ فَيَنْفُخَ** قَالَ الْمُسْلِمُونَ: فَكَيْفَ نَقُولُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: **قُولُوا حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الْوَكِيلُ تَوَكَّلْنَا عَلَى** الله **تَوَكَّلْنَا** [(١)].

وملك الموت وأعوانه هم الموكلون بقبض الأرواح قال تعالى:**{قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١١)}**

[السجدة: ١١].

والملائكة الموكلة بحفظ العبد في الحضر والسفر وفي النوم واليقظة وفي كل حالاته ويحصون ما يصدر عنه من خير أو شر هم المعقبات،

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (حم ت حب ك) وصححه الألباني في ص.ج ٤٥٩٢.

قال تعالى:{**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ (١١)**} [الرعد: ١١].

والملائكة الموكلة بإحصاء ما يصدر من العبد من خير وشر هم الكرام الكاتبون قال تعالى:{**وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ(١٠) كِرَاماً كَاتِبِينَ(١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ(١٢)**} [الانفطار: ١١ - ١٢].

وخزنة الجنة وهم ملائكة كرام قال تعالى:{**جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ**} [الرعد:٢٣].

وخزنة جهنم ملائكة كرام هم الزبانية ورؤساؤهم تسعة عشر وفي مقدمتهم مالك عليه السلام قال تعالى:{**وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ(٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ(٢٨) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ(٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ(٣٠)**} [المدثر ٢٧ - ٣٠]، وقال تعالى عن نداء أهل النار لمالك عليه السلام:{**وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ(٧٨)**} [الزخرف:٧٧ - ٧٨].

وحملة العرش يوم القيامة ثمانية من الملائكة العظام قال تعالى:{**وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ**} [الحاقة:١٧].

وهناك أنواع أخرى من الملائكة مثل ملائكة حِلَقِ الذِّكْرِ السُّيَاحِ الذين يَحُفُّونَ حِلَقِ الذِّكرِ بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، وملائكة صفوف لا يفتَرون، وقُيَّام لا يركعونَ، وَرُكَّعٌ وسُجَّدٌ لا يرفعون، وآخرون لا نعلمهم الله يعلمهم.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس الرابع والعشرون:
الإيمان بالأنبياء والرسل والكتب السماوية

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع رحلة الإسراء والمعراج ولقاء النبي صلى الله عليه وسلم بالأنبياء، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم :{**بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ وَذَكَرَ يَعْنِي رَجُلًا بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَشُقَّ مِنْ النَّحْرِ إِلَى مَرَاقِّ الْبَطْنِ، ثُمَّ غُسِلَ الْبَطْنُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، وَأُتِيتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ الْبُرَاقُ، فَانْطَلَقْتُ مَعَ جِبْرِيلَ ، حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى آدَمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ ابْنٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى عِيسَى وَيَحْيَى فَقَالَا: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّالِثَةَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى يُوسُفَ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، قَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قِيلَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِدْرِيسَ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْنَا عَلَى هَارُونَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنَا عَلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ:جِبْرِيلُ قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ**

الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى مُوسَى فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَلَمَّا جَاوَزْتُ بَكَى فَقِيلَ: مَا أَبْكَاكَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ هَذَا الْغُلَامُ الَّذِي بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَفْضَلُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ جِبْرِيلُ قِيلَ: مَنْ مَعَكَ قِيلَ مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ ابْنٍ وَنَبِيٍّ..} [(١)].

والنبي هو رجل حر أُوْحِيَ إليه يأتي مقررا شرعا سابقا، والرسول هو رجل حر يُوحَى إليه بشرع جديد وأمر بتبليغه، وعدد الأنبياء والمرسلون الذين ذكروا في القرآن خمسة وعشرون نبيا، والأنبياء والمرسلين الذين ذكروا في القرآن هم آدم ونوح وإدريس وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وداود وسليمان ويونس وأيوب وصالح وهود وصالح وموسى وهارون وإلياس وذو الكفل واليسع وزكريا وعيسى ويحيى ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

وذكر في القرآن أنبياء على سبيل الإجمال وليس التفصيل كالأسباط وهم الأنبياء الذين كانوا من قبائل بني إسرائيل الاثنى عشر من ولد يعقوب عليهم السلام.

وذكر نبي لبني إسرائيل قال عنه المفسرون هو يوشع ابن نون وهو غلام موسى عليه السلام في رحلة الخضر وهو الذى سأله قومه ملكا لمحاربة العماليق بقيادته فاختار لهم طالوت بوحي من ربه.

والأنبياء والمرسلين يكونون ذكورا وليسوا إناثا؛ لأن الأنوثة تقتضى التستر، والتستر ليس من صفة الأنبياء والمرسلين لما يتعارض من متطلبات الدعوة والتبليغ، وهم يتزوجون ويتناسلون ويتعرضون لكل ما يتعرض له سائر البشر من المرض والموت ويأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، ونعتقد بعصمة الرسل الكرام وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومعنى العصمة أنهم لا يتركون واجبا ولا يفعلون محرما ولا يفعلون ما يتنافى مع الخلق الكريم ونعتقد بأن الله حلاهم بالأخلاق العظيمة.

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٣٠٣٥.

وعن أبي ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**{كَانَ آدمُ نَبِياً مُكَلماً، كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نُوحٍ عَشْرَةُ قُرُونٍ، وَكَانَتْ الرُسُلُ ثَلَاثمائةً وخَمسةَ عَشَرٍ}** [١]، وفي رواية عن أبـي أمامة قال أبو ذر: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ! كَمْ وَفَاء عِدَّةِ الأَنبياءِ؟ قَالَ**{مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلفاً، الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ثلاثمائةٍ وخَمسة عَشَر، جَماً غَفِيرَاً}**[٢].

وعدد الأنبياء والمرسلين الذين ذكروا في القرآن خمسة وعشرون، قال تعالى:**{إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً(١٦٣) وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيماً(١٦٤) رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً**

(١٦٥)} [النساء: ١٦٣ - ١٦٥]، وقال تعالى:**{وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ(٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ(٨٦) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ(٨٧)}** [الأنعام: ٨٥ - ٨٧]، وقال تعالى:**{وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ(٨٥)}** [الأنبياء: ٨٥]، وقال تعالى:**{يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً(٧)}** [مريم: ٧]، وقال تعالى:**{وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ(٨٩)}** [هود: ٨٩]،

وقال تعالى:**{إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ(١٧٧)}** [الشعراء: ١٧٧].

وقال تعالى:**{لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ(٧)}** [يوسف: ٧].

إخوتي في الله، إن الله تعالى يرسل مع الأنبياء والمرسلين معجزات يعجز العقل البشري عن تفسيرها فهي أمور خارقة للعادة ليقيم الدليل القاطع على صدق نبوته.

---

(١) **(صحيح)** صححه الألباني في س. ص ٢٦٦٨.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (طب) وصححه الألباني في مش ٥٧٣٧.

ولقد اختلفت أساليب تلقى الرسالة بينهم فمنها المسموع من الله من وراء حجاب بلا واسطة، ومنها ما يسمعه الملك من ربه فيبلغه إلى الرسول البشري، ومنها ما هو بخط الله عز وجل كما في ألواح التوراة.

ولا يوجد تعارض بين الكتب السماوية بل يصدق بعضها بعضا فكلها متفقة في عقيدة التوحيد بأنه لا اله إلا الله وأن الموت حق والبعث حق والجنة حق والنار حق وأن المؤمنين مآلهم لجنة الخلد وأن الكفار والعصاة مآلهم إلى النار.

وأما الشرائع فمختلفة، فشريعة اليهود غير شريعة النصارى غير شريعة الإسلام وهكذا، فالحلال والحرام قد يختلف من شريعة لأخرى فقد يخفف الله تعالى على هؤلاء ويشدد الله تعالى على هؤلاء، وقد يحرم على أمة من الأمم كأمة بني إسرائيل مثلا ما قد يحله على أمة أخرى كأمة الإسلام.

ولقد تعرضت الكتب السابقة للقرآن للتحريف والتبديل وجاء القرآن ناسخا لكل هذه الكتب والقرآن هو الكتاب الخاتم وليس بعده كتاب ينسخه ولا مغير ولا مبدل لشيء من شرائعه بعده.

والكتب السماوية التى سبقت القرآن والتى ذكرت في القرآن التوراة، والزبور، والإنجيل، على موسى، وداود، وعيسى عليهم السلام، وكذلك صحف إبراهيم عليه السلام، ولا يجوز لأمة المسلمين العمل بهذه الشرائع بل بشريعة الإسلام فقط.

فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضى الله عنه : أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضى الله عنه أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ فَقَرَأَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَغَضِبَ فَقَالَ:{**أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا بْنَ الْخَطَّابِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى** صلى الله عليه وسلم **كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**}[١].

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) **(حسن)** أخرجه (حم هب) مش ١٧٧.

الدرس الخامس والعشرون:
الإيمان باليوم الآخر

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة رجل من بني إسرائيل قيل: إنه عزير وقيل غير ذلك والله أعلم، مرَّ وهو راكبا على حماره ويحمل طعامه وشرابه، على أورشاليم القدس بعد أن هدمها أعداء بني إسرائيل وأصبحت ديارها محطمة خالية من أهلها فقال: كيف يحيي الله هذه القرية بعد موتها؟ فأماته الله مائة عام، ثم ردَّ إليه روحه، وقال له: كم قدر الزمان الذي لبثت ميتًا؟ قال: بقيت يومًا أو بعض يوم، فأخبره بأنه بقي ميتًا مائة عام، وأمره أن ينظر إلى طعامه وشرابه، وكيف حفظهما الله من التغيُّر هذه المدة الطويلة، وأمره أن ينظر إلى حماره كيف أحياه الله بعد أن كان عظامًا متفرقة؟ وقال له: ولنجعلك آية للناس، أي: دلالة ظاهرة على قدرة الله على البعث بعد الموت، وأمره أن ينظر إلى العظام كيف يرفع الله بعضها على بعض، ويصل بعضها ببعض، ثم يكسوها بعد الالتئام لحمًا، ثم يعيد فيها الحياة؟ فلما اتضح له ذلك عِيانًا اعترف بعظمة الله، وأنه على كل شيء قدير، وصار آية للناس، وقد بين الله تعالى ذلك في قوله:**{أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىَ يُحْيِـي هَـَذِهِ الله بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ الله مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(٢٥٩)}** [البقرة:٢٥٩].

وقد بين الله تعالى في محكم كتابه قضية البعث للناس حتى يجنبهم الشك في أمر البعث بعد الموت في سورة الحج قال تعالى:**{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ**

مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ(٥)} [الحج:٥].

وبين الله تعالى أن البعث بعد الموت يكون لمحاسبة الناس على ما قدمت أيديهم في الدنيا، وفي يوم الحساب لايغني فيه والد عن ولده ولا مولود عن أبيه شيئًا، فهذا وعد الله الحق الذى لا شك فيه، فلا تنخدعوا أيها الناس بالحياة الدنيا وزخرفها فتنسيكم الدار الآخرة ولا يخدعنكم شياطين الجن والإنس ويتضح ذلك في قوله تعالى:**{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ** الله **حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٣٣)}** [لقمان:٣٣].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم كَانَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يَمْشِي فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ:**{الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَلِقَائِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ}**[1].

وقال تعالى في وصف المؤمنين:**{وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}** [البقرة:٤].

أخي الحبيب، الإيمان باليوم الآخر هو الاعتقاد بالبعث بعد الموت، وأن هناك يوماً يحاسب فيه الناس على أعمالهم، والتصديق بكل ما أخبر الله به مما يكون في ذلك اليوم ويشتمل الإيمان باليوم الآخر على مجموعة من الحقائق، وردت في الكتاب والسنة، ملخصها كما يلي:

١ - **خروج الروح**، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:**{إِذَا حُضِرَ** - أي احتضر - **الْمُؤْمِنُ، أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ فَيَقُولُونَ: اخْرُجِي رَاضِيَةً مَرْضِيًّا عَنْكِ إِلَى رَوْحِ** الله **وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَتَخْرُجُ كَأَطْيَبِ رِيحِ الْمِسْكِ، حَتَّى أَنَّهُ لَيُنَاوِلُهُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ السَّمَاءِ، فَيَقُولُونَ: مَا أَطْيَبَ هَذِهِ الرِّيحَ الَّتِي جَاءَتْكُمْ مِنْ الأَرْضِ! فَيَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَهُمْ أَشَدُّ فَرَحًا بِهِ مِنْ**

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (حم ق ه) وصححه الألباني في ص.ج برقم ٢٧٩٦.

أَحَدِكُمْ بِغَائِبِهِ يَقْدَمُ عَلَيْهِ، فَيَسْأَلُونَهُ مَاذَا فَعَلَ فُلاَنٌ؟ مَاذَا فَعَلَ فُلاَنٌ؟ فَيَقُولُونَ: دَعُوهُ فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُّنْيَا، فَإِذَا قَالَ: أَمَا أَتَاكُمْ؟ قَالُوا: ذُهِبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهَاوِيَةِ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا احْتُضِرَ أَتَتْهُ مَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ بِمِسْحٍ فَيَقُولُونَ: اخْرُجِي سَاخِطَةً مَسْخُوطًا عَلَيْكِ إِلَى عَذَابِ الله عز وجل ، **فَتَخْرُجُ كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ الأَرْضِ، فَيَقُولُونَ: مَا أَنْتَنَ هَذِهِ الرِّيحَ! حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ}** (١).

٢ ـ **فتنة القبر**، فَعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم : {**اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا وَقَالَ** - أي عن العبد الصالح إذا أُقْبِرَ - **يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ** الله **فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الإسلام، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ** الله صلى الله عليه وسلم **فَيَقُولاَنِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ قَرَأْتُ كِتَابَ** الله **فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ قَالَ: فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ..** - وقال عن العبد الكافر إذا أُقْبِرَ - **يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِي، فَيَقُولاَنِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ فَأَفْرِشُوهُ مِنْ النَّارِ وَأَلْبِسُوهُ مِنْ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، قَالَ: وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلاَعُهُ، ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَبْكَمُ مَعَهُ مِرْزَبَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا، قَالَ: فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، إِلاَّ الثَّقَلَيْنِ فَيَصِيرُ تُرَابًا قَالَ: ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ}** (٢).

٣ ـ **الساعة وأماراتها**، والساعة هي التي تنتهي فيها الحياة الدنيا بجميع أوضاعها، وتبدأ القيامة بكل أهوالها، وموعدها لا يعلمه إلا الله، وليس لأحد من سبيل إلى معرفة وقتها، قال تعالى:{**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ}** [الأعراف:١٨٧]، وقال

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (ن ك) صححه الألباني في ص. ج ٤٩٠.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (حم د ابن خزيمة ك هب الضياء) وصححه الألباني في ص. ج ١٦٧٦.

تعالى:{**إِنَّ اللهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**} [لقمان:٣٤].

ولكن وردت علامات لها في الكتاب والسنة، قال تعالى:{**فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ**} [محمد:١٨]، فأما العلامات الصغرى فمنها بعثة الرسول وقبض العلم وظهور الجهل والفتن وانتشار الزنا وشرب الخمر وإسناد الأمر إلى غير أهله وتضييع الأمانة... إلخ ويمكن التعرف عليها بالتفصيل من كتاب (زاد المسلم اليومي من العلم الشرعي لنفس المؤلف)، وأما علامات الساعة الكبرى فهي عشرة: كما في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ رضى الله عنه قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فَقَالَ:{**مَا تَذَاكَرُونَ؟**}قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ قَالَ:{**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ** صلى الله عليه وسلم، **وَيَأْجُوجَ، وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ**}[(١)].

٤ ـ **البعث**، وهو إحياء الناس جميعًا من قبورهم، قال تعالى:{**إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**} [الأنعام:٣٦].

٥ ـ **الحشر**، وهو سوْق الناس بعد بعثهم إلى أرض المحشر، وهو المكان الذي يقفون فيه انتظارًا لفصل القضاء بينهم، قال تعالى:{**وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً**} [الكهف:٤٧] والمعنى: واذكر لهم يوم نُزيل الجبال عن أماكنها، وتبصر الأرض ظاهرة، ليس عليها ما يسترها مما كان عليها من المخلوقات، وجمعنا الأولين والآخِرين لموقف الحساب، فلم نترك منهم أحدًا.

٦ ـ **الحساب**، فبعد الحشر يبدأ العرض والحساب، حيث يُعرض الناس

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (م) ٢٩٠١.

على ربهم، وتُقام الحجج لهم وعليهم، ويطلعون على أعمالهم، قال تعالى:{**إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ** الله **لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ**} [ص:٢٦].

٧ ـ **الحوض والميزان والصراط**، فأما الحوض فإن من شرب منه فإنه لا يظمأ أبدًا، فَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضى الله عنه : قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم :{**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنْ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنْ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلاَ يَظْمَأُ أَبَدًا**} [١].

وأما الميزان، فهو ميزان لا يعلم حقيقته إلا الله، تُوزن به أعمال العباد، إظهارًا لعدل الله، قال تعالى:{**فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ(١٠٣)**} [المؤمنون: ١٠٢ - ١٠٣].

وأما الصراط، فهو جسر منصوب على جهنم، والمرور عليه لجميع الناس، فمن كان مؤمنًا مستقيمًا نجا بسرعة، ومن خلط عملاً صالحًا وآخر سيئًا أبطأ في اجتيازه، ومن كان كافرًا سقط في جهنم، قال تعالى:{**وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً(٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً (٧٢)**} [مريم: ٧١، ٧٢].

٨ ـ **الجنة والنار**، قال الله تعالى عن الجنة:{**وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُولَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**} [البقرة:٨٢]، وقال تعالى عن النار:{**وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**} [البقرة:٣٩].

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٦٢٠٨، و(م) ٢٢٩٢ واللفظ للبخاري.

الدرس السادس والعشرون:

الإيمان بالقدر خيره وشره

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه عند دخوله إلى بلاد الشام، أخرج البخاري في صحيحه عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَبَّاسٍ رضى الله عنه ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضى الله عنه خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ، لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الأَجْنَادِ - أي الجند - أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ - أي الطاعون - قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّأْمِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَالَ عُمَرُ: ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّأْمِ فَاخْتَلَفُوا، فَقَالَ: بَعْضُهُمْ قَدْ خَرَجْتَ لأِمْرٍ وَلاَ نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم وَلاَ نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي - أي قوموا واذهبوا عني -، ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لِي الأَنْصَارَ فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ - أي قالوا ما قاله المهاجرين - وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلاَفِهِمْ فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ - أي كبارهم في السن - مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ فَدَعَوْتُهُمْ، فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلاَنِ فَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلاَ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ - كناية عن الرجوع للمدينة - فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ الله؟! فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ - أي ممن ليس في منزلتك أي لأدبته -، نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ الله إِلَى قَدَرِ الله، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ الله وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ الله، قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ، فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:{**إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ** - أي بالطاعون - **بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ** -

فلا تدخلوها - **وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ}** قَالَ: فَحَمِدَ الله عُمَرُ - أي على موافقة اجتهاده واجتهاد كثير من الصحابة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم - ثُمَّ انْصَرَفَ [(١)].

فالله سبحانه وتعالى لا يقبل عمل العبد إذا لم يؤمن بالقدر خيره وشره أى يعلم أن ما حدث له لم يكن بالمقدور ألا يحدث له وما لم يحدث له لم يكن بالمقدور أن يحدث له، فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : **{لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ}** [(٢)].

ومراتب الإيمان بالقدر أربعة:

الأولى: الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء قبل خلقه وأنه عَلِم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، قال تعالى:**{وَلَوْ عَلِمَ الله فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ}** [الأنفال: ٢٣].

والثانية: الإيمان بأن الله كتب كل شيء في كتاب، وقال تعالى:**{مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى** الله **يَسِيرٌ}** [الحديد:٢٢].

والثالثة: الإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، قال الله تعالى**{وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ الله رَبُّ الْعَالَمِينَ}** [التكوير٢٩].

والرابعة: الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء وخالق حركاته وسكناته، وقال تعالى**{وَالله خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}** [الصافات:٩٦].

وللشافعي أربعة أبيات يقول عنها ابن عبد البر: إنها من أثبت ما نسب إليه، ومن أحسن ما قيل في القدر نظماً:

ما شئت كان وإن لم أشأ ::: وما شئت إن لم تشأ لم يكن
خلقتَ العباد على ما علمتَ ::: وفي العلم يجرى الفتى والمُسِنُّ

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٥٣٩٧ و(م) ٢٢١٩.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (ت) وصححه الألباني في ص.ج ٧٥٨٥.

الذي قالوا عنه

علـــى ذا مننـــتَ وهـــذا خَــذلتَ ::: وهـــذا أعنـــتَ وذا لـــم تُعِـــن
فمـــنهم شـــقي ومـــنهم سـعيد ::: ومـــنهم قبـيح ومـــنهم حســـن

أخي الحبيب، ينبغي أن تعلم أنه لا يتنافى مع الإيمان بالقدر فعل الأسباب بل إن من تمام الإيمان بالقدر فعل الأسباب، فَعَنْ عَلِيٍّ رضى الله عنـه قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ فَأَتَانَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ ثُمَّ قَالَ:{**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ الله مَكَانَهَا مِنْ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا وَقَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً، قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ** الله **أَفَلَا نَمْكُثُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ فَقَالَ: مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَقَالَ: اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ ، ثُمَّ قَرَأَ:{فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى(٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى(٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى(٧) وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى(٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى(١٠)}** [الليل: ٥ - ١٠]} [١].

إخوتي في الله، لقد قدر الله مقادير الخلائق حتى قيام الساعة، فَعَنْ أَبِي حَفْصَةَ قَالَ: قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رضى الله عنه لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ سَمِعْتُ. رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:{**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ الله الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ. يَا بُنَيَّ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ** الله صلى الله عليه وسلم **يَقُولُ: مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي**}[٢].

والله قد قدر مقادير الخلائق قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، فَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضى الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:{**كَتَبَ الله مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ**

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (م) ٢٦٤٧.
(٢) **(صحيح)** أخرجه (د) وصححه الألباني في ص.ج ٢٠١٨.

وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ} [1].

والله عز وجل لا يجبر الخلائق على أعمالهم، قال الحسن البصري رحمه الله تعالى وهو من سادات التابعين: لو أجبر الله الخلق على الطاعة لأسقط عنهم الثواب، ولو أجبرهم على المعاصي لأسقط عنهم العقاب، ولو أهملهم لكان عجزا في القدرة، ولكن له فيهم المشيئة التى غيبها عنهم فإن عملوا بالطاعات؛ كانت له المنة عليهم.

فالعباد مخيرون ولكنهم لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله عليه، ولا يشاءون إلا أن يشاء الله، ولا يفعلون إلا بجعله إياهم فاعلين، وهذا مصداقا لقول الله تعالى:**{إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى(٤) فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى(٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى(٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى(٧) وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى(٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى(٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى(١٠)}** [الليل ٤ - ١٠].

ولعل ما جاء في كتاب (الشريعة للإمام الأجري) ما فيه البيان والتوضيح في هذا الأثر الصحيح عن الحسن البصري، فعن خالد الحذاء قال: خرجت خرجة لي - أي سافر سفرا ثم عاد - ثم قدمت فقيل: إن الحسن - أي البصري من سادات التابعين - قد تكلم في القدر فأتيته، فقلت: يا أبا سعيد - أي كنية الحسن البصري -، آدم خُلِقَ للأرض أم للسماء؟ قال: ما هذا يا أبا منازل - أي كنية خالد الحذاء -؟ فقلت: إني أحب أن أعلمه، قال: للأرض، قلت: فلو اعتصم فلم يأكل من الشجرة؟ قال: لم يكن له بد من أن يأكل منها؛ لأنه للأرض خلق (٣٥).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (م) وصححه الألباني في ص.ج ٤٤٧٤.

الدرس السابع والعشرون:

الولاء والبراء

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة الأعز والأذل، أخرج مسلم بسنده عن جَابِرَ بْنِ عَبْدِ الله رضى الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنْ الأَنْصَارِ فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلأَنْصَارِ وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ الله كَسَعَ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنْ الأَنْصَارِ فَقَالَ:**{دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ}** فَسَمِعَهَا عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ فَقَالَ: قَدْ فَعَلُوهَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، قَالَ عُمَرُ: دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ فَقَالَ:**{دَعْهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ}**(١). فأنزل الله تعالى في ذلك قوله:**{يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ(٨)}** [المنافقون: ٨].

وكان ابن هذا المنافق - وهو عبد الله بن عبد الله بن أبي - رجلاً صالحاً من الصحابة الأخيار، فتبرأ من أبيه، ووقف له على باب المدينة، واستل سيفه، فلما جاء ابن أبي قال له: والله لا تجوز من هاهنا حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه العزيز وأنت الذليل، فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم أذن له فخلي سبيله، وكان قد قال عبد الله بن عبد الله بن أبي: يا رسول الله، إن أردت قتله فمرني بذلك، فأنا والله أحمل إليك رأسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**{لا ولكن بر أباك وأحسن صحبته}** (٢٦).

وهذا مصداقا لقول الله تعالى:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ**

(١) **(صحيح)** أخرجه (م) ٢٥٨٤.

الظَّالِمُونَ (٢٣)} [التوبة: ٢٣].

هذا هو الولاء لأهل الإيمان والبراء من أهل الكفر والعصيان، فالولاء أصله الحب، والبراء أصله البغض، والولاء والبراء يمثل صورة عملية من صور التطبيق الواقعي لعقيدة التوحيد، ولا يصح للمؤمن دين إلا بموالاة أهل التوحيد، ومعاداة أهل الضلال والبراء منهم.

قال تعالى:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ}** [آل عمران: ١١٨].

وفي الآية تحذير للمؤمنين من اتخاذ الكافرين أولياء باطلاعهم على أسرارهم، فهؤلاء لا يَفْتُرون عن إفساد حالهم، وهم يفرحون بما يصيبهم من ضرر ومكروه، وقد ظهرت شدة البغض في كلام الكافرين، وما تخفي صدورهم من العداوة للمؤمنين أكبر وأعظم.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضى الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم لأَبِي ذَرٍّ:**{أَيُّ عُرَى الإِيمَانِ أَوْثَقُ؟}** قَالَ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:**{الْمُوَالاةُ فِي** الله، **وَالْمُعَادَاةُ فِي** الله، **وَالْحُبُّ فِي** الله، **وَالْبُغْضُ فِي** الله**}**[1].

إخوتي في الله، ينقسم المسلمون في معاملة الكفار لثلاثة أقسام وهم:

القسم الأول: ناصر لدين الله، مجاهد في سبيل الله، موال لأوليائه، معاد لأعدائه، وهم القليلون عددا، الأعظمون أجرا عند الله.

القسم الثاني: خاذل لأهل الإسلام تارك لمعونتهم معتزل عن الكفار.

القسم الثالث:خارج عن الإسلام بمظاهرة الكفارة ومناصرتهم بالقول والعقل والاعتقاد، ومعاداة أهل الحق ومحاربتهم (٢٣).

ولقد نهى الله أن يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين إلا أن يكون المسلم مقهورا قال تعالى:**{لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ الله نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ(٢٨)}** [آل عمران: ٢٨].

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (طب) وصححه الألباني في ص.ج برقم ٢٥٣٩.

فنهى سبحانه وتعالى عن اتخاذ الكافرين أولياء وأصدقاء وأصحاب من دون المؤمنين وأخبر أن من فعل ذلك فليس من الله في شيء وقال ابن جرير الطبري في قوله تعالى{**فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ**} أى فقد برئ من الله وبرئ الله منه بارتداده عن دينه ودخوله الكفر، وقوله تعالى{**إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً**} أي إلا أن يكون المؤمن مقهورا معهم، لا يقدر على إظهار عداوتهم، لتعذيبهم له، فيظهر لهم الرضا بلسانه، وقلبه مطمئن بالإيمان بالله، ممتلئ بالعداوة والبغضاء لأعداء الله (٢٣).

ولقد نهانا الله تعالى عن موالاة أهل الكفر قال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ الله عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ**} [الممتحنة:١٣]، وقال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ الله لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١)**} [المائدة:٥١].

وقال شيخ المفسرين الطبري رحمه الله تعالى: والصواب القول في ذلك عندنا أن يقال: أن الله تعالى نهى المؤمنين جميعا أن يتخذوا اليهود والنصارى أنصارا وحلفاء على أهل الإيمان بالله ورسوله، وأخبر أنه من اتخذهم نصيرا وحليفا ووليا من دون الله ورسوله فإنه منهم في التحزب على الله وعلى رسوله والمؤمنين وأن الله ورسوله منه بريئان أ.هـ (٢٣).

وقال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاء وَاتَّقُواْ الله إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٥٧)**} [المائدة:٥٧].

وينبغي أن نعلم أن الموالاة عند علماء الاصطلاح شيء والبر شيء آخر، فدعوة الإسلام إلى السماحة في معاملة بعض الكفار، والبر بهم لا يعني الموالاة لهم، فبسماحة الإسلام يتعامل المسلم مع الناس أجمعين على أساس العدل والاحترام المتبادل بدون محبة القلب للكفار أو مودة ما هم فيه من كفر(٢٣).

وينبغي الحذر كل الحذر من الاعتداء على الذميين والمعاهدين فَعَنْ عَبْدِ الله ابنِ عَمْرٍو رضى الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:{**مَنْ قَتَلَ نَفْسًا**

مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا} [١].

وهناك استثناءات لا تنقض أصل البراء من الكافرين، فلا تعني البراءة من الكافرين حجب دعوة الإسلام عنهم وتركهم لما هم فيه من ضلال بل يحتم الإسلام على أهله دعوة الناس إلى الخير وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن قال تعالى:**{ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ(١٢٥)}** [النحل:١٢٥].

ولقد أَحَلَّ الشرع الزواج بالكتابية - أي اليهودية أو النصرانية - وأكل ذبيحة الكتابي فيجوز الأكل من ذبيحتهم وزواج نسائهم، ولا شك أن المودة التي تكون في قلب الزوج لزوجته هي من المودة الفطرية المستثناة.

وكذا الإحسان إليهم والبر بهم قال تعالى:**{لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ(٨)}** [الممتحنة:٨]، ويدخل في البر عيادة مرضاهم وقبول هداياهم والإهداء لهم والدعاء لهم بالهداية.

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رضى الله عنها قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ إِذْ عَاهَدَهُمْ فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ:**{نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ}** [٢].

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٢٩٩٥.
(٢) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٢٤٧٧، و(م) ١٠٠٣.واللفظ لمسلم.

الدرس الثامن والعشرون:

إن الحكم إلا لله

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة أخرجها البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَزَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رضى الله عنه قالا: إِنَّ رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فَقَالَ أَحَدُهُمَا: اقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ الله، وَقَالَ الآخَرُ وَهُوَ أَفْقَهُهُمَا: أَجَلْ يَا رَسُولَ الله فَاقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ الله وَأْذَنْ لِي أَنْ أَتَكَلَّمَ، قَالَ:{**تَكَلَّمْ**} قَالَ: إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا عَلَى هَذَا. قَالَ مَالِكٌ: وَالْعَسِيفُ الأَجِيرُ، زَنَى بِامْرَأَتِهِ فَأَخْبَرُونِي أَنَّ عَلَى ابْنِي الرَّجْمَ فَافْتَدَيْتُ مِنْهُ بِمِائَةِ شَاةٍ وَجَارِيَةٍ لِي ثُمَّ إِنِّي سَأَلْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ فَأَخْبَرُونِي أَنَّ مَا عَلَى ابْنِي جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ وَإِنَّمَا الرَّجْمُ عَلَى امْرَأَتِهِ فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :{**أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ** الله، **أَمَّا غَنَمُكَ وَجَارِيَتُكَ فَرَدٌّ عَلَيْكَ وَجَلَدَ ابْنَهُ مِائَةً وَغَرَّبَهُ عَامًا، وَأَمِرَ أُنَيْسٌ الْأَسْلَمِيُّ أَنْ يَأْتِيَ امْرَأَةَ الْآخَرِ فَإِنْ اعْتَرَفَتْ رَجَمَهَا فَاعْتَرَفَتْ فَرَجَمَهَا**} [1]، هذا هو مفهوم الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله.

أخي الحبيب، تأمّل هذه الآيات الكريمات: قال تعالى:{**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بما أنزل الله فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**} [المائدة:٤٤]، وقال:{**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بما أنزل الله فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**} [المائدة:٤٥]، وقال:{**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بما أنزل الله فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُون**} [المائدة:٤٧]، فالحكم بغير ما أنزل الله من أعمال أهل الكفر، فالذين يبدلون حكم الله الذي أنزله في كتابه، فيكتمونه ويجحدونه ويحكمون بغيره معتقدين حله وجوازه فأولئك هم الكافرون، الظالمون، الفاسقون، وكذلك فمن لم يحكم بما أنزل الله فهؤلاء مؤمنون بالطاغوت قال تعالى:{**أَلَمْ تَرَإِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ**

---

(١) (**صحيح**) أخرجه (خ) ٢٥٤٩، و(م) ١٦٩٧.

مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا} [النساء:٦٠]، فجعل الله تعالى الذين يريدون التحاكم إلى غير ما أنزل الله تعالى، غير كافرين بالطاغوت، وهذا يعني أنهم مؤمنون بالطاغوت، ولهذا جعل إيمانهم بما أنزل الله تعالى زعما، ومعلوم أن الكفر بالطاغوت أحد ركني الشهادتين قال تعالى:**{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ الله وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ}** [النحل:٣٦]، فالطاغوت كل ما يتخذ من دون الله تعالى من أرباب، أو آلهة، أو أنداد، وقال تعالى: **{فَلاَوَرَبِّكَ لاَيُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَيَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا}** [النساء:٦٥]، فقد أقسم الله تعالى بنفسه الكريمة أن هؤلاء لا يؤمنون حقيقة حتى يجعلوك حكمًا فيما وقع بينهم من نزاع في حياتك، ويتحاكموا إلى سنتك بعد مماتك، ثم لا يجدوا في أنفسهم ضيقًا مما انتهى إليه حكمك، وينقادوا مع ذلك انقيادًا تاماً، فالحكم بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة في كل شأن من شؤون الحياة من صميم الإيمان مع الرضا والتسليم.

وقال تعالى:**{إِنِ الْحُكْمُ إلا لله أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إلا إياه ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ}** [يوسف:٤٠]، ولهذا كان أوّل أسباب الشقاء، التي وقعت في الوجود، الخروج عن حكمه سبحانه تعالى.

ولهذا نجد أن خطبة أبي بكر الصديق الأولى حين تولى الخلافة، قد وَضَعَت ميثاقاً عقدياً بين الأمة والحاكم، ويمكن تلخيصه في النقاط التالية:

١ - القرآن الكريم والسنة مصدر التشريع والدستور الناظم للدولة، وتجري محاسبة الخليفة عند مخالفتهما أو تجاوزهما من قبل الأمة أو ممثليها من أهل الحل والعقد، حيث يفقد الطاعة الشرعية، وهذا ما نص عليه البيان:أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم..

٢ - ممثلو الأمة هم الذين يختارون الخليفة وهم أهل الاختيار وهم من فقهاء الأمة وعلمائها.

٣ - الأمة مصدر السلطة وتملك سلطة المحاسبة والعزل، والحاكم بشر كأي فرد من أفراد الأمة، وليس معصوماً عن الخطأ، لذا لا بد من التصحيح له في حال وقوعه في الخطأ: أيها الناس أنا مثلكم، وإني لا أدري لعلكم ستكلفونني ما كان رسول الله يطيق، إن الله اصطفى محمداً على العالمين، وعصمه من الآفات، فإنما أنا مُتَّبع، ولست بمبتدع، فإن استقمت فاتبعوني، وإن زغت فقوموني.

٤ - أن يكون الحاكم صادقاً مع أمته، وإن كذب عليها فقد خانها فالصدق أمانة، والكذب خيانة.

٥ - المساواة والإنصاف بين الجميع دون النظر للضعف والقوة: الضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي منكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله.

إخوتي في الله، تعالوا بنا نتناول بعض الأنظمة المنتشرة في العالم وتقييم كل منها بما يوافق الشرع الإسلامي:

الديمقراطية: تعني اتخاذ أحكام البشر باعتبار أصوات غالب ممثليهم، شريعة بديلة عن شريعة الله تعالى، مهيمنة بأحكامها على الأقوال، والأفعال، والأفكار، وجميع السلوك الإنساني، والعلاقات الدولية الداخلية، والخارجية، فلها أنْ تحلّ ما حرّم الله، وتحرّم ما أحلّ الله تعالى، ويكون مصدر التشريع هو حكم الأغلبيّة بحسب العدّ المحض، الذي يعدّ الرؤوس ولا يزنها، فيجعل العاقل الحكيم المصلح، مساويا للجاهل الأحمق المفسد، والمؤمن الصالح الأمين، مكافئا للكافر الفاسق الخائن،..إلخ، فكلهم سواء في ميزان هذا الدين الجديد، فتُعدّ أصواتهم عدّا فحسب، ثم يُعرف بأكثر العدّ، الشرعُ الذي يجب أن يسيروا عليه، والنهج الذي يهديهم سواء السبيل! - كما يتفقون عليه -.

في حين أن الشورى في الإسلام هي النظام المقابل للديمقراطية وفي الشورى لا تمييز بين غني وفقير، فهي لعامة المسلمين، قال تعالى:{**وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**} [الشورى:٣٨]، قال الدكتور محمد عمارة فيما مختصره: أن الشورى

الإسلامية تقوم على الأسس التالية:

١ - الأمة هي مصدر السلطات وصاحبة السلطان في سياسة الدولة وتنظيم المجتمع وتنمية العمران.

٢ - الأمة تختار ممثليها العارفين بالواقع وبالشريعة معاً وهم أهل الاختيار، الذين يختارون رأس الدولة الإسلامية وكذلك أهل العقد والحل، الذين يطورون التشريع ليلائم الواقع الجديد.

٣ - الأمة، من وراء ممثليها، عليها وعليهم فريضة مراقبة حكومتها، ومحاسبتها، والأخذ على يديها وتغيير هذه الحكومة، إن هي فسقت، أو جارت، أو ضعفت عن النهوض، بما فوضت إليها من مهام!..

أما عن إبقاء الحرام حراماً والحلال حلالاً، فليس في ذلك انتقاص من حرية الأمة. وإنما هو التزام بالأطر الدينية المحققة لمصلحة الأمة كما رآها الشارع سبحانه وتعالى.

الليبرالية: تعنى الحرية، والليبراليَّة هي وجه آخر من وجوه العلمانيِّة بمعناها العام الذي هو التمرد على الدين والتحلل من الالتزام به، ولهذا فمعتنقوها يقصدون بها أن يكون الإنسان حراً في أن يفعل ما يشاء، ويقول ما يشاء، ويعتقد ما يشاء، ويحكم بما يشاء، بدون التقيد بشريعة إلهية، فالإنسان عند الليبراليين إله نفسه، وعابد هواه، غير محكوم بشريعة من الله تعالى، ولا مأمور من خالقه باتباع منهج إلهيّ ينظم حياته كلها، فإذن الليبراليِّة ما هي إلاّ وجه آخر للعلمانيِّة التي بنيت أركانها على الإعراض عن شريعة الله تعالى، والكفر بما أنزل الله تعالى، والصد عن سبيله، ومحاربة المصلحين، وتشجيع المنكرات الأخلاقيِّة، والضلالات الفكريِّة، تحت ذريعة الحريِّة الزائفة، والتي هي في حقيقتها طاعة للشيطان وعبودية له، هذه هي الليبراليّة، وحكمها في الإسلام هو نفس حكم العلمانيّة سواء بسواء، قال تعالى:{**قُلْ إنَّ صَلاتي ونُسُكِي ومَحيايَ ومَماتي للهِ رَبِّ العالَمِينَ (١٦٢) لا شريك لَهُ وَبذلِكَ أُمِرتُ وَأنا أوَّلُ المسلِمين (١٦٣)**} [الأنعام ١٦٢، ١٦٣]، وكما قال تعالى:{**ثُمَّ جَعَلنَاكَ عَلى شَرِيعَةٍ مِنَ الأمرِ فاتَّبِعها وَلاتتَّبِع أهواءَ الذِينَ لايَعلَمُون (١٨)**} [الجاثية:١٨]، لذلك فإن الليبرالية مناقضة تمام

المناقضة لدين الإسلام، عقيدة وشريعة.

التعددية: هي فرع عن الليبرالية التي هي فرع عن العلمانية، والديمقراطية الغربية تجعل التعددية من صور الحرية التي هي أحد أركانها، والتعددية تعني أن يسمح في المجتمع بالاختلاف والتعدد في كلّ شيء، حتى لو كان هذا الاختلاف بين الحق والباطل، بل لايوجد في التعددية حق مطلق، وباطل مطلق، ولهذا ترى التعددية أن الاختلاف مهما كان هو في حد ذاته ظاهرة محمودة بإطلاق، تجب رعايتها، وتشجيعها، ومحاربة من يقف في طريقها، وحتى لو كان في المجتمع من يعبد إبليس نفسه، فيجب أن يسمح لهم في نظر التعددية بإظهار دعوتهم، وتمكينهم من دعوة الناس إليها، ونشر كل ما يزينها ويشجع على اعتناقها، وعلى الصعيد السياسي يجب أن يسمح لهم بتأسيس حزب سياسي يحمي معتقداتهم، ويسمح لهم بنشرها، في حين أن الله تعالى في الدين الإسلامي أمر الناس أن يقيموا دين الله وأن يجتمعوا عليه، ولا يتفرقوا قال تعالى:**{شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ولا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ}** [الشورى: ١٣]، والقرآن مليء بالأمر بالاجتماع على الحق ومدحه، وذم الافتراق عنه والتفرق فيه، والأمر بجهاد الباطل وأهله، وقد أمر الله تعالى بإنكار المنكر إن ظهر، وجعل ذلك من أعظم واجبات الدين، قال تعالى:**{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ}** [آل عمران:١١٠] ومن هذا يتضح أن التعدددية مناقضة تمام المناقضة لدين الإسلام، عقيدة وشريعة (٢٠) (١).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس التاسع والعشرون:
التمسك بالسنة والحذر من البدع

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة يرويها لنا يحيى بن عمرو بن سلمة الهمداني قَالَ: كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ قَبْلَ صَلاَةِ الْغَدَاةِ، فَإِذَا خَرَجَ مَشَيْنَا مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِىُّ فَقَالَ: أَخَرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَعْدُ؟ قُلْنَا: لاَ، فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ، فَلَمَّا خَرَجَ قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعاً، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنِّى رَأَيْتُ في الْمَسْجِدِ آنِفاً أَمْراً أَنْكَرْتُهُ، وَلَمْ أَرَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِلاَّ خَيْراً. قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ - قَالَ - رَأَيْتُ في الْمَسْجِدِ قَوْماً حِلَقاً جُلُوساً يَنْتَظِرُونَ الصَّلاَةَ، في كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ، وَفِى أَيْدِيهِمْ حَصًى فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِائَةً، فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: هَلِّلُوا مِائَةً، فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً، وَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِائَةً فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً. قَالَ: فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئاً انْتِظَارَ رَأْيِكَ أَوِ انْتِظَارَ أَمْرِكَ. قَالَ: أَفَلاَ أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لاَ يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ. ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الْحِلَقِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِى أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَصًى نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ. قَالَ: فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لاَ يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَىْءٌ، وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ، هَؤُلاَءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ صلى الله عليه وسلم مُتَوَافِرُونَ وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِى نَفْسِى في يَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِىَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ، أَوْ مُفْتَتِحِى بَابِ ضَلاَلَةٍ. قَالُوا: وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا أَرَدْنَا إِلاَّ الْخَيْرَ. قَالَ: وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ، إِنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم حَدَّثَنَا أَنَّ قَوْماً يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَايْمُ الله مَا أَدْرِى لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ. ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ

سَلِمَةَ: رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ [١].

إخوتي في الله، قال العلامة الألباني رحمه الله تعالى ويستفاد من هذا الحديث أن العبرة ليست بكثرة العبادة وإنما بكونها على السنة بعيدة عن البدعة وقد أشار إلى هذا ابن مسعود رضى الله عنه بقوله أيضا: اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة، ومنها: أن البدعة الصغيرة بريد إلى البدعة الكبيرة.

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضى الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:{**سَيَلِي أُمُورَكُمْ بَعْدِي رِجَالٌ يُطْفِئُونَ السُّنَّةَ، وَيَعْمَلُونَ بِالْبِدْعَةِ، وَيُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ مَوَاقِيتِهَا**}، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله: إِنْ أَدْرَكْتُهُمْ كَيْفَ أَفْعَلُ؟ قَالَ:{**تَسْأَلُنِي يَا بْنَ أُمِّ عَبْدٍ كَيْفَ تَفْعَلُ، لَا طَاعَةَ لِمَنْ عَصَى الله**}[٢].

وقال العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى: فالعمل لا يقبله الله تبارك وتعالى إلا إذا توفر فيه **شرطان:** أن يكون خالصا لوجهه عز وجل ، ويكون صالحا، ولا يكون صالحا إلا إذا كان موافقا للسنة غير مخالف لها، ومن المقرر عند عند أهل العلم أن كل عبادة مزعومة لم يشرعها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله، ولم يتقرب هو بها إلى الله بفعله فهي مخالفة لسنته؟

وقال أيضا: والسنة على قسمين: سنة فعلية وسنة تركية، فما تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلك العبادات فمن السنة تركها، وقد فهم هذا المعنى أصحابه صلى الله عليه وسلم فكثر عنهم التحذير من البدع تحذيرا عاما كما هو مذكور في موضعه حتى قال ابن مسعود رضى الله عنه : اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم عليكم بالأمر العتيق.

و مرجع البدع إلى أمرين: أحاديث ضعيفة، وأحاديث موضوعة لا أصل لها، واجتهادات صدرت من بعض المتأخرين بعضها مخالف للسنة العملية، وعادات وخرافات لا يدل عليها الشرع ولا يشهد لها عقل وإن عمل بها بعض الجهال واتخذوها شرعة لهم؟ أ.هـ.

وأمر البدعة خطير جدا لا يزال أكثر الناس في غفلة عنه ولا يعرف ذلك

(١) **(صحيح)** أخرجه (دارمي) صححه الألباني في س.ص المختصرة ٢٠٠٥.
(٢) **(صحيح)** أخرجه (هـ) وصححه الألباني في س.ص ٢/١٣٩.

إلا طائفة من أهل العلم وحسبك دليلا على خطورة البدعة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : **{إنَّ اللهَ احتجَرَ - أي أبعد - التوبة عَلَى كُلِ صَاحبِ بدعةٍ}**[١].

معاشر الإخوة، يقول إمام أهل السنة في عصره الإمام البربهاري رحمه الله تعالى: احذر من صغار المحدثات فإن صغار البدع تعود حتى تصير كبارا وكذلك كل بدعة أُحدِثت في هذه الأمة كان أولها صغيرا يشبه الحق فاغتر بذلك من دخل فيها ثم لم يستطيع المخرج منها فعظُمت وصارت دِينا يُدَان به فانظر رحمك الله كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصة فلا تعجلن ولا تدخل في شيء منه، حتى تسأل وتنظر: هل تكلم فيه أحد من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم أو أحد من العلماء؟ فإن أصبت أثرا عنهم فتمسك به ولا تجاوزه لشيء ولا تختر عليه شيء فتسقط في النار (٦٨).

ولقد كان المسلمون في صدر الإسلام فرقة واحدة ولكن حدثت الفتن وتفرق المسلمون فأصبحوا فرقا متفرقة، ولقد أخبرنا الله تعالى بأن رسول الله بريء من هذه الفرق وحكمهم إليه ثم يخبرهم ويجازيهم بأعمالهم يوم القيامة، قال تعالى:**{إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ (١٥٩)}** [الأنعام:١٥٩].

وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ}**، قِيلَ يَا رَسُولَ الله مَنْ هُمْ؟ قَالَ:**{الْجَمَاعَةُ}** [٢].

ففرقة الخوارج هم أول فرقة خالفت أهل السنة والجماعة، عظمت فتنتهم في أواخر خلافة عثمان وأثناء الفتنة بين علي ومعاوية، ولقد أُسست على أفكار ضالة: كتكفير علي وعثمان رضى الله عنه، والتكفير بارتكاب الكبائر،

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (ابن فيل طس هب الضياء) وصححه الألباني في ص.ج ١٦٩٩.
(٢) **(صحيح)** أخرجه (هـ وابن أبي عاصم و اللالكائي) وصححه الألباني في س.ص ١٤٩٢.

ووجوب الخروج على الإمام الجائر، فكفَّروا المسلمين واستحلوا دماءهم.

في حين أن الشيعة ظهروا في آخر عصر عثمان رضى الله عنه، وانقسمت الشيعة إلى فرق كثيرة انحصرت اليوم في: الإسماعيلية، والزيدية، والإثنى عشرية وهي أكبرها وأكثرها عدداً، ومن أقوالهم: إن ما يدل على مذهبهم من آيات القرآن قد حذفها الصحابة وجاء في الكافي عن أبي بصير وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام، وقيل فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات ما فيه من قرآنكم حرف واحد، وقال شيخهم المجلسي: ومما عد من ضروريات دين الإمامة استحلال المتعة - زواج المتعة - وحج التمتع، والبراء من أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية، ومن لم يبرأ من أبي بكر وعمر وعثمان فهو عدو وإن أحب عليًّا، ولذلك يتعبدون الله سبحانه بعد كل صلاة بلعن الخلفاء الثلاثة وغيرهم من فضلاء الصحابة وبعض أمهات المؤمنين... (٧).

وفرقة القدرية ظهرت بعد ظهور الخوارج وقالوا: إن أعمال العباد ليست معلومة لله، ولا مكتوبة في اللوح المحفوظ، وأن الله لا يعلم بما يصنع الناس، إلا إذا وقع ذلك ولقد أدركوا أواخر عصر الصحابة.

ثم ظهرت فرقة المرجئة بعد ذلك وأدركت زمن كثير من التابعين، وهم الذين يقولون: إنه لا تضر المعصية مع الإيمان! تزني وتسرق وتشرب الخمر، وتقتل ما دمت مؤمنا، فأنت مؤمن كامل الإيمان وإن فعلت كل معصية!

أما فرق المعتزلة والجهمية قالوا قولا بين قول المرجئة وقول الخوارج قالوا: الذي يفعل الكبيرة ليس بمؤمن وليس بكافر، بل هو في منزلة بين منزلتين هذا في أحكام الدنيا، أما في الآخرة، فهو مخلد في النار! (٣٤).

أيها الإخوة الفضلاء، ألم يأن للذين آمنوا أن يتمسكوا بسنة الحبيب صلى الله عليه وسلم الصحيحة ويعتزلوا كل الفرق التى ترد السنة، فلقد حثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتمسك بالسنة فقال:**{فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ** - أي الخلفاء الأربعة - **تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا**

بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ} [(١)].

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) **(صحيح)** أخرجه (د) ٤٦٠٧ وصححه الألباني.

الدرس الثلاثون:
تجنب كبائر الذنوب

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، نحن على موعد مع ورع عطاء بن يسار: فعن عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم قال: خرج عطاء بن يسار وسليمان بن يسار حاجين من المدينة، ومعهما أصحاب لهم، حتى إذا كانوا بالأبواء نزلوا منزلا، فانطلق سليمان وأصحابه لبعض حاجتهم وبقي عطاء بن يسار قائما في المنزل يصلي.

قال: فدخلت عليه امرأة من الأعراب جميلة فلما رآها عطاء ظن أن لها حاجة فأوجز في صلاته، ثم قال: ألك حاجة؟ قالت: نعم. قال: ما هي؟ قالت: قم فأصب مني فإني قد ودقت - أي اشتقت للرجال - ولا بعل لي - أي ولا زوج لي - فقال: إليك عني - أي ابتعدي عني لا تحرقيني ونفسك بالنار، فجعلت تراوده عن نفسه ويأبى إلا ما يريد، قال: فجعل عطاء يبكي ويقول: ويحك إليك عني، قال: اشتد بكاؤه فلما نظرت المرأة إليه وما داخله من البكاء والجزع بكت المرأة لبكائه، قال: فجعل يبكي والمرأة بين يديه تبكي. فبينما هو كذلك إذ جاء سليمان من حاجته فلما نظر إلى عطاء يبكي والمرأة بين يديه تبكي في ناحية البيت بكى لبكائهما لا يدري ما أبكاهما وجعل أصحابهما يأتون رجلا رجلا كلما أتى رجل فرآهم يبكون جلس يبكي لبكائهم لا يسألهم عن أمرهم حتى كثر البكاء وعلا الصوت، فلما رأت الأعرابية ذلك قامت فخرجت.

قال: فقام القوم فدخلوا، فلبث سليمان بعد ذلك وهو لا يسأل أخاه عن قصة المرأة إجلالا له وهيبة، قال: وكان أسن منه، قال: ثم إنهما قدما مصر لبعض حاجتهما فلبثا بها ما شاء الله فبينا عطاء ذات ليلة نائم إذ استيقظ وهو يبكي وقال سليمان: مايبكيك يا أخي؟ قال: فاشتد بكاؤه. قال: ما يبكيك يا أخي؟ قال: رؤيا رأيتها الليلة. قال، وما هي؟ قال: لا تخبر بها أحدا ما دمت

حيا. رأيت يوسف النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فجئت أنظر إليه فيمن ينظر إليه فلما رأيت حُسْنهُ بكيت فنظر إليَّ في الناس فقال: ما يبكيك أيها الرجل؟ فقلت: بأبي أنت وأمي يا نبي الله، ذكرتك وامرأة العزيز وما ابتليت به من أمرها وما لقيت من السجن وفرقة يعقوب، فبكيت من ذلك وجعلت أتعجب منه. قال: فهلا تعجبت من صاحب المرأة البدوية بالأبواء؟ فعرفت الذي أراد فبكيت واستيقظت باكيا، قال سليمان: أي أخي وما كان من حال تلك المرأة؟ فقص عليه عطاء القصة فما أخبر بها سليمان أحدا حتى مات عطاء فحدث بها بعده امرأة من أهله قال: وما شاع هذا الحديث بالمدينة إلا بعد موت سليمان بن يسار رضى الله عنه (٣٧).

والله سبحانه وتعالى يحذرنا في محكم كتابه من كبائر الذنوب فيقول سبحانه:{**قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**} [الأنعام:١٥١].

وكذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم يحذرنا من كبائر الذنوب في أكثر من حديث فعنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم :{**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلَاثًا قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ** الله، **قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ** وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: **أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ**} قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ (١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه : عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:{**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**} قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَمَا هُنَّ؟ قَالَ:{**الشِّرْكُ بِاللهِ ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ**} (٢).

وقال ابن عباس رضى الله عنه عن كبائر الذنوب: هي إلى السبعين أقربُ

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ)٢٥١١و(م) ١٤٣.
(٢) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٢٦١٥، و(م) ١٤٥.

منها إلى السبع. والصحيح أنها لا تنحصر، وقد ذكر الحافظ الذهبي في كتاب الكبائر سبعين كبيرة، وكبائر الذنوب المنصوص عليها: القتل، والزنا، واللواط، وشرب الخمر، والسرقة، والغصب، والقذف، والنميمة، وشهادة الزور، واليمين الفاجرة، وقطيعة الرحم، وعقوق الوالدين، والفرار عند الزحف، وأكل مال اليتيم، وخيانة الكيل والوزن، والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسب الصحابة، وكتمان الشهادة، والرشوة، والدياثة وهي عدم غيرة الرجل على أهله، ومنع الزكاة، واليأس من رحمة الله، وأمن مكر الله، والظهار، وأكل لحم الخنزير، والميتة، وفطر رمضان بدون عذر شرعي، والغلول، ونشر الفساد في الأرض، والسحر، والربا، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونسيان القرآن بعد حفظه، وإحراق الحيوان بالنار، وامتناع المرأة من زوجها بلا سبب إلى غير ذلك من الكبائر (٤٧)، ويمكن الرجوع لكتاب (زاد المسلم اليومي من العلم الشرعي) لمعرفة المزيد من هذه الكبائر.

والله سبحانه وتعالى يبشر الذين يجتنبون كبائر الذنوب بمغفرة ذنوبهم قال تعالى:{**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ**} [النجم:٣٢].

المعنى: الذين يبتعدون عن كبائر الذنوب والفواحش إلا اللمم، وهي الذنوب الصغار التي لا يُصِرُّ صاحبها عليها، أو يلمُّ بها العبد على وجه الندرة، فإن هذه مع الإتيان بالواجبات وترك المحرمات، يغفرها الله لهم ويسترها عليهم، إن ربك واسع المغفرة.

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضى الله عنه، أَنَّ رَجُلاً أَصَابَ مِنِ امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَأَخْبَرَهُ فَأَنْزَلَ الله عز وجل :{**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**} [هود: ١١٤]، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ الله أَلِي هَذَا؟ قَالَ:{**لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ**} (١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ:{**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ**

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٥٠٣و (م) ٢٧٦٣ واللفظ للبخاري.

مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ؛ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ}[١].

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عُثْمَانَ رضى الله عنه، فَدَعَا بِطَهُورٍ فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:**{مَا مِنَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاَةٌ مَكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا؛ إِلاَّ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنْ الذُّنُوبِ؛ مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ}** [٢].

وَعن ابن عباس رضى الله عنه قال: ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم :**{إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنْ الزِّنَا أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ** - أي إلى العورات والنساء الأجنبيات - **وَزِنَا اللِّسَانِ الْمَنْطِقُ** - أي النطق بالفحش وما يتعلق بالفجور - **وَالنَّفْسُ تَتَمَنَّى وَتَشْتَهِي** - أي تسول لصاحبها وتحركه - **وَالْفَرْجُ** - أي آلة الزنا الحقيقية - **يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ** - أي بفعل ما تمنته النفس - **وَيُكَذِّبُهُ** - أي بترك الفواحش ومقدماتها -**}** [٣].

معاشر الإخوة، قال فضيلة الشيخ ابن جبرين : إن المعاصي كبيرها وصغيرها لا يجوز التهاون بها، فمقدمة السيئات تعتبر سيئات، والمقدمات التي هي الصغائر تعتبر من الذنوب، ولا يجوز أن يتهاون بها المسلم، فلا يتهاون بمقدمات هذه الذنوب وما أشبهها، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ}** [٤]، المثل واضح.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (م) ٢٣٣.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (م) ٢٢٨.

(٣) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٥٨٨٩، و(م) ٢٦٥٧.

(٤) **(صحيح)** أخرجه (حم) وصححه الألباني في صت ٢٤٧١.

الدرس الحادي والثلاثون:

اجتناب صور الخيانة المختلفة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة حاطب بن أبي بلتعة. فَعَنْ عَلِيٍّ رضى الله عنه قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم وَأَبَا مَرْثَدٍ الْغَنَوِيَّ وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ وَكُلُّنَا فَارِسٌ - أي جميعنا نركب الخيل - قَالَ:{**انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ** - أي مكان بين مكة والمدينة -، **فَإِنَّ بِهَا امْرَأَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مَعَهَا كِتَابٌ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ**}، فَأَدْرَكْنَاهَا تَسِيرُ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا حَيْثُ قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم، فَقُلْنَا: الْكِتَابُ، فَقَالَتْ: مَا مَعَنَا كِتَابٌ، فَأَنَخْنَاهَا - أي فأنخنا بعيرها -، فَالْتَمَسْنَا فَلَمْ نَرَ كِتَابًا، فَقُلْنَا: مَا كَذَبَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ، أَوْ لَنُجَرِّدَنَّكِ، فَلَمَّا رَأَتْ الْجِدَّ أَهْوَتْ إِلَى حُجْزَتِهَا - أي معقد إزارها مثل التكة - ، وَهِيَ مُحْتَجِزَةٌ - أي شادة كساءها على وسطها - بِكِسَاءٍ فَأَخْرَجَتْهُ فَانْطَلَقْنَا بِهَا إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ الله، قَدْ خَانَ الله وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَدَعْنِي فَلأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : {**مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟**} قَالَ حَاطِبٌ: وَاللَّهِ مَا بِي أَنْ لاَ أَكُونَ مُؤْمِنًا بِاللهِ وَرَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم ؛ أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ لِي عِنْدَ الْقَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ الله بِهَا عَنْ أَهْلِي وَمَالِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ إِلاَّ لَهُ هُنَاكَ مِنْ عَشِيرَتِهِ مَنْ يَدْفَعُ الله بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم :{**صَدَقَ وَلاَ تَقُولُوا لَهُ إِلاَّ خَيْرًا**}، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ قَدْ خَانَ الله وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، فَدَعْنِي فَلأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ:{**أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ؟**} فَقَالَ:{**لَعَلَّ الله اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الْجَنَّةُ، أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ؟**} فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ، وَقَالَ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ [١].

قال تعالى:{**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ**

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٣٧٦٢.

وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ(٢٧)} [الأنفال: ٢٧].

إن أمتنا الإسلامية تمرُّ في هذا الزمان بمحَنٍ عظيمة ونكَبات متلاحقة، لتعرّض الأمة لخيانات متعددة، تارة من أعدائها، وتارات من أبنائها.

والخيانة من سمات المنافقين، فالخائن بالضرورة منافق، وإلا فكيف سيُخفي خيانته إلا بالنفاق؟! فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ:{**إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ**} [(١)].

وأشد الناس فضيحة يوم القيامة هم الخائنون؛ لحديث عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رضى الله عنه قَالَ:قَالَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم :{**لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعْرَفُ بِهِ**} [(٢)]، هذا الخائنَ وإن اندسّ بين الناسَ ولم يفتضح أمره أمام عباد الله فأين يذهب يوم القيامة؟!

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعيذ من الخيانة فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:{**اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْجُوعِ؛ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْخِيَانَةِ؛ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ**} [(٣)].

والخيانة مذمومة حتى مع الخونة، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :{**أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ**} [(٤)].

معاشر الإخوة، لخيانة الأمانة صورٌ مختلفة نذكر منها:

١ - **خيانة العقيدة:** بأن يكون المسلم مطية لأعداء الله في تنفيذ مخططاتهم وما فيها من دمار للبلاد والعباد أو دليلاً لهم على عوراتها قال تعالى: {**ضَرَبَ الله مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ الله شَيْئًا وَقِيلَ**

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٣٣ و(م) ٥٩.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٦٥٦٥ و(م) ١٧٣٥.

(٣) **(صحيح)** أخرجه (حم م) وصححه الألباني في ص.ج ٢٦٣٧.

(٤) **(صحيح)** أخرجه (ت د دارمي) وصححه الألباني في مش ٢٩٣٤.

ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الداخِلِينَ} [التحريم:١٠]. والخيانة هنا هي خيانة الدين لا الفاحشة، فكانت امرأة نوح تطلع على سرّ نوح، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به وإذا استضاف لوط أحدًا أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء.

٢ ـ **موالاة أعداء الله خيانة:** كما في قصة حاطب بن أبي بلتعة التى ذكرت.

٣ ـ **خيانة الشريعة:** فلا تُطَبّق، بل تعزل عن حياة المسلمين.

٤ ـ **خيانة الأعراض:** ومن الخيانة في الأعراض النظرة الحرام، قال تعالى:{**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأعْيُنِ وَمَا تُخْفِى الصُّدُورُ}** [غافر:١٩]، قال ابن عباس: " هذا الرجل يدخل على أهل بيت وفيهم امرأة حسناء، فإذا غفلوا نظر إليها، وإذا فطنوا غضَّ بصره "، فكيف بالزنا؟! وقد حرم الله الزنا ونهى عن مقاربته ومخالطة أسبابه فقال:{**وَلاَ تَقْرَبُواْ الزّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً}** [الإسراء:٣٢].

٥ ـ **خيانة الكسب:** والمسلم الحق يحرص على الحلال في مطعمه ومشربه، فلا غش ولا خداع ولا كذب، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً، فَقَالَ:{**مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟}** قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ الله قَالَ:{**أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي}** (١).

٦ ـ **خيانة المنصب:** بأن يستغلّ الرجل منصبه الذي عُيِّن فيه لجرّ منفعة إلى شخصه أو قرابته، فإن التشبّع من المال العام جريمة ولقد فشا هذا الأمر في الدول الإسلامية في الآونة الأخيرة بصورة مروعة فلا حول ولا قوة إلا بالله العليُّ العظيم، فَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:{**مَنْ اسْتَعْمَلْنَاهُ عَلَى عَمَلٍ فَرَزَقْنَاهُ رِزْقًا فَمَا أَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ غُلُولٌ}** (٢).

٧ ـ **خيانة الرعية:** قال تعالى:{**يِاأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ قُواْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا**

(١) **(صحيح)** أخرجه (م) ١٠٢.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (د ك) وصححه الألباني في ص.ج ٦٠٢٣.

وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ الله ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم:٦].

ولذا كان من الخيانة تضييع الزوجة والأولاد، فلا يؤدبهم ولا يأمرهم بالمعروف ولا ينهاهم عن المنكر، فَعَنْ مَعْقِلٍ رضى الله عنه قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ الله رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ الله عَلَيْهِ الْجَنَّةَ}** (١)، وأي غش - أيها المسلمون - أكبر من نصب الدش في المنزل وجعله متاحًا للقاصرين من الأطفال والنساء والمراهقين يختارون ما شاؤوا من القنوات الخارجة؟!

وإذا أهمل الزوج حق زوجته ولم يطعمها ولم يكسها مما اكتسى أو أفشى سرها فقد خان الأمانة، وإن أفشت الزوجة سر زوجها فقد خانت الأمانة، وإن دخل بيتها أحد بغير إذن زوجها فقد خانت الأمانة.

٨ - **خيانة الجوارح:** فمن لم يحفظ جوارحه عن معصية الله فقد خان الله.

٩ - **خيانة أسرار الناس:** بألا تحفظ حقوق المجالس التي تحضرها، فتدع لسانك يفشي أسرارها وينشر أخبارها.

١٠ - **خيانة العالم العلم:** فالعلم أمانة في عنق العلماء، وإن لم يفعلوا كانوا مرتكبين لأبشع صور الخيانة،**{وَإِذْ أَخَذَ الله مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ}** [آل عمران:١٨٧].

١١ - **خيانة الودائع التي وصى الله بها من فوق سبع سماوات:{إِنَّ الله يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا}** [النساء:٥٨]، ويدخل في ذلك أداء الديون، فالمماطلة بها خيانة، انظروا إلى رسول الله كيف استخلف ابن عمه علي بن أبي طالب ليُسَلم إلى المشركين الودائع التي حفظوها عنده، مع أنهم آذوه واضطروه إلى ترك أرضه عند هجرته إلى المدينة (٧٢).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٦٧٣١ و(م) ١٤٢.

الدرس الثاني والثلاثون:
تجنب جميع المعاملات الربوية

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، نحن على موعد مع رؤيا لرسول الله في المنام لآكلي الربا - ومن المعلوم أن رؤيا الأنبياء حق - أخرجها البخاري وآخرين عَنْ سَمُرَةَ ابْنِ جُنْدُبٍ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : **رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخْرَجَانِي إِلَى أَرْضٍ مُقَدَّسَةٍ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ وَعَلَى وَسَطِ النَّهَرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهَرِ فَإِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ: الَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهَرِ آكِلُ الرِّبَا** (١).

وتصوروا واحداً يسبح في دم، أنت إذا وقعت نقطة دم في ثوبك تتقزز، كيف بواحد يسبح في الدم! (قلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا آكل الربا) هذا عذابه إلى يوم القيامة، فاتق الله في نفسك يا أخي!

أخي الحبيب: ينقسم الربا بصفة عامة لقسمين: ربا فضل وربا نسيئة.

ربا الفضل: معاوضة مال بمال بزيادة، أعطيك عشرة آلاف وتعطيني أحد عشر ألفاً أو مبلغ آخر، بزيادة مقدارها اثنان أو ثلاثة أو عشرة.. في المائة هذا ربا الفضل.

ربا النسيئة: لك مال عند إنسان وحان الأجل وما سدد هذا المال فتقول له: سدد ما عليك أو زد ولا أسألك، عشرة آلاف يجب عليك سدادها الآن أو أشكوك للجهة المسئولة.

فيقول لك: ما عندي.

وتقول له: حسناً، فلتكن المدة سنةً أيضاً وتصير أحد عشر ألفاً هذا ربا

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ١٩٧٩.

الجاهلية، نَسِّئْ وَزِدْ، فلا تعمل بهذا العمل.

ومنه ربا العينة، وهي: أن يبيع السلعة بثمن مؤجل ويسترجعها بثمن حال، هذه اسمها عينة، لأنها حيلة على الربا (٦٦). فمثلا يبيع سعيد إلى سيد سيارة بخمسين ألفا يسددها بعد سنة ثم يشتريها سعيد مرة ثانية من سيد في الحال بثلاثين ألفا فيقبض سيِّد ثلاثين ألفا ويصبح في ذمته خمسون ألفا لسعيد يسددها بعد سنة.

أخي الحبيب، الربا من أخطر البلايا التي تهدد المجتمع المسلم، قال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**} [آل عمران:١٣٠].

وقال الله تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨)**} [البقرة: ٢٧٨].

المعنى: يا من آمنتم بالله واتبعتم رسوله خافوا الله، واتركوا طلب ما بقي لكم من زيادة على رؤوس أموالكم التي كانت لكم قبل تحريم الربا، إن كنتم محققين إيمانكم قولا وعملا. ومن أنواع الربا ربا الفضل وربا العينة، فربا الفضل هو بيع النقود بالنقود أو الطعام بالطعام مع الزيادة كأن يباع كيلو تمر جيد بنصف كيلو تمر ردئ، وربا العينة هو أن يشتري المحتاج لنقود سلعة معينة بثمن معين إلى أجل معين ثم يبيعها ممن اشتراها منه بثمن فورى أقل فيكون الفرق هو فائدة المبلغ الذى أخذه آجلا وهذا البيع حرام ويقع باطلا.

فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضى الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:{**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ** - أي انشغلتم بالرعي - **وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ** - أي انشغلتم بالزراعة - **وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ الله عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**}[1].

ولقد نهىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يأخذ الهدية ممن يقرضه، فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضى الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:{**مَنْ شَفَعَ لِأَخِيهِ بِشَفَاعَةٍ فَأَهْدَى لَهُ هَدِيَّةً عَلَيْهَا فَقَبِلَهَا فَقَدْ أَتَى بَابًا عَظِيمًا مِنْ**

(١) **(صحيح)** أخرجه (د) وصححه الألباني في ص.ج برقم ٤٢٣.

أَبْوَابِ الرِّبَا}[١].

وربا النسيئة في هذه الأصناف الستة: الذهب والفضة والشعير والبر والتمر والملح فلابد أن يكون البدل فيهم في نفس المجلس وبنفس الوزن عند عمل مبادلة لنفس الصنف، أما إذا كانت المبادلة لسلعتين مختلفتين مثل البر والشعير مثلا فيمكن عدم تساوى الأوزان ولكن يجب التسليم في نفس المجلس وإلا صار ربا نسيئة.

فَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ، وَالْبُرُّ بِالْبُرِّ** - أي القمح -، **وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ، وَالْمِلْحُ بِالْمِلْحِ، مِثْلًا بِمِثْلٍ، سَوَاءً بِسَوَاءٍ، يَدًا بِيَدٍ، فَإِذَا اخْتَلَفَتْ هَذِهِ الْأَصْنَافُ، فَبِيعُوا كَيْفَ شِئْتُمْ إِذَا كَانَ يَدًا بِيَدٍ}** [٢].

أخي الصائغ، احذر من أن تشتري أو تبيع الذهب أو الفضة مع عدم قبض الثمن جملة واحدة في المجلس، فمن المعلوم أنه لا يجوز تأجيل دفع الثمن وإلا يصبح الأمر ربا النسيئة، وكذا لا تَبِعْ ذهباً بذهب أو فضة بفضة مع أخذ فارق الثمن، ولكن اجعل ذلك على بيعتين كل منهما مستقلة عن الأخرى.

الأخت الفاضلة، احذري من أن تبيعي ذهبك القديم بذهب جديد وتدفعي الفرق للصائغ فإن كان لا بد فبيعي ذهبك القديم أولا ثم اقبضي الثمن وبعد ذلك لك أن تشتري من هذا الصائغ أو غيره ذهبا جديدا بسعر جديد، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم **{مَنْ بَاعَ بَيْعَتَيْنِ فِي بَيْعَةٍ فَلَهُ أَوْكَسُهُمَا أَوْ الرِّبَا}**[٣].

معاشر الإخوة، **للربا مخاطر كثيرة نذكر منها:**

١) عقوبة آكل الربا أنه يسبح في نهر دم ويلقم في فيه بالحجارة يوم القيامة.

٢) أكل الربا من السبع الموبقات.

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (حم د) وحسنه الألباني في ص.ج برقم ٦٣١٦.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (حم م د ه) وصححه الألباني في ص.ج برقم ٣٤٤٥.

(٣) **(حسن)** أخرجه (د ك) وحسنه الألباني في ص.ج برقم ٦١١٦.

٣) أكل الربا يعرض صاحبه لحرب الله ورسوله، فيصير عدوا لله وسوله، قال الله تعالى:**{فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ}** [البقرة:٢٧٩].

٤) آكل الربا وكل من أعان عليه ملعون، وَعَنْ جَابِرٍ رضى الله عنه قَالَ: لَعَنَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم آكِلَ الرِّبَا وَمُؤْكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ وَقَالَ:**{هُمْ سَوَاءٌ}** (١). واللعن هو الطرد من رحمة الله تعالى.

٥) ظهور الربا سبب لإهلاك القرى ونزول مقت الله، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضى الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ، فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ كِتَابَ** الله عز وجل **}** (٢).

٦) مآل الربا إلى قلة وخسران، فَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضى الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:**{مَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مِنْ الرِّبَا إِلَّا كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ إِلَى قِلَّةٍ}**(٣).

٧) الربا أشد من ستة وثلاثين زنية، فعن عبد الله بن حنظلة رضى الله عنه قال:

قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{دِرْهَمٌ رِبًا يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَشَدُّ مِنْ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ زَنْيَةً}** (٤).

٩) أدنى الربا ذنبا كمثل من زنا بأمه، وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{الرِّبَا ثَلاثَةٌ وسَبْعُونَ بَاباً أَيْسَرُهَا مِثْل أَنْ يَنْكِحَ الرَّجُلُ أُمَّهُ وإِنَّ أَرْبَى الرِبَا عِرْضُ الرَجُلِ المُسْلِمِ}**، (٥).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (م) ١٥٩٨.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (طب ك) وصححه الألباني في ص.ج ٦٧٩.

(٣) **(صحيح)** أخرجه (هـ) وصححه الألباني في ص.ج ٥٥١٨.

(٤) **(صحيح)** أخرجه (حم طب) وصححه الشيخ الألباني في ص.ج ٣٣٧٥.

(٥) **(صحيح)** أخرجه (ك) وصححه الألباني في ص.ج ٣٥٣٩.

الدرس الثالث والثلاثون:

عدم أكل أموال الناس بالباطل

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة أروى بنت أويس مع سعيد بن زيد رضى الله عنه أخرجها مسلم في صحيحه، فَعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ أَرْوَى بِنْتَ أُوَيْسٍ ادَّعَتْ عَلَى سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا فَخَاصَمَتْهُ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا كُنْتُ آخُذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: وَمَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:{**مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنْ الْأَرْضِ ظُلْمًا طُوِّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ**}، فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: لاَ أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا فَقَالَ: اللهمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَعَمِّ بَصَرَهَا وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا قَالَ: فَمَا مَاتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا، ثُمَّ بَيْنَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ (١).

أخي الحبيب، لقد نهانا الله تعالى عن أكل أموال الناس بالباطل، قال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩)**} [النساء:٢٩].

وهناك صور متعددة من أكل أموال الناس بالباطل منها:

١ - **الغصب والسرقة**، أي الاستيلاء على مال الغير بغير حق، ففيه ظلم وقهر وتعد، وهو محرم بالكتاب والسنة والإجماع لما فيه من أكل أموال الناس بالباطل، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:{**لَعَنَ الله السَّارِقَ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ**} (٢).

(١) **(صحيح)** أخرجه (م) ١٦١٠.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (حم ق ن هـ) وصححه الألباني في ص.ج ٥٠٩٧.

٢ - إنكار الدين وعدم سداده مع القدرة على سداده، فقد ثبت عَّنِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ:{**مَطْلُ الْغَنِـيِّ ظُلْمٌ**} [(١)]، والمطل هو: التأخير، يعني: إذا كان غنياً قادراً على الوفاء فمطله - يعني: تأخيره للوفاء - ظلم.

وقال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ**} [البقرة:٢٨٢] الآية. لذا جاء في آية الدين أحكامٌ كثيرة نذكر منها: الحث على كتابة الدين قليلا أو كثيرا، والعفو عن عدم كتابة الدين في التجارة الحاضرة كأن يشترى المرء قنطارا تمرا أو سكرا على أن يسدد الثمن بعد يوم أو أيام مثلا، وجوب الإشهاد على البيع فمن باع دارا أوبستانا أو سيارة فليكتب ويشهد على الكتابة، ألا يضار كاتب ولا شهيد كأن يدعى الكاتب أو الشاهد إلى مكان بعيد أو إلى وقت يعطل فيه عمله.

وعَنْ صُهَيْب رضى الله عنه : عَّنِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:{**أَيُّمَا رَجلٍ يَدِينُ دَيناً وهُوَ مُجْمِعٌ أَنْ لاَ يُوَفِّيَهُ إِيَّاهُ، لَقِيَ اللهَ سَارِقاً**} [(٢)].

وَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضى الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ:{**يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ**} [(٣)].

٣ - الغلول، نهانا الله تعالى ورسوله الكريم عن الغلول، قال تعالى: {**وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ (١٦١)**} [آل عمران: ١٦١].

المعنى**:** وما كان لنبيٍّ أن يَخُونَ أصحابه بأن يأخذ شيئًا من الغنيمة غير ما اختصه الله به، ومن يفعل ذلك يأت حاملا له يوم القيامة؛ ثم تُعطى كل نفس جزاءَ ما كسبت دون ظلم.

٤ - الاحتكار، حبس ما يحتاجه الناس لرفع ثمنه عليهم إضرارا بهم واستغلالا لحاجتهم واضطرارهم، فَعن مَعْمَر رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : {**مَنِ احْتَكَرَ فَهُوَ خَاطِئٌ**}[(٤)]. ولا نتسهين بكلمة

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٢١٦٦، و(م) ١٥٦٤.

(٢) **(حسن صحيح)** أخرجه (هـ) ١٩٥٤ وقال الألباني حسن صحيح.

(٣) **(صحيح)** أخرجه (م) ٨٨٦.

(٤) **(صحيح)** أخرجه (م) ١٦٠٥.

خاطئ فلقد قال تعالى عن فرعون وهامان وجنودهما:{**إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ**} [القصص:٨].

٥ ـ **الرشوة**، أخذ الرشوة والهدية، فَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :{**لَعْنَةُ الله عَلَى الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي**} (١).

٦ ـ **التجارة في المواد المحرمة والضارة كالخمر والميتة والخنزير والأصنام**، ومن ذلك سائر المخدرات الحديثة، وتجارة السلاح وتهريبه، وتجارة الأطفال والنساء والبغاء والسهرات الحمراء والرقص والتمثيل والغناء والموسيقى غالبا، والأشرطة المخلة بالآداب، وبيع الأشياء المباحة لمن يعلم أنه يستخدمها في الحرام، ومما يلحق بالمخدرات الأدخنة والقات (٥٨).

٧ ـ **أكل مال اليتيم**، فلقد نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل مال اليتم بغير الحق، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:{**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ** قَالُوا: يَا رَسُولَ الله: وَمَا هُنَّ؟ **قَالَ: الشِّرْكُ بِاللهِ ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ**} (٢).

٨ ـ **بيع الغرر**، وقد جاء النهي عن بيع الغرر. فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم نَهَى عَنْ بَيْعِ الْغَرَرِ(٣).

ويدخل في بيع الغرر المنهي عنه إجماعاً أنواع كثيرة من البيوع شاع التعامل بها في الوقت الحاضر، كبيع البائع شيئا لا يملكه، وقد جاء النهي عنه ما جاء عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ قَالَ: يَا رَسُولَ الله، يَأْتِينِي الرَّجُلُ فَيُرِيدُ مِنِّي الْبَيْعَ لَيْسَ عِنْدِي أَفَأَبْتَاعُهُ لَهُ مِنْ السُّوقِ؟ فَقَالَ:{**لَا تَبِعْ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ**} (٤)،

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (حم د ت ه) وصححه الألباني في ص.ج برقم ٥١١٤.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (خ)٢٦١٥.

(٣) **(صحيح)** أخرجه (د) ٣٣٧٦ وصححه الألباني.

(٤) **(صحيح)** أخرجه (حم ٤) وصححه الألباني في ص.ج ٧٢٠٦.

كما يدخل في بيع الغرر بيع الثمار في الحقول والحدائق قبل أن يبدو صلاحها، ولذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها إلا أن يشترط القطع في الحال، ونهى عن بيع السنبل حتى يبيّض ويأمن العاهة، وَقَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم :**{إنْ لَمْ يُثْمِرْهَا الله فَبِمَ يَسْتَحِلُّ أَحَدُكُمْ مَالَ أَخِيهِ}** [1].

٩ - المقامرة، هي الميسر المنهى عنه بنص القرآن، وقد كان الرجل في الجاهلية يخاطر الرجل أي يقامره على أهله وماله، فأيهما قمر صاحبه أى غلبه ذهب بماله وأهله فنزلت آية النهي، قال تعالى:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}** [المائدة:٩٠]، فكل معاملة يتحقق فيها معنى المقامرة أو المراهنة فهي حرام.

١٠ – **الغش** ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم، مَرَّ عَلَى صُبْرَةٍ مِنْ طَعَامٍ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً فَقَالَ:**{يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ مَا هَذَا؟}** قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ - أي المطر - يَا رَسُولَ الله. قَالَ:**{أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ! ثُمَّ قَالَ: مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا}** [2].

١١ - بيع العربون ، والمراد به أن يشتري الشخص شيئاً فيدفع إلى البائع من ثمن ذلك المبيع شيئاً على أنه إن تم العقد بينهما كان ذلك المدفوع من الثمن، وإن لم يتم العقد صار المدفوع من حق البائع ولا يطالبه المشتري بشيء، وقد ذهب جمهور الفقهاء إلى عدم صحة بيع العربون، لأن بيع العربون فيه شرط فاسد، لما يترتب عليه أكل أموال الناس بالباطل، حيث لم تطب نفس المشتري بترك بعض ماله دون عوض أو مقابل مما يترتب عليه وقوع الشجار بين الناس.

١٢ - بيع النجش، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم :**{نَهَى عَنْ التَّلَقِّي لِلرُّكْبَانِ** - أي يستقبل بائعو السوق أهل البادية

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (م) ١٥٥٥.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (ت) وصححه الألباني في ص.ج ٥٨١١.

للشراء منهم قبل دخول السوق -، **وَأَنْ يَبِيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ** - أي لا يكون له سمسارا -، **وَأَنْ تَسْأَلَ الْمَرْأَةُ طَلَاقَ أُخْتِهَا، وَعَنْ النَّجْشِ** - أي يزيد في ثمن السلعة وهو لا يرغب في شرائها وإنما ليخدع غيره -، **وَالتَّصْرِيَةِ** - أي ترك الحيوان دون حلب أياما ليجتمع اللبن في الضرع ويخدع المشتري بكثرة اللبن -، **وَأَنْ يَسْتَامَ الرَّجُلُ عَلَى سَوْمِ أَخِيهِ}** [(١)].

١٣ - بيع الرجل على بيع أخيه، ولا خلاف بين الفقهاء في أنه إذا باع الرجل على بيع أخيه، أو اشترى على شرائه فإن فِعْلَهُ هذا محرم ويكون آثماً للحديث السابق، وينبغي أن يفهم أن حرمة هذا البيع تكون بعد إتمام البيع واتفاق كلٍّ من البائع والمشتري، أما أثناء البيع كأن يتم المزايدة على ثمن السلعة بين مجموعة من المشترين فلا بأس (٢).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (م) ١٥١٥.

الدرس الرابع والثلاثون:
عدم تتبع خطوات الشيطان

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة راهب عبد الله ستين سنة ثم فتنه الشيطان، قال ابن كثير في تفسيره قال ابن جرير: عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية**{كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ}** [الحشر:١٦]، قال: كانت امرأة ترعى الغنم وكان لها أربعة إخوة، وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهب، قال: فنزل الراهب ففجر بها فحملت، فأتاه الشيطان فقال له: اقتلها ثم ادفنها فإنك رجل مصدق يسمع قولك، فقتلها ثم دفنها قال: فأتى الشيطان إخوتها في المنام، فقال لهم: إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم، فلما أحبلها قتلها ثم دفنها في مكان كذا وكذا، فلما أصبحوا، قال رجل منهم: والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدري أقصها عليكم أم أترك؟ قالوا: لا بل قصها علينا. قال: فقصها، فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيت ذلك، فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيت ذلك، قالوا: فوالله ما هذا إلا لشيء قال: فانطلقوا فاستعدوا ملكهم على ذلك الراهب، فأتوه فأنزلوه ثم انطلقوا به فلقيه الشيطان، فقال إني أنا الذي أوقعتك في هذا ولن ينجيك منه غيري، فاسجد لي سجدة واحدة وأنجيك مما أوقعتك فيه، قال: فسجد له، فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه وأخذ فقتل، وكذا روي عن ابن عباس وطاووس ومقاتل ابن حيان نحو ذلك، واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برصيصا فالله أعلم.

ولقد أمر الله عز وجل عباده المؤمنين بالعمل بكل شرائع الإسلام وعدم تتبع طرق الشيطان فقال تعالى:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٠٨)}** [البقرة:٢٠٨].

وحذر سبحانه وتعالى من أن نسلك طرق الشيطان لأنه يأمر بالفحشاء والمنكر قال تعالى:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن**

يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ} [النور:٢١].

معاشر الإخوة، لقد حذرنا الله سبحانه وتعالى من الشيطان، قال تعالى:{**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**} [فاطر:٦] وللشيطان على بني آدم مداخل متنوعة نذكر منها:

١ - يَعِد أصحابه الفقر إذا أنفقوا في سبيل الله ويأمرهم بالفحشاء قال تعالى:{**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦٨)**} [البقرة:٢٦٨].

٢ - يخوف أولياءه من القتل عند الجهاد قال تعالى:{**إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٥)**} [آل عمران:٢٧٥].

٣ - يزين لأوليائه الرياء عند الانفاق في سبيل الله. قال تعالى:{**وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَـاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاء قِرِيناً (٣٨)**} [النساء:١٦].

٤ - يزين لأوليائه التحاكم بغير شرع الله. قال تعالى:{**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً(٦٠)**} [النساء:٦٠].

٥ - يشكك أولياءه في دين الإسلام ليردهم إلى الكفر قال تعالى:{**إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ**} [محمد:٢٥].

٦ - يستحوذ على أولياءه لينسيهم ذكر الله، قال تعالى:{**اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ** الله **أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩)**} [المجادلة:١٩].

٧ - يعد ويمني أولياءه بطول الأمل وبالوعود الكاذبة، والأماني الباطلة الخادعة قال تعالى:{**يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً (١٢٠)**} [النساء:١٢٠].

٨ - يزين لأوليائه شرب الخمر ولعب القمار وعبادة الأصنام واستخدام القداح في الاستخارة وغير ذلك من الآثام ليوقع بين أوليائه العداوة

والبغضاء ويصرفهم عن الصلاة. قال تعالى:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠)}** [المائدة:٩٠].

إخوتي في الله، يمكن التحرز من الشيطان بالمحافظة على أذكار اليوم والليلة نذكر من ذلك ما يلي :

١ ـ **فعند قراءة القرآن**، يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قال تعالى:**{فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨)}** [النحل:٩٨].

٢ ـ **وعند الدخول إلى البيت**، قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ الله عِنْدَ دُخُولِهِ، وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرْ الله عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمْ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرْ الله عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ: أَدْرَكْتُمْ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ}** [(١)].

٣ ـ **وعند الخروج من البيت**، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضى الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:**{إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ** الله **تَوَكَّلْتُ عَلَى** الله **لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ ، فَيُقَالُ لَهُ: كُفِيتَ وَهُدِيتَ وَوُقِيتَ، فَيَلْقَى الشَّيْطَانُ شَيطَانًا آخَرَ فَيَقُولُ لَهُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ}** [(٢)].

٤ ـ **وعند الهم على اقتراف المعاصي**، يمكن دفع الشيطان إذا وسوس لاقتراف المعاصي بالاستعاذة بالله تعالى منه. قال تعالى:**{وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠)}** [الأعراف:٢٠٠].

٥ ـ **وعند النوم**، فليقرأ آية الكرسي فإنه لا يزال عليه من الله حافظ ، قال تعالى :**{اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥)}** [البقرة

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (م) ٢٠١٨.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (د ن حب) وصححه الألباني في صت ١٦٠٥.

:٢٥٥] ، لحديث أبي هريرة الطويل.

٦ ـ **وعند الفزع من النوم**، قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{إِذَا فَزِعَ أَحَدُكُمْ فِي النَّوْمِ فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ** الله **التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ}** (١).

٧ ـ **وعند القيام من النوم**، لقول النبي صلى الله عليه وسلم :**{إِذَا اسْتَيْقَظَ أُرَاهُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَتَوَضَّأَ فَلْيَسْتَنْثِرْ ثَلَاثًا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خَيْشُومِهِ** ـ أنفه ـ**}** (٢)

٨ ـ **وعند الدخول إلى الخلاء**، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضى الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم :**{إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ قَالَ: اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ}** (٣)

٩ ـ **وعند الصلاة**، بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم مع التفل جهة اليسار، وترك الالتفات في الصلاة، ومنع من يريد المرور بين أيدينا في الصلاة، والسجود عند المرور بآية سجود، وسجود سجدتي سهو عند السهو في الصلاة، وترك الصلاة عند شروق الشمس وعند غروبها.

١٠ ـ **وعند التثاؤب**، قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَضَعْ يَدَهُ عَلَى فِيهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مَعَ التَّثَاؤُبِ}** (٤).

١١ ـ **عند الصباح والمساء**، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ:

{مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنْ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ}(٥).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

---

(١) **(حسن)** أخرجه (ت) وحسنه الألباني في ص.ج ٧٠١.

(٢) **(صحيح)** رواه (ق) وصححه الألباني في مش ٣٩٢.

(٣) **(صحيح)** أخرجه (خ)١٤٢ و(م) ٣٧٥.

(٤) **(صحيح)** رواه (حم ق د) وصححه الألباني في ص.ج ٤٢٦.

(٥) **(صحيح)** أخرجه (خ)٣١١٩ و(م)٢٦٩١.

الدرس الخامس والثلاثون:

تحري الحلال في المطعم والمشرب والملبس

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، نحن على موعد مع ورع أبي بكر الصديق رضى الله عنه وتحريه في أكل الحلال وتجنب الحرام، أخرج البخاري في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ رضى الله عنها قَالَتْ: كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ غُلاَمٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ الْغُلاَمُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لِإِنْسَانٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَا أُحْسِنُ الْكِهَانَةَ إِلاَّ أَنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقِيَنِي، فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ، فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتَ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ [(١)].

ولقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بأكل الحلال الطيب وبين ما حرم من الأطعمة والأشربة في آيات مختلفة، قال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**} [المائدة:٨٧]، وقال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِله إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**} [البقرة:١٧٢].

وقال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(٩٠)**} [المائدة:٩٠].

المعنى: يا أيها الذين آمنوا إن الخمر، والقمار مما فيه عوض من الجانبين، وصدٌّ عن ذكر الله، والأنصاب أي الحجارة التي كان المشركون يذبحون عندها تعظيمًا لها، وما ينصب للعبادة تقربًا إليه، والأزلام: وهي القِداح التي يستقسم بها الكفار قبل الإقدام على الشيء، أو الإحجام عنه، إن ذلك كله إثمٌ مِن تزيين الشيطان، فابتعدوا عن هذه الآثام، لعلكم تفوزون بالجنة.

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٣٦٢٩.

وقال تعالى:{**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ الله بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسلام دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ(٣)**} [المائدة:٣].

المعنى: يا أيها الذين آمنوا حرَّم الله عليكم الميتة، وهي الحيوان الذي تفارقه الحياة بدون ذكاة - أي بذبحه ذبحا غير شرعيا -، وحرَّم عليكم الدم السائل المُراق، ولحم الخنزير، وما ذُكِر عليه غير اسم الله عند الذبح، والمنخنقة التي حُبِس نَفَسُها حتى ماتت، والموقوذة وهي التي ضُربت بعصا أو حجر حتى ماتت، والمُتَرَدِّية وهي التي سقطت من مكان عال أو هَوَت في بئر فماتت، والنطيحة وهي التي ضَرَبَتْها أخرى بقرنها فماتت، وحرَّم الله عليكم البهيمة التي أكلها السبُع، كالأسد والنمر والذئب، ونحو ذلك. واستثنى سبحانه مما حرَّمه من المنخنقة وما بعدها ما أدركتم ذكاته قبل أن يموت فهو حلال لكم، وحرَّم الله عليكم ما ذُبِح لغير الله على ما يُنصب للعبادة من حجر أو غيره، وحرَّم الله عليكم أن تطلبوا عِلْم ما قُسِم لكم أو علم مالم يقسم لكم بالأزلام أي القداح التي كانوا يستقسمون بها إذا أرادوا أمرًا قبل أن يقدموا عليه، والآن انقطع أمل الكفار في أن ترتدوا عنه إلى الشرك بعد أن نصَرْتُكم عليهم، فلا تخافوهم وخافوني واليوم أكملت لكم دينكم وهو دين الإسلام بتحقيق النصر وإتمام الشريعة، وأتممت عليكم نعمتي بإخراجكم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإيمان، ورضيت لكم الإسلام دينًا فالزموه، ولا تفارقوه. فمن اضطرَّ في مجاعة إلى أكل الميتة من غير هوى لذلك فله تناوله، فإن الله غفور رحيم.

ويتناول المضطر من الميتة القدر الذي يحفظ حياته ويقيم أوده، وكذا يجوز تناول الخمر في حالة الاضطرار، وهذا من باب الضرورات تبيح المحظورات، ونهي رسول الله نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع وعن أكل كل ذي مخلب من الطير، نهى عن أكل لحوم الحمر الأهلية، نهى عن أكل الجلالة وألبانها والجلالة هي التي تأكل العذرة - أي النجاسات - من

الإبل والبقر والغنم والدجاج والأوز وغيره فإذا حبست بعيدة عن العذرة زمنا وعلفت طاهرا، فطاب لحمها حلت، لأن العلة التغيير وقد زالت، واللحوم المستوردة من خارج البلاد الإسلامية يشترط فيها أن تكون من اللحوم التي أحلها الله والتى ذكيت زكاة شرعية - أي ذبحت ذبحا شرعيا -.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنَّا نَرْكَبُ الْبَحْرَ وَنَحْمِلُ مَعَنَا الْقَلِيلَ مِنْ الْمَاءِ فَإِنْ تَوَضَّأْنَا بِهِ عَطِشْنَا أَفَنَتَوَضَّأُ بِمَاءِ الْبَحْرِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله:{**هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ**} [(١)]، ونخلص من هذا الحديث أن ماء البحر طاهر وميتته حلال.

معاشر الإخوة، إن من فضائل إطابة المطعم والمشرب استجابة الدعاء، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :{**يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الله طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ الله أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ:{يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}** [المؤمنون: ٥١]، وَقَالَ:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**} [البقرة: ١٧٢] **ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ**} [(٢)].

فهذا الرجل جمع أسباب إجابة الدعاء ولكن لم يُسْتَجَبْ له لأكله الحرام.

أخي الحبيب، إن في تحري الحلال وترك الحرام فوائد عظاماً نذكر منها:

١ - أكل الحلال صلاح للقلوب، وأكل الحرام من أخطر مهلكات القلوب.

٢ - أكل الحلال نجاة من الهلاك، قال سهل بن عبد الله: النجاة في ثلاثة: أكل الحلال، وأداء الفرائض، والاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، وقال: ولا يصح أكل الحلال إلا بالعلم، ولا يكون المال حلالا حتى يصفو من ست خصال: الربا، والحرام، والسحت، والغلول، والمكروه، والشبهة.

٣ - ومن أكل الحرام حُرم لذة الإيمان فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبا.

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (د) ٨٣ وصححه الألباني.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (م) ١٠١٥.

٤ - ما نبت من حرام فالنار أولى به، فَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{يا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ إِنَّهُ لَا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ}** [١].

أما ترى أن هذا هو زماننا ورب العزة، أما ترى تكالب الناس من أجل تحصيل مغريات الدنيا التي تتفتح عليها أعينهم ليل نهار، فلا يبالون بشيء سوى جمع المال من أي وجه، حلال أو حرام لا يهم، المهم هو جمع المال للحصول على محبوباته من المحمول والدش والسيارات الفارهة.. إلخ.

ومن أجل ذلك تعقدت الأمور، وصار الناس في حيرة من أمرهم، فما يمر يوم إلا وتجد من يسألك عن هذا الذي يبيع الدخان أو الخمور أو يعمل في شركة سياحة أو يعمل في بنك ربوي أو يتعامل بالربا، أو الذي بنى ثروته من البداية بتجارة المخدرات ويريد أن يتوب ولا يعلم ماذا يصنع في ماله، وذاك الذي يعمل كوافيرا أو يبيع ملابس النساء العارية التي يعلم أن التي ستلبسها لتفتن بها شباب المسلمين في الشوارع، وهذا الذي يعمل في السينمات والمسارح..إلخ.

ومن المؤسف والمخجل أنك تستمع للأولاد وهم لا يدرون كيف يأكلون من مال أبيهم وهم يعلمون أنه حرام، وتجدك في كل مرة تبحث لهؤلاء عن مخرج وقد ضيق الناس على أنفسهم سبل الخير والحلال، ومن هنا شاعت الفتاوى عن المال المختلط وأحكامه وغيرها مما هو على هذه الشاكلة، أما كان السبيل رحبا واسعا فضيقتموه باتباع الهوى واللهث وراء المال من غير وجه حله،**{أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ(٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ(٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ(٦)}** [المطففين:٤ - ٦] (٦٣).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (ت)٦١٤ وصححه الألباني.

الدرس السادس والثلاثون:
وقاية النفس والأهل من النار

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة سعيد بن المسيب هذا التابعى الجليل والتى وردت في كتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء يقول: عن أبي وداعة قال: كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدنى أياما فلما جئته قال: أين كنت؟ قلت:توفيت أهلي فاشتغلت بها، فقال: ألا أخبرتنا فشهدناها، قال: ثم أردت أن أقوم فقال: هل استحدثت امرأة؟ فقلت: يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة، فقال: أنا، فقلت: أو تفعل؟ قال: نعم، ثم حمد الله تعالى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين أو قال: ثلاثة - قال: فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح فصرت إلى منزلى وجعلت أتفكر ممن آخذ وممن أستدين فصليت المغرب وانصرفت إلى منزلي واسترحت وكنت وحدي صائما فقدمت عشائي أفطر. كان خبزا وزيتا فإذا بآت يقرع، فقلت: من هذا؟ قال:سعيد، قال: فتفكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب، فإنه لم ير أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد، فقمت فخرجت فإذا بسعيد بن المسيب فظننت أنه قد بدا له، فقلت: يا أبا محمد ألا أرسلت إليَّ فآتيك؟ قال: لأنت أحق أن تؤتى، قال: قلت: فما تأمر؟ قال: إنك كنت رجلا عزبًا فتزوجت، فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك فإذا هي قائمة من خلفه في طوله، ثم أخذها بيدها فدفعها بالباب ورد الباب، فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت الباب، ثم قدمتها إلى القصعة التى فيها الزيت والخبز، فوضعتها في ظل السراج لكي لا تراه ثم صعدت إلى السطح، فرميت الجيران، فجاءوني فقالوا: ماشأنك؟ قلت: ويحكم! زوجني سعيد بن المسيب اليوم وقد جاء عليَّ غفلة، فقالوا: سعيد ابن المسيب زوجك؟ قلت: نعم، وها هي في الدار، قال: فنزلوا هم إليها وبلغ أمي فجاءت، وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن

أصلحها لك ثلاثة أيام، قال: فأقمت ثلاثة أيام ثم دخلت بها فإذا هي من أجل الناس، وإذا هي أحفظ الناس لكتاب الله وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعرفهم بحق الزوج قال: فمكثت شهرا لا يأتيني سعيد ولا آتيه، فلما كان قرب الشهر أتيت سعيدا وهو في حلقته فسلمت عليه فرد على السلام ولم يكلمني حتى تقوض أهل المجلس، فلما لم يبق غيري، قال: ما حال ذلك الإنسان، قلت: خيرا يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو، قال: إن رابك شيء، فالعصا فانصرفت إلى منزلي، فوجه إليَّ بعشرين ألف درهم، قال عبد الله بن سليمان: وكانت بنت سعيد بن المسيب خطبها عبد الملك بن مروان - أي أمير المؤمنين - لابنه الوليد بن عبد الملك حين كتب العهد لابنه - فأبى سعيد أن يزوجه، فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف.

وهذا مصداقا لقول الله تعالى:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}** [التحريم:٦].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضى الله عنه أَنَّهُ: سَمِعَ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:**{كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ}**(١).

معاشر الإخوة، فيما يلي قبس من الهدي النبوي لوقاية الأهل والنفس:

١ - أن يأمر أهل بيته بالصلاة، قال تعالى:**{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (١٣٢)}** [طه: ١٣٢].

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : **{مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ**

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٢٢٧٨، و(م) ١٨٢٩.

عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ } [١].

٢ - أن يوفر لأهل بيته الطعام الطيب محتسبا الأجر عند الله، فَعَنِ ابْنِ عَمْرٍو رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ}**[٢].

٣ - أن يعتني بتوجيه أولاده للسوك الحسن، فَعَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ رضى الله عنه قَالَ: كُنْتُ غُلاَمًا فِي حَجْرِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{يَا غُلَامُ سَمِّ الله، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ}**[٣].

٤ - أن يهتم بتعليم أولاده القرآن الكريم، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:**{يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَلِّهِ فَيُلْبَسُ تَاجَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ فَيَرْضَى عَنْهُ فَيُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَارْقَ وَتُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً}** [٤].

٥ - أن يهتم بإيقاظ أهله لصلاة الليل، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالاَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا كُتِبَا مِنْ الذَّاكِرِينَ الله كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ}** [٥].

٦ - أن يأمر أهله بارتداء الحجاب الشرعي، فَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رضى الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ:**{ثَلَاثَةٌ قَدْ حَرَّمَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِمُ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَالْعَاقُّ، وَالدَّيُّوثُ الَّذِي يُقِرُّ فِي أَهْلِهِ الْخُبْثَ}**[٦].

---

(١) **(حسن)** أخرجه (د) وحسنه الألباني في مش ٥٧٢.

(٢) **(حسن)** أخرجه (حم د ك هق) وحسنه الألباني في ص.ج ٤٤٨١.

(٣) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٥٠٦١، و(م) ٢٠٢٢.

(٤) **(صحيح)** أخرجه (ت ك) وصححه الألباني في ص.ج ٨٠٣٠.

(٥) **(صحيح)** أخرجه (د ك) وصححه الألباني في ص.ج ٦٠٣٠.

(٦) **(صحيح)** أخرجه (حم) وصححه الألباني في ص.ج ٣٠٥٢.

٧ - أن يوجه أهله لكل خصال الخير، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{إِنَّ الدَّالَّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ}**[١].

٨ - أن يعتني بدوام ذكر الله في بيته، فَعَنْ أَبِي مُوسَى رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ}**[٢].

٩ - أن يحث أهله لقراءة القرآن في البيت، قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{اقرؤوا سورة البقرة في بيوتكم فإن الشيطان لا يدخل بيتا يقرأ فيه سورة البقرة}**[٣].

١٠ - أن يحث أولاده على صلة الرحم، قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{صِلَةُ الرَّحِمِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ}** [٤].

١١ - أن يحث أولاده على مرافقة الصالحين، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:**{الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ}** [٥].

١٢ - أن يعلم أهله كيف يكون التصرف عند مرض أحد أفراد الأسرة وذلك بثلاثة أشياء، بالدعاء، ثم بالصدقة، ثم بالأخذ بالأسباب مع التيقن على رب الأسباب وعدم التيقن على الأسباب ثم يذهب للطبيب قال تعالى:**{وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠)}** [الشعراء:٨٠]، وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضى الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم :**{دَاوُوا مَرْضَاكُم بِالصَّدَقَةِ}**[٦].

١٣ - أن يأمر نساء بيته بالتحجب وعدم العري والتبرج عملا بقول الله

---

(١) **(صحيح)**أخرجه (البزار) وصححه الألباني في ص.ج ٣٣٩٩.
(٢) **(صحيح)** أخرجه (ق) وصححه الألباني في ص.ج ٥٨٢٧.
(٣) **(صحيح)** أخرجه (ك هب) وصححه الألباني في ص.ج ١١٧٠.
(٤) **(صحيح)**أخرجه (حم هب) وصححه الألباني في ص.ج ٣٧٦٧.
(٥) **(صحيح)** أخرجه (د ت) وصححه الألباني في ص.ج ٣٥٤٥.
(٦) **(حسن)** أخرجه (أبو الشيخ في الثواب) وحسنه الألباني في ص.ج ٣٣٥٨.

تعالى:{**وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى**} [الأحزاب ٣٣]، والتبرج يكون بعدة أمور: إما بخلع الحجاب، وإظهار المرأة شيئاً من بدنها أمام الرجال الأجانب عنها، أو تبدي المرأة شيئاً من زينتها المكتسبة، أو بتثنّى المرأة في مشيتها وتبخترها وتكسّرها أمام الرجال، أو بالخضوع بالقول والملاينة بالكلام، أو بالاختلاط بالرجال وملامسة أبدانهن أبدان الرجال، بالمصافحة والتزاحم في المراكب والممرات الضيقة ونحوها، فينبغي على ولي الأمر أن يقي نسائه من كل هذه المحاذير.

١٤ - أن يمنع نساءه من الخلوة والسفر بغير محرم أو أن يدخل عليهم رجل وليس معهم محرم، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : **لَا تُسَافِرْ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ وَلَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا رَجُلٌ إِلَّا وَمَعَهَا** مَحْرَمٌ [(١)]. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: **لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ تُسَافِرُ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ عَلَيْهَا** [(٢)].

١٥ - أن يختار الأب لابنته صاحب الدين والخلق ولا يغفل عن التكافئ الاجتماعي والثقافي، فإن صاحب الدين والخلق إن عاش معها أكرمها وإن لم يكتب لهما دوام العشرة لم يظلمها، ويحذر من تكليف الزوج النفقات الباهظة فلا بد من التيسير على الشباب، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :{**إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ**}[(٣)].

١٦ - أن يوصي الأب ابنه بما أوصي به رسول الله بأن يتزوج ذات الدين فإن لم يستطع فعليه بالصيام فإنه دأب الصالحين وهو وقاية من المعاصي كأن يعوده صيام يومي الاثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه : عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:{**تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ**

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٤٩٣٥.
(٢) **(صحيح)** أخرجه (م) ١٣٣٩.
(٣) **(حسن)** أخرجه (ت ه ك) وصححه الألباني في ص.ج ٢٧٠.

يَدَاكَ} [١].

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) **(صحيح)** أخرجه (ق د ن ه) وصححه الألباني في ص.ج ٣٠٠٣.

الدرس السابع والثلاثون:
هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة إلى الطائف، ماشيًا على قدميه جيئة وذهابا، ومعه مولاه زيد بن حارثة، فلما انتهى إلى الطائف توجه إلى ثلاثة إخوة من رؤساء ثقيف، وهم عبد ياليل ومسعود وحبيب أبناء عمرو بن عمير الثقفي، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله، وإلى نصرة الإسلام، فقال أحدهم: هو يَمْرُط ثياب الكعبة - أي يمزقها - إن كان الله أرسلك، وقال الآخر: أما وَجَدَ الله أحدًا غيرك، وقال الثالث: والله لا أكلمك أبدًا، إن كنت رسولاً لأنت أعظم خطرًا من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي أن أكلمك. فقام عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم:**{إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني}**، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أهل الطائف عشرة أيام، لا يدع أحدًا من أشرافهم إلا جاءه وكلمه، فقالوا: اخرج من بلادنا. وأغروا به سفهاءهم، فلما أراد الخروج تبعه سفهاؤهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، فوقفوا له سِمَاطَيْن - أي صفين - وجعلوا يرمونه بالحجارة، وبكلمات من السفه، ورجموا عراقيبه، حتى اختضب نعلاه بالدماء. وكان زيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى أصابه شِجَاج في رأسه، ولم يزل به السفهاء كذلك حتى ألجأوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة على ثلاثة أميال من الطائف، فلما التجأ إليه رجعوا عنه، وَعَنْ عَائِشَةَ رضى الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَتْ: قُلتُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم : هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ:**{لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ**

لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ ، فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم **: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً}** [١] (٢٦).

أخي الحبيب، هذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رفض ان ينتقم من قومه، فلقد جبله الله عز وجل على كريم الخلال، فكان قبل النبوة أرقى قومه، بل أرقى البشرية في زكاء نفسه، وسلامة فطرته، وحسن خلقه، نشأ يتيماً شريفاً، وشب فقيراً عفيفاً، ثم تزوج محباً لزوجته مخلصاً لها.

لم يتولَّ هو ولا والده شيئاً من أعمال قريش في دينها ولا دنياها، ولا كان يعبد عبادتهم، ولا يحضر سمرهم، ولا ندواتهم، ولم يؤثر عنه قول ولا عمل يدل على حب الرياسة، أو التطلع إليها.

كان يُعرفُ بالتزام الصدق، والأمانة، وعلو الآداب؛ فبذلك كان له المقام الأرفع قبل النبوة؛ حتى لقبوه بالأمين، حتى أتاه الوحي من رب العالمين

بل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أميا لا يقرأ ولا يكتب**:** فهذا من أعظم المهيئات والدلائل على صدق نبوته.

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أكرم الخلق أخلاقا، وقد خاطبه ربه تبارك وتعالى بقوله له:**{وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}** [القلم:٤]، ولقد أدبه ربه، فأحسن تأديبه، فكان خلقه القرآن الكريم، يتأدب به، ويؤدب الناس به، وكان لا يرد إلا طَيِّبا ولا يضحك إلا مبتسما، وكان كلامه يفهمه كل من سمعه، وكان لا يرد الطِيب – أي العطر- ولا اللبن ولا الوسادة. وكان كثير شعر اللحية فقد كان يطلق لحيته ويحف شاربه، وكانت وسادته التي ينام عليها من أدم - أي جلد - حشوها ليف. وكان في حاجة أهله يقم المنزل ويخيط ثوبه ويخصف نعله، وكان يبيت الليالي المتتالية طاويا وأهله لا يجدون عشاء، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير، وكان لا يسأله أَحَدٌ إلا أعطاه فقد كان أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في رمضان.

وكان أبغض الخلق إليه الكذب، وكان إذا اطلع على أحد من أهل بيته كذب

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٣٠٥٩ و(م)١٧٩٥.

كذبة لم يزل معرضا عنه حتى يحدث توبة، وكان لا يغضب لنفسه ولكن يغضب إذا انتهكت محارم الله عز وجل .

وكان يجيب دعوة أي أحد، ويقبل الهدية ولو قَلَّت، ويكافئ عليها.

وكان يعود المرضى، ويشهد الجنائز، ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس.

وكان أشد الناس تواضعا، وكان يلبس ما وجد، فمرة شملة، ومرة جبة صوف، فما وجد من المباح لبس، ويركب ما أمكنه، مرة فرساً، ومرة بعيراً، ومرة بغلة شهباء، ومرة حماراً، أو يمشي راجلاً حافياً.

وكان يجالس الفقراء، ويؤاكل المساكين، وكان لا يحتقر مسكيناً لفقره وزمانته، ولا يهاب ملكاً لملكه، يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء مستوياً، وكان يكرم أهل الفضل في أخلاقهم، ويتألف أهل الشرف في البر لهم، ويصل ذوي الرحم من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم، وما كان يأتيه أحد إلا قام معه في حاجته، ولم يكن فظّاً، ولا غليظاً، ولا صخاباً في الأسواق، وما كان يجزي السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح.

وكان من خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام، ومن قادمه لحاجة صابره حتى يكون القادم هو المنصرف.

وكان لا يجفو على أحد، يقبل معذرة المعتذر إليه، يمزح ولا يقول إلا حقاً، يضحك من غير قهقهة، ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس أصحابه؛ لأنه كان يجلس حيث انتهى به المجلس، وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليس بينه وبينه قرابة يجلسه عليه، وكان يعطي من جلس إليه نصيبه من وجهه، وسمعه، وحديثه، ولطيف محاسنه، وتوجيهه، وكان أبعد الناس غضباً، وأسرعهم رضاً، وكان أرأف الناس بالناس، وكان يحب اليسر، ويكره العسر، ولا يشافه أحداً بما يكره، ومن رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، وكان يتفاءل ولا يتشاءم ويحب الاسم الحسن، وكان إذا أتاه الأمر يَسُرُّهُ قال: **الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات**، وإذا أتاه أمر يكره قال: **الحمد لله على كل حال**، وكان يحب التيامن ما استطاع في طهوره وتنعله وترجله وفي شأنه كله.

وكان إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه

الأيمن أو الأيسر، ويقول: **السلام عليكم، السلام عليكم.**

وكان إذا قرب طعام قال: **بسم الله** فإذا فرغ قال: **أطعمت وأقنيت وهديت وأحييت فلك الحمد على ما أعطيت**، وإذا شرب يشرب على ثلاث مرات وكان لا يشرب من فم السقاء وكان لا يتنفس في الإناء.

وكان إذا دخل الخلاء قال: **اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث** وإذا خرج قال: **غفرانك.**

وكان إذا إفتتح الصلاة قال: **سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك.**

وكان لايدع صيام أيام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر في سفر ولا حضر، وكان يكثر من صيام يومي الاثنين والخميس، وكان إذا أفطر قال: **ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله.**

وكان يجتهد في العبادة في العشر الأواخر من رمضان ما لايجتهد في غيرها، وكان إذا أفطر عند قوم قال: **أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وتنزلت عليكم الملائكة.** وكان يقول قبل موته بخمسة أيام: **وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك**، وكانت وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يغرغر بنفسه: **الصلاة وما ملكت أيمانكم**، أي يقصد الوصية بالصلاة والنساء.

فهلا عملنا بهذا الهدي النبوي المبارك وعلمناه أولادنا حتى ينبتهم الله جل وعلا نباتا حسنا ويجمعنا بهم في مستقر رحمته، قال تعالى :**{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ}** [الطور : ٢١].

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس الثامن والثلاثون:

الاستئذان الشرعي

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، نحن على موعد مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما سأل أبَا موسى الأشعرى رضى الله عنها أن يأتي بالبينة، لرجوعه عندما استأذن على عمررضى الله عنه ثلاث مرات ولم يأذن له، أخرج البخاري في صحيحه عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ أَنَّ أَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ رضى الله عنهااسْتَأْذَنَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضى الله عنه فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ وَكَأَنَّهُ كَانَ مَشْغُولاً فَرَجَعَ أَبُو مُوسَى، فَفَرَغَ عُمَرُ فَقَالَ: أَلَمْ أَسْمَعْ صَوْتَ عَبْدِ الله بْنِ قَيْسٍ؟ ائْذَنُوا لَهُ. قِيلَ: قَدْ رَجَعَ فَدَعَاهُ، فَقَالَ: كُنَّا نُؤْمَرُ بِذَلِكَ فَقَالَ: تَأْتِينِي عَلَى ذَلِكَ بِالْبَيِّنَةِ، فَانْطَلَقَ إِلَى مَجْلِسِ الأَنْصَارِ فَسَأَلَهُمْ فَقَالُوا: لاَ يَشْهَدُ لَكَ عَلَى هَذَا إِلاَّ أَصْغَرُنَا أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ [١].

وأخرج البخاري أيضا عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضى الله عنه قَالَ: كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الأَنْصَارِ إِذْ جَاءَ أَبُو مُوسَى كَأَنَّهُ مَذْعُورٌ فَقَالَ: اسْتَأْذَنْتُ عَلَى عُمَرَ ثَلاَثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ؟ قُلْتُ اسْتَأْذَنْتُ ثَلاَثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ وَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم {**إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلاَثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَلْيَرْجِعْ**} فَقَالَ: وَاللَّهِ لَتُقِيمَنَّ عَلَيْهِ بِبَيِّنَةٍ أَمِنْكُمْ أَحَدٌ سَمِعَهُ مِنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: وَاللَّهِ لاَ يَقُومُ مَعَكَ إِلاَّ أَصْغَرُ الْقَوْمِ فَكُنْتُ أَصْغَرَ الْقَوْمِ فَقُمْتُ مَعَهُ فَأَخْبَرْتُ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ ذَلِكَ، فَقَالَ عُمَرُ رضى الله عنه : أَخَفِيَ هَذَا عَلَيَّ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم أَلْهَانِي الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ يَعْنِي الْخُرُوجَ إِلَى التِجَارة [٢].

معاشر الإخوة، لقد شرع الله عز وجل الاستئذان لعدة أغراض منها:

---

(١) (**صحيح**) أخرجه (خ) ١٩٥٦.

(٢) (**صحيح**) أخرجه (خ) ٥٨٩١.

١ – لتجنب أن يقع البصر على العورات داخل البيوت.

٢ - حتى لا يطَّلع على الأسرار التي لا يحب أصحاب البيت أن يعرفها أحد.

٣ - لتجنب سوء الظن في الداخل فالدخول خفية يدل على الشر.

ولقد اتفق جمهور الفقهاء على أنه لابد قبل الدخول من الاستئذان والسلام معا غير أنهما ليسا بمرتبة واحدة فالاستئذان واجب، والسلام مستحب.

وأخرج البخاري في صحيحه عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضى الله عنه قَالَ: اطَّلَعَ رَجُلٌ مِنْ جُحْرٍ فِي حُجَرِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَمَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِدْرًى يَحُكُّ بِهِ رَأْسَهُ فَقَالَ:**{لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُ لَطَعَنْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ إِنَّمَا جُعِلَ الِاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ}** (١).

فعندما رأى النبي عليه الصلاة والسلام رجلاً ينظر من نافذة حجرته وكان بيده آلة حادة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معناه: لو رأيتك وأنت تنظر لطعنت بها في عينك ولا دية لك، إنما جعل الاستئذان من أجل البصر، فإذا دخل البصر فلا إذن، لم جعل الاستئذان؟ حتى لا يقع بصرك على عورات الناس، فإذا دخل البصر فما قيمة الإذن، ما قيمة أن تنظر وتتسمع كلام الناس ثم تدق الباب؟! إنما جعل الاستئذان من أجل ألا يسبق بصرك إلى عورات الناس، ولذلك قال ما معناه: لو رأيتك لطعنت بها في عينك ولا دية لك - أي لو رأيت رجلاً ينظر في بيتك بغير إذنك فطعنته في عينه فذهبت فلا دية له - إنما جعل الاستئذان من أجل البصر، هذا هو الأصل.

لكن هب أنك سمعت صراخاً في بيت الجار واستغاثة، أو رأيت حريقاً أو أي شيء ضار، فالاستئذان لا يسع في هذا، ولكن ادخل، وهذا خروج عن الأصل للضرورة (٥٥).

معاشر الإخوة، إن الإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف لا تهاج فيه الشهوات في كل لحظة ولا تستثار فيه هذه الأمور المحرمة، وجعل الله

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٥٨٨٧.

الاستئذان إجراءً احتياطياً وأمراً احترازياً من أجل عدم النظر إلى العورات، ولذلك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا جاء باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر وذلك لأن الدور لم يكن عليها ستور وحتى لو كان لها أبواب فإن الباب إذا فتح فجأة قد يقع النظر على شيء من عورات أهل البيت، ولذلك يكون من طرف الباب الذي إذا فتح لم يقع النظر على شيء ولا يواجه الباب مباشرة، فهو إجراء احترازي من أجل عدم وقوع البصر على الحرام.

كما أن الاستئذان يكون حتى داخل البيوت، وقد علمنا الله في كتابه أن نؤدب أولادنا بألا نجعلهم يداهمون غرفة نوم الأبوين مداهمة وإنما لابد من الاستئذان في الأوقات التي يغلب فيها كشف العورة**{ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ}** [النور:٥٨]، وحتى المحارم في البيوت، الأم في حجرتها والأخت في غرفتها لابد من الاستئذان عليهن قبل الدخول، فقد أخرج البخاري في الأدب المفرد عن نافع: كان ابن عمر إذا بلغ بعض ولده الحلم لم يدخله عليه إلا بإذن (٦٤).

فدخول البيوت دون استئذان من أهلها - مما ينافي الأدب ومكارم الأخلاق، ومما يوجب الريبة من الداخل، ويدعو لإساءة الظن به، واتهامه باستراق الحديث وتتبع العورات.ولذلك أدبنا الله تبارك وتعالى بأن نستأذن إذا أردنا دخول بيوت غير بيوتنا، قال تعالى:**{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(٢٧) فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ(٢٨) لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ(٢٩)}** [النور:٢٧ - ٢٩].

وقال تعالى:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاء ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(٥٨) وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا**

اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمْ آيَاتِهِ وَالله عَلِيمٌ حَكِيمٌ(٥٩)} [النور: ٥٨ - ٥٩].

المعنى: يا أيها الذين آمنوا مُروا عبيدكم وإماءكم، والأطفال الأحرار دون سن الاحتلام أن يستأذنوا عند الدخول عليكم في أوقات عوراتكم الثلاثة: من قبل صلاة الفجر؛ لأنه وقت الخروج من ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة، ووقت خلع الثياب للقيلولة في الظهيرة، ومن بعد صلاة العشاء؛ لأنه وقت للنوم، وهذه الأوقات الثلاثة عورات لكم، يقل فيها التستر، أما فيما سواها فلا حرج إذا دخلوا بغير إذن؛ لحاجتهم في الدخول عليكم، طوافون عليكم للخدمة، وكما بيَّن الله لكم أحكام الاستئذان يبيِّن لكم آياته وأحكامه وحججه وشرائع دينه. والله عليم بما يصلح خلقه، حكيم في تدبيره أمورهم.وإذا بلغ الأطفال منكم سن الاحتلام والتكليف بالأحكام الشرعية، فعليهم أن يستأذنوا إذا أرادوا الدخول في كل الأوقات كما يستأذن الكبار، وكما يبيِّن الله آداب الاستئذان يبيِّن الله تعالى لكم آياته. والله عليم بما يصلح عباده، حكيم في تشريعه.

إخوتي في الله، للاستئذان آداب نذكر منها:

١- أن يقول المستأذن اسمه إذا سئل عن اسمه ولا يقول: أنا.

٢- أن يسلم قبل الاستئذان فيقول: السلام عليكم أأدخل؟ قال تعالى: **{فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ** الله **مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون(٦١)}** [النور: ٦١].

٣- ألا يستقبل باب من يستأذنه ولكن يتنحى يمينا أو يسارا حتى لا تقع عيناه على أحد العورات، فَعَنْ جَابِرٍ رضى الله عنه يَقُولُ، أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فِي دَيْنٍ كَانَ عَلَى أَبِي فَدَقَقْتُ الْبَابَ فَقَالَ: **مَنْ ذَا؟** فَقُلْتُ: أَنَا فَقَالَ:{**أَنَا أَنَا كَأَنَّهُ كَرِهَهَا** [(١)]. فهلا فقهنا آداب الاستئذان الشرعي وعملنا بها وعلمناه أولادنا حتى ينبتهم الله جل وعلا نباتا حسنا.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٥٨٩٦، و(م) ٢١٥٥.

الدرس التاسع والثلاثون:
وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة الإمام مالك بن أنس مع أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور قال القاضي عياض في كتاب (ترتيب المدارك وتقريب المسالك): ناظر أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور الإمام مالك في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فرفع أبو جعفر صوته، فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في المسجد، إن الله تعالى أدب قوما فقال{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢)**} [الحجرات: ٢]، ومدح قوما فقال:{**إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ** الله **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ الله قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣)**} [الحجرات: ٣]، وذم قوما فقال:{**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ(٤)**} [الحجرات: ٤] وإن حرمته ميتا كحرمته حيا، فاستكان أبو جعفر المنصور.

وقال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ** الله **وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله سَمِيعٌ عَلِيمٌ(١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ(٢)**} [الحجرات: ١ - ٢].

وقد نهى الله تعالى في هذه الآيات عن ثلاثة أمور: عن التقدم بين يديه صلى الله عليه وسلم بما لا يأذن به من الكلام والآراء والأحكام، وعن رفع الصوت بحضرته، وعن الجفاء في مخاطبته ومحاورته.

كما أمر بتعظيمه صلى الله عليه وسلم وتوقيره وخفض الصوت بحضرته وعند مخاطبته، والتزام توجيهاته وأوامره، وبما أن حرمة النبي صلى الله عليه وسلم حيا كحرمته ميتا، وكلامه المسموع منه مباشرة ككلامه المروي

عنه بعد موته في الرفعة والإلزام، فقد وجب على كل من يسمع حديثه وسنته وهديه ألا يرفع صوته عليه أو يُعرِضَ عنه؛ لأن رفع الصوت والجهر به في حضرته صلى الله عليه وسلم أو عند تلاوة سنته دليل على قلة الاحتشام وترك الاحترام، ثم عقب سبحانه على هذا التوجيه بقوله:{**إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ** الله **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ الله قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣)**} [الحجرات: ٣].

ويستنبط الفقهاء بالقياس من هذا التوجيه القرآني وجوب احترام الوالدين والعلماء وذوي السابقة في الدعوة والجهاد وكبار السن، والرفق بهم وعدم رفع الصوت بين أيديهم، والاستحياء بحضرتهم، مما تؤكده نصوص كثيرة لا يتسع المجال لها حاليا (٦٩).

إخوتي في الله، عندما ناظر ابن القيم رحمه الله تعالى أحد هؤلاء ممن يأتيه الحديث الصحيح فيرده لأن فلاناً قال كذا، فقال له: أرأيت لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيٌّ الآن يخاطبنا بأمرٍ وقال: افعلوا كذا ولا تفعلوا كذا، أكنت تأتمر بأمره صلى الله عليه وسلم أو تقول: أَعْرِضُ هذا الأمر على قول فلان، أو هذا الأمر يخالف ما قاله فلان من الناس؟ قال: بل أمتثل وأبادر تواً وفوراً، قال: فما الفرق؟ فإذا كان صلى الله عليه وسلم قد لحق بالرفيق الأعلى فسنته وأمره بعد وفاته كأمره في حياته صلى الله عليه وسلم، فلا بد من التأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتأدب مع سنته كما كان التأدب مع شخصه صلى الله عليه وسلم في حياته، بألا يقدم أحد بين يدي الله ورسوله، ولا يرفع صوته فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكذلك يجب أن يتأدب معه بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بألا يرفع رأياً فوق سنته صلى الله عليه وسلم أ.هـ.

ولقد أخبرنا الله جل وعلا بما كان من اليهود من سوء أدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذرنا من أن نحذو حذوهم فقال:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ(١٠٤)**} [البقرة: ١٠٤].

فلقد كان اليهود يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم راعنا، أي: راعنا سمعك، فافهم عنا وأفهمنا؛ يلوون ألسنتهم بها، ويقصدون سبَّه ونسبته إلى

الرعونة، فنهى الله عز وجل المؤمنين بألا يحذوا حذو اليهود، وحذر الله تعالى المؤمنين من إيذاء رسول الله، كما آذى بنو إسرائيل موسي عليه السلام فقال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهاً(٦٩)**} [الأحزاب: ٦٩]، وفي هذه الآية تحذير للمؤمنين أن يبتدعوا في الدين، أو يشرعوا ما لم يأذن به الله.

ومن علامات محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوم الأدب معه قال تعالى:{**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً (٨) لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٩)**} [الفتح: ٨ - ٩]، فالتسبيح لله عز وجل والتعزير والتوقير لرسول الله فلا يكون لي رأيٌ إذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا نتكلم عنه إلا بتعظيم رسول الله بما يلائم، ومن أفضل الثناء عليه كثرة الصلاة عليه، وإذا سمعنا من يحدث بأحاديثه رسول الله فلنعطها حسن الإصغاء والاستماع، ومن علامات توقير رسول الله توقير أزواجه أمهات المؤمنين وصحابته الكرام وأهل بيته رضوان الله عليهم جميعا وكذا حسن الأدب مع العلماء فالعلماء هم ورثة الأنبياء، فعن أَبِي الدَّرْدَاءِ رضى الله عنه عَنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ:{**إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ لَمْ يَرِثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرِثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**[١]}.

أخي الحبيب، من الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم التسليم له والانقياد لأمره، وتصديق خبره، وتلقّيه بالقبول، وعدم معارضته، ولا يُقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً، ولا يُدَّعي نسخ سُنته، وكذلك لا تُرفع الأصوات فوق صوته صلى الله عليه وسلم لأن ذلك سبب لحبوط العمل، وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم لا ترفع الأصوات فوق حديثه إذا قُرئ ولا عند قبره.

ويجب الحذر من الاستهزاء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بالاستهزاء بمن عمل بالسنة كمن أرخى لحيته وقص شاربه ومن قصر ثوبه إلى أعلى الكعبين ومن لازم العلماء العاملين لأن ذلك يفضي للكفر،

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (حم ٤ حب) وصححه الألباني في ص.ج ٦٢٩٧.

قال تعالى:{**وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّه وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ(٦٥) لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**} [التوبة: ٦٥ - ٦٦].

أو من الاستهزاء بالأخوات اللاتي يرتدين الحجاب الشرعي واللاتي يحافظن على حِلَق الذكر والعلم في المساجد، فإن هذا من الجهل بالدين فاحتجاب المرأة المسلمة عن الرجال الأجانب أمر واجب، دل على وجوبه كتاب الله عز وجل وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، أخرج البخاري في المعلقات عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رضى الله عنها قَالَتْ: يَرْحَمُ اللهُ نِسَاءَ الْمُهَاجِرَاتِ الأُولَ لَمَّا أَنْزَلَ الله: {**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ**} [النور: ٣١]، شَقَّقْنَ مُرُوطَهُنَّ - أي جمع مرط أي الملاءة - فَاخْتَمَرْنَ بِهَا، والخُمُر جمع خمار وهو غطاء الرأس. والجيوب جمع جيب وهو شق الثوب من ناحية الرأس والمراد ما يظهر منه الصدر، والمقصود يسترن الرؤوس والأعناق والصدور عن الرجال.

أخي في الله، كل شيء تمزح فيه إلا الدين؛ لأن الدين له حصانة، والذين يمثلون الدين هم العلماء، والدعاة، والملتزمون؛ ولهم حصانة، وإذا استهزأت بهم استهزأت بالله؛ لأن هذا الرجل ما استهزأ بالله، بل استهزأ بالرسول وأصحابه، ولكن الله سبحانه جعل هنا الاستهزاء به وقال:{**قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**} [التوبة:٦٥] رغم أن الرجل ما قال شيئاً في الله، بل قال في الرسول وأصحابه فقط، فجعلها الله سبحانه استهزاءً به.

فلما تهزأ باللحية، فأنت لا تهزأ بالشخص الذي أطلقها، بل تستهزئ بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي أمر بها؛ لأن هذه سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وعندما تهزأ من رجل قصر ثوبه واتبع السنة، فأنت لا تستهزئ بالرجل، ولكن تستهزئ بالذي أمره بهذه السنة، ولذلك انتبه يا أخي! عليك أن تقف عند حدك فيما يتعلق بشيء من ذلك، فلا تستهزئ بالأئمة، ولا بالمؤذنين، ولا بالدعاة، ولا بالقضاة، ولا بالعلماء، ولا بأي شيء فيه دين الله، حتى إن بعض الناس عندهم نكت، يأتون بها على بعض الآيات، أو الأحاديث، أو الأئمة، لا للنكت ابحث لها عن مكان آخر؛ لأن دين الله حق، ولا يقبل

الاستهزاء ولا السخرية (٦٦).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس الأربعون:

التوبـة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بـالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي لـه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة توبة مالك بن دينار حيث قال عندما سئل عن سبب توبته: كنت شرطيا وكنت منهمكا على شرب الخمر، ثم إنني اشتريت جارية نفيسة ووقعت مني أحسن موقع فولدت لي بنتا فشغفت بها فلما دبت على الأرض ازدادت في قلبي حبا وألفتني وألفتها قال: فكنت إذا وضعت المسكر بين يدي جاءت إلي وجاذبتني عليه وهرقته من ثوبي، فلما تم لها سنتان ماتت فأكمدني حزنها، فلما كانت ليلة النصف من شعبان وكانت ليلة الجمعة بت ثملا من الخمر، ولم أصل فيها عشاء الآخرة، فرأيت فيما يرى النائم كأن القيامة قد قامت ونفخ في الصور، وبعثرت القبور وحشر الخلائق وأنا معهم، فسمعت حسا من ورائي فالتفت فإذا أنا بتنين أعظم ما يكون أسود أزرق قد فتح فاه مسرعا نحوي، فمررت بين يديه هاربا فزعا مرعوبا فمررت في طريقي بشيخ نقي الثوب طيب الرائحة، فسلمت عليه فرد السلام فقلت: أيها الشيخ أجرني من هذا التنين أجارك الله، فبكى الشيخ وقال لي: أنا ضعيف وهذا أقوى مني وما أقدر عليه ولكن مر وأسرع، فلعل الله أن يتيح لك ما ينجيك منه، فوليت هاربا على وجهي فصعدت على شرف من شرف القيامة، فأشرفت على طبقات النيران فنظرت إلى هولها وكدت أهوي فيها من فزع التنين، فصاح بي صائح ارجع فلست من أهلها فاطمأننت إلى قوله: ورجعت ورجع التنين في طلبي، فأتيت الشيخ فقلت: يا شيخ سألتك أن تجيرني من هذا التنين فلم تفعل، فبكى الشيخ وقال: أنا ضعيف، ولكن سر إلى هذا الجبل، فإن فيه ودائع المسلمين فإن كان لك فيه وديعة فستنصرك قال: فنظرت إلى جبل مستدير من فضة وفيه كوى مخرمة وستور معلقة على كل خوخة وكوة مصراعان من الذهب الأحمر مفصلة باليواقيت مكوكبة بالدر على كل مصراع ستر من

الحرير، فلما نظرت إلى الجبل وليت إليه هاربا والتنين من ورائي حتى إذا قربت منه صاح بعض الملائكة ارفعوا الستور وافتحوا المصاريع - أي الأبواب - وأشرفوا فلعل لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوه فإذا الستور قد رفعت والمصاريع قد فتحت فأشرف عليَّ من تلك المخرمات أطفال بوجوه كالأقمار، وقرب التنين مني فتحيرت في أمري، فصاح بعض الأطفال ويحكم أشرفوا كلكم فقد قرب منه عدوه، فأشرفوا فوجا بعد فوج وإذا أنا بابنتي التي ماتت قد أشرفت علي معهم، فلما رأتني بكت وقالت: أبي والله، ثم وثبت في كفة من نور كَرمية السهم، حتى مثلت بين يدي فمدت يدها الشمال إلى يدي اليمنى، فتعلقت بها ومدت يدها اليمنى إلى التنين فولى هاربا ثم أجلستني وقعدت في حجري وضربت بيدها اليمنى إلى لحيتي، وقالت يا أبت: **{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ** الله**}** [الحديد:١٦]، فبكيت، وقلت: يا بنية وأنتم تعرفون القرآن فقالت: يا أبت نحن أعرف به منكم قلت: فأخبريني عن التنين الذي أراد أن يهلكني قالت: ذلك عملك السوء قويته فأراد أن يغرقك في نار جهنم، قلت: فأخبريني عن الشيخ الذي مررت به في طريقي قالت: يا أبت ذلك عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء، قلت: يا بنية، وما تصنعون في هذا الجبل قالت: نحن أطفال المسلمين قد أسكنا فيه إلى أن تقوم الساعة ننتظركم تقدمون علينا فنشفع لكم، قال مالك: فانتبهت فزعا وأصبحت فأرقت المسكر وكسرت الآنية، وتبت إلى الله عز وجل وهذا كان سبب توبتي (٤٩).

و لقد أنزل الله تعالى قرآناً يتلى إلى يوم القيامة للحث على التوبة منها قول الله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى** الله **تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}** [التحريم:٨].

وقول الله تعالى: **{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ** الله **إِنَّ** الله **يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}** [الزمر:٥٣].

إخوتي في الله، قد يعرف البعض حرمة ما يقع فيه، ولكنه يؤجل التوبة أو يسوف فيها، فمنهم من يؤخرها إلى ما بعد الزواج، أو التخرج، ومنهم من يؤجلها ريثما تتقدم به السن، إلى غير ذلك من دواعي التأجيل، وهذا خطأ عظيم، فالتوبة واجبة على الفور، فأوامر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم

على الفور ما لم يقم دليل على جواز تأخيرها بل تأخيرها ذنب يجب أن يستغفر منه.

وبعض الشباب يرغب في التوبة، ولكنه لا يبادر إليها، مخافة أن يعاود الذنب مرة أخرى، وهذا خطأ، فعلى العبد أن يتوب إلى الله، فلربما أدركه الأجل وهو لم ينقض توبته. كما عليه أن يحسن ظنه بربه جل وعلا وأن يستحضر أنه إذا أقبل على الله أقبل الله عليه، وأنه تعالى عند ظن عبده به، فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم :{**قال الله** عز وجل : **أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي**} [١]، ثم إنَّ على التائب إذا عاد إلى الذنب أن يجدد التوبة مرة أخرى وهكذا، والذي يعين على عدم العودة للذنب تغير الصحبة والبيئة.

وبعض الناس يغفل عن التوبة مما لا يعلمه من ذنوبه، وهذه من الأخطاء التي تقع في باب التوبة، والتي قل من يتفطن لها، فهناك ذنوب خفية، وهناك ذنوب يجهل العبد أنها ذنوب، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: ولا ينجي من هذا إلا توبة عامة مما يعلم من ذنوبه ومما لا يعلم من ذنوبه، فإن ما لا يعلمه العبد من ذنوبه أكثر مما يعلمه، ولا ينفعه في عدم المؤاخذة بها جهله إذا كان متمكناً من العلم، فإنه عاصٍ بترك العلم والعمل، فالمعصية في حقه أشد.

وبعض الناس تحدثه نفسه بالتوبة، ولزوم الاستقامة، ولكنه يخشى لمز وعيب بعض الناس له، وهذا خطأ فادح، إذ كيف يُقَدم خوف الناس على خوف رب الناس؟، أضف إلى ذلك أن الإنسان سيذهب إلى قبره وحيداً، وسيحشر إلى ربه فرداً، فماذا سينفعه فلان أو فلان ممن يثبطونه؟.

معاشر الإخوة، قد يترك بعض الناس التوبة؛ مخافة سقوط المنزلة وذهاب الجاه والشهرة، ولا ريب أن ذلك نقص في ديانة الإنسان، وشجاعته، ومروءته، وعقله، ثم إن الشهرة والجاه عرض زائل، وينتهي بنهاية الإنسان؛ ولن ينفعه إذا هو قدم على ربه إلا ما قدم من صالح عمله، ثم إنه إذا ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، والعوض من الله أنواع مختلفة،

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (م) ٢٦٧٥.

وأجل ما يُعَوَّض به أن يأنس بالله، وأن يرزق محبته عز وجل وطمأنينة القلب بذكره، ومما يعوضه الله أن يرزقه أصحاباً أبراراً يجد عندهم من المتعة والفائدة ما لا يجده عند أصحابه السابقين، وبعض الناس من يتمادى في الذنوب ويسرف في المعاصي، فإذا زُجِرَ وَلِيمَ على ذلك قال: إن الله غفور رحيم، كما قال أحدهم، ولا ريب أن هذا الصنيع سفه، وجهل، وغرور، فرحمة الله قريب من المحسنين لا من المسيئين، ثم إن الله عز وجل مع عفوه شديد العقاب ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين.

قال تعالى:**{نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ (٥٠)}** [الحجر٤٩ - ٥٠]، وحسن الظن ينفع من تاب، وندم وأقلع، وبدل السيئة بالحسنة، واستقبل بقية عمره بالخير والطاعة، ثم حَسَّن الظن بعدها؛ فهذا هو حسن الظن، والأول غرور، والله المستعان.

فما هذا الذي هم فيه من النعيم إلا استدراج، وإهمال، وإملاء من الله عز وجل حتى إذا أخذهم أخذ عزيز مقتدر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**{إِنَّ الله لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ}** قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ:**{{وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ}** [هود:١٠٢] (١)، **إِذَا رَأَيْتَ الله يُعْطِي الْعَبْدَ مِنْ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ** ثُمَّ تَلاَ:**{فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ}** [الأنعام:٤٤] } (٢) (٦٠).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٤٤٩٠، و(م) ٢٥٨٣.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (حم) وصححه الألباني في س.ص ٤١٣.

الدرس الحادي والأربعون:
خُلُقُ شكر نعم الله تعالى

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، فَعَنْ عَبْدِ الله ابْنِ عُمَرَ رضى الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لَقِيَ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ بِأَسْفَلِ بَلْدَحٍ - أي واد في طريق التنعيم إلى مكة - قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الْوَحْيُ فَقُدِّمَتْ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم سُفْرَةٌ - أي طعام يتخذه المسافر وأكثر ما يحمل في جلد مستدير ولذلك أصبح يطلق لفظ سفرة على ما يوضع فيه الطعام أو عليه - فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا ثُمَّ قَالَ زَيْدٌ: إِنِّي لَسْتُ آكُلُ مِمَّا تَذْبَحُونَ عَلَى أَنْصَابِكُمْ - أي جمع نصب وهو كل ما نصب وعظم من دون الله عز وجل وقيل هي حجارة كانت حول الكعبة يذبحون عليها للأصنام - وَلاَ آكُلُ إِلاَّ مَا ذُكِرَ اسْمُ الله عَلَيْهِ، وَأَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو كَانَ يَعِيبُ عَلَى قُرَيْشٍ ذَبَائِحَهُمْ وَيَقُولُ: الشَّاةُ خَلَقَهَا الله، وَأَنْزَلَ لَهَا مِنْ السَّمَاءِ الْمَاءَ وَأَنْبَتَ لَهَا مِنْ الأَرْضِ ثُمَّ تَذْبَحُونَهَا عَلَى غَيْرِ اسْمِ الله إِنْكَارًا لِذَلِكَ - أي منكرا عليهم فعل ذلك - وَإِعْظَامًا لَهُ - أي لله تعالى خالقها - [١].

وهذا مصداقا لقول الله:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ(١٧٢)}** [البقرة:١٧٢].

ونذكر هنا نموذجا براقاً عن الشكر، فعن هشام بن عروة قال: خرج أبي إلى الوليد بن عبد الملك فوقعت في رجله الأكلة فقال له الوليد: يا أبا عبد الله أرى لك قطعها. قال: فقطعت وإنه لصائم فما تضور وجهه.

قال: ودخل أكبر ولده اصطبله فرفسته دابة فقتلته فما سُمع من أبي في ذلك شيء، حتى قدم المدينة فقال: اللهم إنه كان لي بنون أربعة فأخذت واحداً وأبقيت لي ثلاثة فلك الحمد، وكان لي أطراف أربعة فأخذت واحداً وأبقيت

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٣٦١٤.

لـي ثلاثـة فلـك الحمـد، وايـم الله لـئن أخـذت فلقد أبقيـت ولـئن ابتليت طالمـا عافيـت (٣٧).

ويجب أن نتعرف علـى نعم الله علينـا، وألا ننكر هذه النعم، ولنتذكر حـال المشـركين الـذين قـال الله فـيهم:{**يَعْرِفُـونَ نِعْمَـةَ** الله **ثُـمَّ يُنكِرُونَـهَـا وَأَكْثَـرُهُمُ الْكَافِرُونَ**} [النحل:٨٣].

ويحكى أن أعرابيا دخل على الرشيد فقال، يا أمير المؤمنين ثبت الله عليك النعم التـى أنـت فيهـا بإدامـة شكرهـا، وحقق لـك النعم التـى ترجوهـا بحسن الظن به ودوام طاعته، وعرفك النعم التى أنت فيها ولا تعرفها إلا لتشكرها.

وعن مالك بن أنس - إمام دار الهجرة - قال: قال جعفر بن محمد لسفيان الثوري: يا سفيان إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاءها ودوامها فأكثر من الحمد والشكر عليها فإن الله عز وجل قال في كتابه:{**وَإِذْ تَـأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَـئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ** (٧)} [إبراهيم:٧]، وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار فإن الله تعالى قال في كتابه:{**اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّـهُ كَـانَ غَفَّـاراً** (١٠) **يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَـيْكُم مِّـدْرَاراً** (١١) **وَيُمْـدِدْكُمْ بِـأَمْوَالٍ وَبَنِـينَ وَيَجْعَل لَّكُـمْ جَنَّـاتٍ** (١٢)} [نوح:١٢]، يـا سفيان إذا حزبك أمر من سلطان أو غيره فأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها مفتاح الفرج وكنز من كنوز الجنة.

وشُكْر النِّعَم يكون بتسخيرَها في طاعة الله؛ حتى ينال المسلم والمسلمة رضا الله، والشـكر هـو الثنـاء علـى المـنعم بمـا أولاك مـن معـروف وذلـك بالقلـب واللسـان والجـوارح، فشـكر القلـب باستشـعار النعمـة وأنهـا مـن عنـد الله قـال تعـالى:{**وَمَـا بِكُـم مِّـن نِّعْمَـةٍ فَمِـنَ الله ثُـمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّـرُّ فَإِلَيْـهِ تَجْـأَرُونَ** (٥٣)} [النحل:٥٣]، وشـكر اللسـان بحمـد الله عـز وجـل والتحـدث بنعمـه كمـا قـال تعـالى:{**وَأَمَّـا بِنِعْمَـةِ رَبِّـكَ فَحَـدِّثْ** (١١)} [الضحى:١١]، وشـكرالجوارح باسـتعمال النعمـة فـي طاعـة الله عـز وجـل كمـا قـال الله تعالى:{**اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**(١٣)} [سبأ:١٣].

وهذا سليمان عليه الصلاة والسلام لما رأى نعم الله عليـه من الملك، وفهم لغـة الطير، وحوار النملـة مع أمـة النمل سـأل ربـه سبحانه أن يلهمـه شكر نعمتـه عليـه؛ قـال الله عـز وجـل :{**فَتَبَسَّـمَ ضَـاحِكاً مِـنْ قَوْلِهَـا وَقَـالَ رَبِّ**

أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} [النمل:١٩].

وقال الله عز وجل عن دعاء الولد المؤمن البار بوالديه:**{حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}** [الأحقاف: ١٥].

وأرشد رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل رضى الله عنه أن يدعو في دبر كل صلاة بهذا الدعاء:**{اللهمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ}**(١).

معاشر الإخوة، النعم التى وهبها الله لعباده لا تقدر بمال، والله سبحانه وتعالى سوف يسألنا جميعا عن هذه النعم يوم القيامة، ولكن من كرم الله تعالى أن التحدث بالنعمة شكر وشكر النعمة من جنس النعمة كأن يحفظ الرجل بصره عن الحرام ويستعمله في التفكر في خلق السماوات والأرض، وكذا شكر من أسدل إليك معروفا، فَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَى الْمِنْبَرِ:**{مَنْ لَمْ يَشْكُرْ الْقَلِيلَ لَمْ يَشْكُرْ الْكَثِيرَ وَمَنْ لَمْ يَشْكُرْ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرْ اللهَ التَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ** الله **شُكْرٌ وَتَرْكُهَا كُفْرٌ وَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ}**(٢).

وشكر النعم بمقابلة الإحسان بالإحسان، والمعروف بالمعروف، فمن لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق، وشكر النعمة يكون بالثناء على المنعم ويكون بالقلب بالامتنان لصاحب النعمة والتحدث باللسان عن النعمة واستعمال الجوارح في طاعة الله عز وجل ، قال تعالى:**{وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)}** [الضحى:١١].

وَعَنْ أَنَسٍ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{مَا أَنْعَمَ الله عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَقَالَ: الْحَمْدُ لِله إِلَّا كَانَ الَّذِي أَعْطَاهُ أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذَ}** (٣).

(١) **(صحيح)** أخرجه (د ن ابن خزيمة حب ك) وصححه الألباني في صت ١٥٩٦.

(٢) **(حسن صحيح)** أخرجه (حم) وقال الألباني صت ٩٧٦ حسن صحيح.

(٣) **(صحيح)** أخرجه (ه) وصححه الألباني في ص.ج ٥٥٦٣.

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :{**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ**} [(١)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وسلم :{**إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مُبْتَلَي فَقَالَ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلاَكَ بِهِ وَفَضَّلَنِي عَلَيْكَ وَعَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ تَفْضِيلا، كَانَ شُكَرَ تِلْكَ النِّعْمَةِ**} [(٢)].

الاخوة الفضلاء، للشكر ثلاث فوائد وهي:

١ ـ **رضا الواحد الأحد**، فإذا رضي الله عنك أسعدك في الدارين.

٢ ـ **كفاية السؤال في الآخرة (سؤال التوبيخ)**، أما سؤال التقرير فلا بد منه.

قال تعالى:{**ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**} [التكاثر:٨] قال بعض العلماء: والله لتسألن عن الماء البارد، فكيف بمن أخذ الدور والأموال، وكفر بنعم الله؟.

٣ ـ **يُدْعَى لك بخير**، فإن الشاكرين يُدْعَى لهم ممن يحسنون إليهم في ظهر الغيب، ومما يكتسب العبد دعاء الإخوة والخلان (٥٧).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) **(حسن)** أخرجه (ت ك) وحسنه الألباني في ص.ج ١٨٨٧.

(٢) **(حسن)** أخرجه (هب) وحسنه الألباني في ص.ج ٥٥٥.

الدرس الثاني والأربعون:

بر الوالدين وصلة الأرحام

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع أويس بن عامر، وهو من المخضرمين، آمن برسول الله في عصره ولم يلقَ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أخرج مسلم في صحيحه عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ رضى الله عنه قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضى الله عنه إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ، فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: مِنْ مُرَادٍ؟ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:{**يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ، مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ، إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى** الله **لأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ**}، فَاسْتَغْفِرْ لِي، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةَ، قَالَ: أَلاَ أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ، قَالَ: فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ فَوَافَقَ عُمَرَ فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ، قَالَ: تَرَكْتُهُ رَثَّ الْبَيْتِ قَلِيلَ الْمَتَاعِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:{**يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى** الله **لأَبَرَّهُ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ**}، فَأَتَى أُوَيْسًا، فَقَال: اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ فَاسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي قَالَ:أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ فَاسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: لَقِيتَ عُمَرَ، قَالَ: نَعَمْ، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ، قَالَ أُسَيْرٌ: وَكَسَوْتُهُ بُرْدَةً

فَكَانَ كُلَّمَا رَآهُ إِنْسَانٌ قَالَ مِنْ أَيْنَ لأُوَيْسٍ هَذِهِ الْبُرْدَةُ؟ (١).

لقد أمرنا الله تعالى ببر الوالدين في قوله:**{وَاعْبُدُواْ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى (٣٦)}** [النساء:٣٦]، لأن أولى الناس ببرِّك وعطفك هم أقاربك، وأقرب الناس للإنسان والداه، فهما السبب في وجوده؛ ولذلك أمر الله بالإحسان إليهما في مواضع متعددة، وقرن حقهما بحقه سبحانه في مواطن من القرآن، ثم بعد ذلك الأقارب علي حسب قربهم، فكل من قرب عظم حقه، فَعَنْ طَارِقٍ الْمُحَارِبِيِّ قَالَ: قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَإِذَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ يَخْطُبُ النَّاسَ وَهُوَ يَقُولُ:**{يَدُ الْمُعْطِي الْعُلْيَا، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، أُمَّكَ وَأَبَاكَ وَأُخْتَكَ وَأَخَاكَ ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ}**(٢).

أخي الحبيب، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرق الناس، وأعفهم، وأوصلهم، وأحلمهم؛ ولذلك ذكر الله خُلُقَه، وذكر مناقبه في القرآن، فقال:**{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}** [القلم:٤] وقال له:**{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ** الله **لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}** [آل عمران:١٥٩].

فلقد بلغ في صلة الرحم مبلغاً عظيماً، ضرب به المثل على مرِّ التاريخ، فما سمعت الدنيا بأوصل منه صلى الله عليه وسلم لقرابته - أبناء عمه وأقاربه - ، فأخرجوه من مكة، وطاردوه وشتموه وسبوه وآذوه، حاربوه في المعارك، ونازلوه في الميدان، وقاموا بحرب عسكرية وإعلامية واقتصادية ضده، فلما انتصر ماذا فعل؟ فلما انتصر عفا عنهم وسامحهم.

فَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضى الله عنه، أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ:**{الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ، ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ** الله**}** (٣).

وقال تعالى:**{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ}** [محمد:٢٢]، وقال تعالى:**{أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ** الله **فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ}** [محمد:٢٣] (٦٣).

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (م) ٢٥٤٢.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (ن) وصححه الألباني في ص.ج ٨٠٦٧.

(٣) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٧٠٩٦.

إن العقوقَ مأساة وجدت في المجتمعات، وانتشرت في البيوت، وأصبحت أكبر المشكلات على الآباء، رأينا ورأى غيرنا الآباء الذين طعنوا في السن وأصابتهم الشيخوخة، وهم يتباكون ويتضرعون ويتوجعون لهذه الذرية الظالمة العاتية، ويكفي أن نعلم أن عقوق الوالدين وقطع الرحم من الذنوب التى يعجل الله لصاحبها العقوبة في الدنيا قبل الآخرة.

أخرج أحمد في مسنده وأبو داود في سننه وغيرهما عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضى الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ الله تَعَالَى لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِثْلُ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ}**(١) .

فهل من عودة يا شباب الإسلام إلى الله؟ وهل من عطف وحنان؟ وهل من خفض جناح؟ وهل من بر ومودة مع الآباء والأمهات؟

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ:**{أُمُّكَ}** قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ:**{ثُمَّ أُمُّكَ}** قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ:**{ثُمَّ أُمُّكَ}** قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ:**{ثُمَّ أَبُوكَ}** (٢)، فالأم لها ثلاثة أرباع الحق، فهي التي تعبت وحملت، وأرضعت وغسلت، وألحفت وأدفأت، فجزى الله آباءنا وأمهاتنا خير الجزاء، وسقاهم الله من الحوض المورود شربة لا يظمؤون بعدها أبداً (٦٣).

وَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضى الله عنه قَالَ:قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم :**{لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ** - أي إن الذي يصل غيره مكافأة له على ما قدم من صلة مقابلة له بمثل - **وَلَكِنِ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا** - أي إذا قاطعه غيره قابله بالصلة -}(٣).

معاشر الإخوة، لبر الوالدين فوائد عديدة نذكر منها (١٩):

أولاً: هو من أسباب إجابة الدعاء، وأنتم تذكرون قصة أصحاب الغار، وكيف أن أحدهم كان له أبوان شيخان كبيران يسعى عليهما، وقدمهما على

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (حم خد د ت هـ حب ك) وصححه الألباني في ص.ج ٥٧٠٤.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٥٦٢٦، و(م) ٢٥٤٨.

(٣) **(صحيح)**أخرجه (خ) ٥٦٤٥.

أولاده، وهم يتضاغون عند قدميه طيلة الليل، حتى استيقظ والداه فشربا قبل أولاده، ففرج الله شيئاً من الصخرة بسبب هذا.

ثانياً: بر الوالدين يكفر الكبائر، والدليل على ذلك الحديث الذي أخرجه الترمذي بسند صحيح عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضى الله عنه، أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنِّي أَصَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا فَهَلْ لِي تَوْبَةٌ؟ قَالَ:{**هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟**} قَالَ: لاَ قَالَ:{**هَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ؟**} قَالَ: نَعَمْ قَالَ:{**فَبِرَّهَا**} (١).

ثالثاً: بر الوالدين سبب البركة وزيادة الرزق، أوليس هو من صلة الرحم؟! فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضى الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ:{**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ** - أي يوسع - **لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ** - أي يؤخر - **فِي أَثَرِهِ** - أي في بقية عمره -، **فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ** - أي فليبر بأقاربه - } (٢).

فالحديث يدل على أن صلة الرحم سبب في توسيع الرزق وزيادته وكثرة طرق الخير وأبوابه، وزيادة في العمر وطول الأجل، ومن أوكد وألزم صلة الرحم بر الوالدين، فبرهما سبب لبسط الرزق وزيادته، وطول العمر وامتداده، وعقوقهما سبب لقلة الرزق وضيق المعيشة، وقصر الأجل.

رابعاً: من بر أباه وأمه؛ بره أبناؤه، ومن عقهما؛ عقه أولاده، وهكذا.

خامساً: رضا الله في رضا الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين، فلقد أمر الله عز وجل بالإحسان للوالدين حال كبرهما فقال سبحانه:{**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً**} [الإسراء:٢٣].

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) **(صحيح)** أخرجه (ت) وصححه الألباني في صت ٢٥٠٤.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (خ)١٩٦١و(م) ٢٥٥٧.

الدرس الثالث و الأربعون:
حـق الأخوة في الله

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بـالله مـن شـرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومـن يضـلل فـلا هـادي لـه، وأشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن علـى موعد مع أروع مـا ذكـر فـي الإيثـار، وهـي قصـة إيثار سعد بن الربيع الأنصاري لعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه، فلقد أخرج البخاري عَنْ أَنَسٍ رضى الله عنه أَنَّهُ قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ - من المهاجرين -، وَآخَى رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ - من الأنصار -، وَكَانَ كَثِيرَ الْمَالِ، فَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ عَلِمَتْ الأَنْصَـارُ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالاً سَأَقْسِمُ مَالِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَطْرَيْنِ، وَلِـي امْرَأَتَـانِ فَـانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَأُطَلِّقُهَا، حَتَّى إِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَـارَكَ الله لَكَ فِي أَهْلِكَ، فَلَمْ يَرْجِعْ يَوْمَئِذٍ حَتَّى أَفْضَلَ شَيْئًا مِنْ سَمْنٍ وَأَقِطٍ فَلَمْ يَلْبَثْ إِلاَّ يَسِيرًا، حَتَّى جَاءَ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم وَعَلَيْـهِ وَضَرٌ مِنْ صُفْرَةٍ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{مَهْيَمْ؟}** قَـالَ: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنْ الأَنْصَارِ فَقَالَ:**{مَا سُقْتَ إِلَيْهَـا}** قَـالَ: وَزْنَ نَـوَاةٍ مِنْ ذَهَـبٍ أَوْ نَـوَاةً مِنْ ذَهَـبٍ فَقَالَ: أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ [1].

ويصدق هذه الأخوة قول الله تعالى:**{وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ والإيمان مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَـى أَنفُسِـهِمْ وَلَـوْ كَـانَ بِهِـمْ خَصَاصَـةٌ وَمَن يُـوقَ شُـحَّ نَفْسِـهِ فَأُوْلَئِـكَ هُـمُ الْمُفْلِحُونَ}** [الحشر:٩].

والأخـوة نوعـان: أخـوة النسـب والـدم، وأخـوة العقيـدة، قـال تعـالى:**{إِنَّمَـا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ (١٠)}** [الحجرات:١٠].

وهناك عدة وسائل لتعميق الأخوة في الله - أي أخوة العقيدة - نذكر منها:

١ - أن يخبر أخاه أنه يحبه في الله.

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ١٩٤٣

٢ - طلاقة الوجه عند لقاء أخيه المسلم، ومسارعة الأخ بمصافحة أخيه.

٤ - أن يدعو الله لأخيه بظهر الغيب.

٥ - مشاركة الأخ إخوانه في الأحزان والأفراح فيقف بجوار أخاه ليواسيه في الأحزان وليهنئه في الأفراح.

٦ - الهدية سبيل للمحبة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :**{تَهَادُوا تَحَابُوا}**(١).

٧ - إفشاء السلام سبيل للمحبة، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ}** (٢).

٨ - الزهد فيما عند أخيه المسلم، فَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضى الله عنه قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي الله وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ الله وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّوكَ}** (٣).

٩ - أن يبر قسم أخيه إذا أقسم طالما أمكن ذلك إن كان ما يريده ليس فيه حرمة شرعية وليس فيه تَعَدٍّ يبر قسمه ويفعل ما أقسم عليه.

١٠ - يشفع ويتوسط لأخيه طالما أن هذه الشفاعة لا تضر بآخر، فَعَنْ أَبِي مُوسَى رضى الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ قَالَ:**{اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا وَيَقْضِي الله عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ** صلى الله عليه وسلم **مَا شَاءَ}** (٤).

١١ - الإصلاح بين إخوانه المتخاصمين وحتى لو استلزم الأمر إلى الكذب، فليس الكذاب الذي يصلح ذات البين بين المتخاصمين فالمؤمنون

---

(١) **(حسن)** أخرجه (ع) وحسنه الألباني في ص.ج ٣٠٠٤.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (م) ٥٤.

(٣) **(صحيح)** أخرجه (هـ طب ك هب) وصححه الألباني في ص.ج ٩٢٢ واللفظ لابن ماجه.

(٤) **(صحيح)** أخرجه (خ) ١٣٦٥.

اخوة قال تعالى:{**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)**} [الحجرات:١٠] (٢٢).

معاشر الإخوة، هناك حقوق متعددة للأخوة في الله منها:

الحق الأول: الحب في الله والبغض في الله، فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضى الله عنه : عَنْ

رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ:{**مَنْ أَحَبَّ لِله وَأَبْغَضَ لِله وَأَعْطَى لِله وَمَنَعَ لِله فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ**} [١].

الحق الثاني: لا يحمل الأخ لأخيه غلاً ولا حسداً فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضى الله عنه : أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ:{**لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ** الله **إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ**} [٢].

الحق الثالث: طهارة القلب والنفس، فَعَنْ أَبِي مُوسَى رضى الله عنه قَالَ: قَالُوا يَا رَسُولَ الله أَيُّ الإسلام أَفْضَلُ؟ قَالَ: **مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**} [٣]

الحق الرابع: الإعانة على قضاء حوائج الدنيا على قدر استطاعتك، واسمع إلى هذا الحديث الذى تتلألأ منه أنوار النبوة: من حديث ابْنِ عُمَرَ رضى الله عنه أَنَّ رَجُلا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى الله؟ وَأَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى الله؟ فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :{**أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى** الله **تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى** الله **تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكَشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ** الله **عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ** الله **قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ** الله **قَدَمَهُ يَوْمَ**

---

(١) **(حسن صحيح)** أخرجه (د) وقال الألباني في صت ٣٠٢٩ حسن صحيح.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٥٧١٨، و(م) ٢٥٥٩.

(٣) **(صحيح)** أخرجه (خ) ١١، و(م) ٤٢.

تَزُولُ الأَقدَامِ} [١].

الحق الخامس: بذل النصيحة بصدق وأمانـة، فَعَنْ تميم الـدارى رضـى الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ: **الدِّينُ النَّصِيحَةُ}**. قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ:**{لِلَّه وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ}** [٢].

قال الشافعى رحمه الله تعالى : من نصح أخاه بين النـاس فقد شانه، ومن نصح أخاه فيما بينه وبينه فقد ستره وزانه، والذى بُذِلَ له النصيحة عليه أن يحسن الظن بأخيه الناصح، ورحم الله من قال: رحم الله من أهدى إلـيَّ عيوبي.

الحق السادس: التناصر، فَعَنْ أَنَسٍ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا}** قَالُوا: يَا رَسُولَ الله هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ:**{تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ}** [٣].

فيوصيك رسول الله أن تنتصر أخاك في كل الأحوال، إن كان ظالماً خذ بيده عن الظلم، وإن كان مظلوماً فانصره، ولو بكلمة، وإن عجزت فبقلبك، وهذا أضعف الإيمان.

الحق السابع: أن تستر عيب أخيك وتغفر له زلاته، وهذا من أعظم الحقوق: فالأخ ليس مَلَكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلاً، فإن زل الأخ فاستر عليه، فَعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ الله عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ الله عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ}** [٤] (٢٢).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) **(صحيح)** أخرجه (طب ابن عساكر) وحسنه الألباني في س.ص ٩٠٦.
(٢) **(صحيح)** أخرجه (م) ٥٥.
(٣) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٢٣١٢.
(٤) **(صحيح)** أخرجه (حم د) وصححه الألباني في ص.ج ٧٩٨٤.

الدرس الرابع والأربعون:

خلق الصدق

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة تخلف كعب بن مالك رضى الله عنه عن غزوة تبوك أخرجها البخاري ومسلم في صحيحيهما وهذا ملخصها: قال كعب بن مالك رضى الله عنه : وَغَزَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلاَلُ - أي نضجت الثمار - وَتَجَهَّزَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ فَطَفِقْتُ - أي أخذت وشرعت - أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا.. فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ، فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي ذَلِكَ، فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فَطُفْتُ فِيهِمْ أَحْزَنَنِي أَنِّي لاَ أَرَى إِلاَّ رَجُلاً مَغْمُوصًا عَلَيْهِ النِّفَاقُ أَوْ رَجُلاً مِمَّنْ عَذَرَ الله مِنْ الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ: **مَا فَعَلَ كَعْبٌ**؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رَسُولَ الله، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ - أي منعه من الخروج إعجابه بنفسه ولباسه وبرداه مثنى برد وهو الكساء، وعطفاه مثنى عطف وهو الجانب - فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ الله مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلاَّ خَيْرًا فَسَكَتَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم، قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّهُ تَوَجَّهَ قَافِلاً - أي راجعا إلى المدينة - حَضَرَنِي هَمِّي وَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ بِمَاذَا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا؟. وَأَصْبَحَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم قَادِمًا.. فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ - أي الذين تخلفوا عن رسول الله في غزوة تبوك - فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلاً، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم عَلاَنِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى الله، فَجِئْتُهُ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ ثُمَّ قَالَ:**{تَعَالَ}**، فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ

بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي:{**مَا خَلَّفَكَ أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟**} فَقُلْتُ: بَلَى، إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلاً وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ الله أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ الله، لاَ وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلاَ أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :{**أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ الله فِيكَ**}.. فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونِي - أي قبيلته - حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي أَحَدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ..مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيُّ، وَهِلاَلُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا فِيهِمَا أُسْوَةٌ، فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي وَنَهَى رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلاَمِنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ وَتَغَيَّرُوا لَنَا، حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ..قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبَطِيٌّ - أي فلاح - مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّأْمِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا - أي خطابا - مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ الله بِدَارِ هَوَانٍ وَلاَ مَضْيَعَةٍ فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا: وَهَذَا أَيْضًا مِنْ الْبَلاَءِ، فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا - أي قصدت بها الفرن فأشعلته به - حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنْ الْخَمْسِينَ إِذَا رَسُولُ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم يَأْتِينِي فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ.. فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ حَتَّى كَمَلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم عَنْ كَلاَمِنَا، فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلاَةَ الْفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ الله قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ.. يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ، أَبْشِرْ.. وَأَنْزَلَ الله عَلَى رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم :{**لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٧)**

وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ(١١٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩)} [التوبة:١١٧ - ١١٩].

أخي الحبيب، الصدق يشمل: الصدق في النية بأن تكون خالصة لله، والصدق في الأقوال والصدق في الأعمال، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والصدق أساس الحسنات وجماعها، والكذب أساس السيئات ونظامها.

والصدق في الأعمال وهو أن يصدق العبد أقواله بأعماله وأفعاله قال تعالى:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ(٢) كَبُرَ مَقْتاً عِندَ** الله **أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ(٣)}** [الصف:٣].

فقد تجد الرجل يحدث الحديث الكذب ليضحك الآخرين فتغدو في الآفاق وتنتشر، ولقد حذر رسول الله من ذلك، فَعَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:**{وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ}** (١).

وللصدق فضائل كثيرة، منها:

أولاً: أنه سبب للطمأنينة، فَعَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم :**{دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ}** (٢).

ثانياً: هو الفارق بين المؤمن والمنافق، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:**{آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ:إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ}**(٣).

ثالثاً: لا ينفع يوم القيامة إلا الصدق، قال تعالى:**{قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً**

---

(١) **(حسن)** أخرجه (حم د ت ك) وصححه الألباني في ص.ج ٧١٣٦.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (حم ت حب) وصححه الألباني في ص.ج ٣٣٧٨.

(٣) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٣٣و(م) ٥٩.

رَّضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [المائدة:١١٩].

رابعاً: الصدق أصل كل بر، ومجاهدة النفس على تحري الصدق توصلها إلى مرتبة الصديقية، فَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضى الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:**{إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ** الله **كَذَّابًا}** (١).

معاشر الإخوة، هناك بعض الأمور التى يجب الاشارة إليها: فمن سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه، والصدق في البيع والشراء سبب للبركة، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضى الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ:**{التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ}** (٢).

والكذب له أضراره وعواقبه، ولقد حارب النبي صلى الله عليه وسلم الكذب محاربة شديدة، فعن عائشة رضى الله عنها قَالَتْ:كَانَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - إِذَا اطَّلَعَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ بَيتِهِ كَذَبَ كَذبةً، لَمْ يَزَلْ مُعْرِضاً عَنْهُ حَتَّى يُحْدِثَ تَوبَةً (٣).

فهؤلاء الذين يروجون الإشاعات، ويختلقون الأخبار، لا شك أن عذابهم في البرزخ أليم، وعذابهم يوم القيامة أشد ألماً وأنكى وأخزى (٦٤).

والكذب جائز في ثلاثة أمور، فَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ رضى الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{لَا يَحِلُّ الْكَذِبُ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: يُحَدِّثُ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ لِيُرْضِيَهَا، وَالْكَذِبُ فِي الْحَرْبِ، وَالْكَذِبُ لِيُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ}** (٤).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (ق) وصححه الألباني في ص.ج ١٦٦٥.
(٢) **(حسن صحيح)** أخرجه (ت) وقال الألباني في س.ص ١٧٨٢ حسن صحيح.
(٣) **(صحيح)** أخرجه (حم ك) وصححه الألباني في ص.ج ٨٨٠٤.
(٤) **(حسن)** أخرجه (ت) وحسنه الألباني في ص.ج ٧٧٢٣.

الدرس الخامس والأربعون:

خلق التقوى

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع بنت بائعة اللبن مع عمر الخطاب رضى الله عنه، ففي جوف الليل، وبينما عمر الخطاب رضى الله عنه يسير في سكك المدينة يراقب أحوال الناس، أصابه إعياء، فاتكأ على جانب جدار، فإذا بامرأة تقول لابنتها: يابنيتاه قومي إلى اللبن فأمزجيه بالماء قالت لها: يا أماه أما علمت أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه نهى عن ذلك؟ قالت الأم: يابنيتاه قومي إلى اللبن فامزجيه بالماء فإن عمر لا يرانا.

قالت الفتاة : ياأماه، إن كان عمر لا يرانا، فإن رب عمر يرانا.

أعجب عمر رضى الله عنه بهذه الفتاة التقية، فقال لغلامه أسلم الذي يسير معه: يا أسلم، علم الباب واعرف الموضع، ثم مضيا في سيرهما، وفي الصباح قال عمر رضى الله عنه : يا أسلم امض إلى الموضع فانظر القائلة، ومن المقول لها، وهل لهما رجل؟

عاد أسلم يخبر عمر رضى الله عنه أن الفتاة بكر لم تتزوج، وهذه أمها، وليس لهما رجل. فدعا عمر أولاده وقص عليهم الأمر ثم قال: هل فيكم من يحتاج إلى امرأة فأزوجه؟ ولو كان بأبيكم قوة إلى النساء ماسبقه منكم أحد إلى هذه الفتاة. فقال عبد الله: لى زوجة. وقال عبد الرحمن: لى زوجة، وقال عاصم: يا أبي لا زوجة لي فزوجنى. فبعث عمر رضى الله عنه إلى الفتاة، وزوجها من عاصم فولدت لعاصم بنتا، فكانت أما لعمر بن عبد العزيز رحمه الله أعدل بني مروان وخامس الخلفاء الراشدين (٤٠).

ويأمر الله تعالى عباده بتقواه فيقول:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ(١٠٢)}** [آل عمران:١٠٢].

وأيضا فإن الله تعالى يأمر عباده المؤمنين بتقوى الله وأن يتقربوا إليه

بالطاعات والأعمال الصالحة والجهاد في سبيل الله حتى يفوزوا بالجنة، قال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** (٣٥)} [المائدة:٣٥].

وكذلك يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بتقوى الله وملازمة القول السديد في جميع الأحوال والشؤون الموافق للصواب خاليًا من الكذب والباطل.

وقال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً** (٧٠)} [الأحزاب:٧٠].

إخوتي في الله، وهناك أشياء تعين على تقوى الله نذكر منها :

١ - محبة الله عز وجل من أعظم أسباب التقوى، فلقد نصحت إحدى الصالحات من السلف بنيها فقالت لهم: " تعودوا حب الله وطاعته فإن المتقين ألفت جوارحهم الطاعة فاستوحشت من غيرها، فإذا أمرهم الملعون - أي الشيطان - بمعصية، مرت المعصية بهم محتشمة فهم لها منكرون ".

٢ - أن يدرب العبد نفسه على المراقبة وأن يستشعر اطلاع الله عز وجل عليه فيستحى عند ذلك من المعصية ويجتهد في الطاعة. قال الله تعالى: {**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**} [الحديد: ٤].

٣ - معرفة ما في سبيل الحرام من المفاسد والآلام فليس في الدنيا والآخرة شر وداء إلا وسببه الذنوب والمعاصى.

٤ - أن تتعلم كيف تغالب هواك وتطيع مولاك.

٥ - معرفة مكائد الشيطان ومصائده، قال العلامة ابن مفلح المقدسى رحمه الله: اعلم أن الشيطان يقف للمؤمنين في سبع عقبات، عقبة الكفر، فإن سلم منه ففى عقبة البدعة، ثم في عقبة فعل الكبائر، ثم في عقبة فعل الصغائر، فإن سلم منه ففى عقبة فعل المبيحات فيشغله بها عن الطاعات، فإن غلبه شغله بالأعمال المفضولة عن الأعمال الفاضلة، فإن سلم من ذلك سلط عليه الأعداء الفجرة بأنواع الأذى (١٦).

معاشر الإخوة، ومن صفات المتقين:

١ - **أنهم يؤمنون بالغيب**، ويقيمون الصلاة، وينفقون مما آتاهم الله، ويؤمنون بالكتب المنزلة، ويؤمنون بالآخرة، قال الله تعالى:{**ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ**

رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} [البقرة: ٢ - ٤].

٢ - أنهم يعفون ويصفحون، كما قال تعالى:**{وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}** [البقرة: ٢٣٧].

٣ - لا يقارفون الكبائر ولا يصرون على الصغائر، فهم غير معصومين من الخطايا إلا من عصمه الله تعالى من الأنبياء، قال تعالى:**{إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ}** [الأعراف: ٢٠١].

٤ - أنهم يتحرون الصدق، فهم أصدق الناس إيماناً وأصدقهم أقوالاً وأعمالاً وهم الذين صدقوا المرسلين، قال تعالى:**{وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}** [الزمر: ٣٣].

٥ - أنهم يعظمون شعائر الله، قال الله تعالى:**{ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ** الله **فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ}** [الحج:٣٢]، قال القرطبي: الشعائر جمع شعيرة وهي كل شيء لله تعالى فيه أمر أشعر به وأعلم.

٦ - أنهم يتحرون العدل ويحكمون به ولا يحملهم بغض أحد على تركة، قال الله تعالى:**{وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}** [المائدة: ٨].

٧ - أنهم يتبعون سبيل الصادقين من الأنبياء والمرسلين وصحابة سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ}** [التوبة: ١١٩] (١٦).

إخوتي في الله، لقد ذكر الله تعالى في كتابه ثماراً مختلفة للتقوى نذكر منها:

١- محبة الله تعالى، قال تعالى:**{بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}** [آل عمران:٧٦].

٢- سبب لعون الله ونصره وتأييده، قال تعالى:**{إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ}** [النحل:١٢٨].

٣- حصن الخائف وأمانه في الدنيا والآخرة، قال تعالى:**{يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا**

يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} [الأعراف:٣٥].

٤- تبعث في القلب النور وتقوي بصيرته فيميز بين ما ينفعه وما يضره، قال تعالى:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}** [الأنفال:٢٩].

٥- تعطي العبد قوة لغلبة الشيطان، قال تعالى:**{إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ}** [الأعراف:٢٠١].

٦- توسيع الرزق وفتح مزيد من الخيرات، قال تعالى:**{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}** [الأعراف:٩٦].

٧- تفريج الكرب وتيسير الأمور، قال تعالى:**{وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً}** [الطلاق: ٢].

٨- أن العاقبة للمتقين في الدنيا والآخرة، قال تعالى:**{تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}** [القصص:٨٣].

٩- أنها أفضل ما يتزود به العبد في طريقه إلى الله، قال تعالى:**{وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ}** [البقرة:١٩٧].

١٠- كل علاقات الأخلاء تنتهي يوم القيامة إلا علاقات المتقين، قال تعالى:**{الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ}** [الزخرف:٦٧].

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس السادس والأربعون:
خلق اليقين والتوكل على الله

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة عروس النيل، لما فتح القائد " عمرو بن العاص " مصر منع عادة عروس النيل التي تقضي بإلقاء فتاة شابة مزينة بالحلي في النيل ليفيض عليهم، فتوقف النيل عن الجريان لمدة ثلاثة شهور، فأرسل عمرو بن العاص إلى عمر رضى الله عنه ليستشيره، فأرسل يقول له: حسناً فعلت وأرجو أن تلقي في النيل رسالتي التالية: " هذه رسالة من عمر ابن الخطاب إلى نيل مصر أما بعد، فإن كنت تجري من لدن الله فنسأل الله أن يجريك... وإن كنت تجري من لدنك، فلا تجري فلا حاجة لنا بك "، فجرى النيل وفاض! (٢٠).

معاشر الإخوة، اليقين منزلة يحبها الله تبارك وتعالى، ويريد من عباده أن يبلغوها، ولهذا يقول الله عز وجل :**{وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ}** [الأنعام:٧٥]، فإبراهيم عليه السلام كان مؤمناً بدليل أنه الله تعالى قال في الآية التي قبلها:**{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ}** [الأنعام:٧٤]، لكن الله أراد أن يزيده إيماناً بهذا، وأن يجعله من الموقنين، وهي درجة عليا ومرتبة عظمى، فجعل الله سبحانه وسيلة ذلك أن يريه ملكوت السماوات والأرض، فبعد أن أيقن واستيقن به، جزم جزماً قاطعاً أن قومه على ضلالة وتبرأ منهم، ورفع الله تبارك وتعالى حجته عليهم، ودحض شبهاتهم، وأيقن أن الأمن والاهتداء لا يكون إلا للمؤمنين، ولا حظَّ فيهما لأحد من المشركين.

وهذا يشابه أيضاً قول الخليل عليه السلام:**{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي}** [البقرة:٢٦٠]، فهي أيضاً زيادة في اليقين والاطمئنان، ولعلنا نتساءل: كم كان مقدار اليقين الذي كان عند الخليل إبراهيم عليه السلام، لقد أُمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام

بذبح ابنه، بل ولم يأمره جبريل بقوله: إن الله يبلغك أن تذبح ابنك، ولكن جاء أمره:{**إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ**} [الصافات١٠٢]، مجرد رؤيا، فلم يقل: لعلها من الشيطان أو كذا، أو أنام الليلة فإن تكررت فعلت، ولكن اليقين جعله يمتثل، وجعل ابنه كذلك{**يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ**} [الصافات:١٠٢]، فقد حصل اليقين عند الأب، وكذلك حصل اليقين عند الابن، وهذه هي الدرجة التي يريدها اللـه تبارك وتعالى ويحب أن يكون أنبياؤه وأولياؤه عليها (٥٦).

ولقد عَلَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته الكرام كيفية التوكل على الله عز وجل في سائر الأمور، ففي يوم الهجرة يستأجر مشركاً ليدله على الطريق، وهو سيد المتوكلين، لماذا لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم : معي ربي سيدلني على الطريق؟! لا.

بل يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بالأسباب، فيستأجر مشركاً ليدله على الطريق، ويحمل الراحلة والزاد.

وفي يوم أحد يحارب النبي صلى الله عليه وسلم بين درعين، وكان يدخر لقومه ولأهله القوت في بيته وهو سيد المتوكلين، هذا هو التوكل الحقيقي أن نأخذ بالأسباب، أن نبذر الحب في الأرض، وأن نتعاهد الزرع بالري والحرث والتنقية، وأن تتعلق قلوبنا بعد ذلك بالله لا بالأسباب، لأن الأسباب وحدها لا تضر ولا تنفع، ولا ترزق ولا تمنع إلا بأمر مسبب الأسباب جل جلاله، وهذا هو التوكل الذي أمر الله به نبيه فقال:{**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ**} [الفرقان:٥٨]{**فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى** الله} [آل عمران:١٥٩]{**إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**} [آل عمران:١٥٩] (٦٢).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضى الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:{**إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ** الله **تَوَكَّلْتُ عَلَى** الله **لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ قَالَ: يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ وَكُفِيتَ وَوُقِيتَ فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟!**} [١].

وَعَنْ أَنَسٍ رضى الله عنه يَقُولُ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ الله أَعْقِلُهَا ـ أي

---

(١) (**صحيح**) أخرجه (د ن حب) وصححه الألباني في ص.ج ٤٩٩.

أربط الناقة - وَأَتَوَكَّلُ أَوْ أُطْلِقُهَا - أي أتركها حرة - وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ:{**اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ**}[١].

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحرص على تعليم الغلمان من أولاد الصحابة كيف يتوكلون على الله حق التوكل، فقد كان يركب وراءه ذات مرة ابن عباس، فقال له:{**يَا غُلاَمُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللهَ؛ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللهَ؛ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الأَقْلاَمُ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**}[٢] فما أعظمه من حديث، لذا ينبغي أن يعلم كل واحد أهل بيته الرضا بقضاء الله، والشجاعة والإقدام وحسن التوكل على الله تعالى، مع أهمية أن يشرح لهم أن التوكل يعني الأخذ بالأسباب بالجوارح مع التوكل على الله بالقلب، أي التيقن من أن تحقيق الغاية لن يتم إلا بأمر الله؛ فإذا لم يكن هناك أسباب يمكن اتخاذها فالأمر لله، وهنا ينبغي التضرع والدعاء له تعالى لتحقيق تلك الغاية، مع الثقة في حكمته وأن كل ما يأتي به الله خير.

يقول الداعية الإسلامي الأستاذ " عمرو خالد ": كان لي صديق يعمل في إحدى الفنادق الكبيرة بالقاهرة، وكان من ضمن مهام مهنته أن يعد لحفلات يرتكب فيها محرمات، وبينما هو يعد قائمة بالمطلوب لإحدى هذه الحفلات، نظر أمامه فإذا بالشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله تعالى يتناول الطعام أمامه في المطعم، فتيقظ ضميره وشعر أنه يأتي مُحرَّماً، فما كان منه إلا أن ترك ما بيده وذهب إليه يسأله، هل ما أفعله بوظيفتي حلال أم حرام؟ فقال له: " إنه حرام "،فقال له: " فماذا أفعل؟ " فقال له: " اتركها "، فرد الشاب " إن لي زوجة وأولاداً، فمن أين سنجد قوتنا؟ "، فرد عليه الشيخ الجليل: " يابني إنه{**وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**} [الطلاق:٢ - ٣]، قال له: " إذن أظل بوظيفتي حتى أجد

---

(١) (**حسن**) أخرجه (ت) ٢٥١٧ وحسنه الألباني.

(٢) (**صحيح**)، أخرجه (حم ت ك) وصححه الألباني في ص. ج ٧٩٥٧.

غيرها ثم أتركها "، فرد الشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى بحزم: " يا بني إنه يقول:من يتق الله (أولاً) يجعل له مخرجاً (بعد ذلك)... فكيف تريده أن يجعل لك مخرجاً وأنت لم تتقه؟ ".

فظل الشاب يفكر حتى هداه الله إلى كتابة الاستقالة والتوكل عليه سبحانه، ولكنه قبل أن يتم كتابتها إذا بمدير سلسلة الفنادق التي ينتمي إليها هذا الفندق يتصل به ويقول: " أريد أن أخبرك بشيء، فرد الشاب وأنا أيضاً أريد أن أخبرك بشيء - يعني الاستقالة - ولكن المدير قال له: " سأقول لك أنا أولاً: لدينا وظيفة شاغرة لمدير فرعنا بالمدينة المنورة وقد اخترتك لها، فما رأيك؟!!! ".

وهذه قصة واقعية أخرى لمسلم توكل على الله وافتخر بانتمائه للإسلام واعتز بتفضيل مراد الله على مراده: يقول الدكتور " عبد الله الخاطر " الذي كان يعيش في إنجلترا لدراسة الدكتوراه: " التقيت بشاب إنجليزي يعيش في جنوب لندن، وقد أسلم حديثاً، وبعد إسلامه بثلاثة أسابيع عثر على وظيفة، فحاول غيره من الشباب المسلمين أن يحذروه من أن يقول: إنه قد أسلم حين يذهب للمقابلة الشخصية، حتى لايكون ذلك سبباً في عدم قبوله، فيتأثر نفسياً فيرتد عن دينه، إلا أن هذا الشاب توكل على ربه ولم يخشهم، فذكر لأصحاب العمل أنه قد أسلم وكان اسمه " رود "، فأصبح " عمر "، وقال لهم أيضاً بفخر: " لقد غيرت ديني واسمي وأريد وظيفة تتيح لي وقتاً للصلاة، فما كان منهم إلا أن قبلوه في تلك الوظيفة!!! وكان الأمر أعجب عندما قالوا له: " إننا نريد في هذه الوظيفة رجلاً عنده القدرة على اتخاذ القرارات وأنت عندك قدرة عظيمة جداً في اتخاذها، فقد غيرت اسمك ودينك وهذا إنجاز كبير!!! (٢٠).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس السابع والأربعون:
خلق العدل

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع أهل سمرقند لما وصل خبر تولية عمر بن عبد العزيز الخلافة إلى سكان ما وراء النهر، اجتمع أهل سمرقند وقالوا لسليمان بن أبي السرّي: إن قتيبة غدر بنا، وظلمنا وأخذ بلادنا، وقد أظهر الله العدل والإنصاف، فأذن لنا فليفد منا وفد إلى أمير المؤمنين، يشكو ظلامتنا، فإن كان لنا حق أعطيناه، فإن بنا إلى ذلك حاجة. فأذن لهم سليمان، فوجهوا منهم قوماً فقدموا على عمر، فكتب لهم عمر إلى سليمان ابن السري: إن أهل سمرقند قد شكوا إليَّ ظلماً أصابهم، وتحاملاً من قتيبة عليهم أخرجهم من أرضهم، فإذا أتاك كتابي فأجلس لهم القاضي فلينظر في أمرهم، فإن قضى لهم فأخرجهم - المسلمين الغزاة - إلى معسكرهم كما كانوا وكنتم قبل أن ظهر عليهم قتيبة، فأجلس سليمان جُمَيْعَ بن حاضر القاضي فقضى أن يخرج عرب سمرقند إلى معسكرهم وينابذوهم على سواء فيكون صلحاً جديداً أو ظفراً عنوة، فقال أهل الصُّغد - أي قوم يسكنون بلاد ماوراء النهر -: بل نرضى بما كان ولا نجدِّد حرباً، وتراضوا بذلك، فقال أهل الرأي: قد خالطنا هؤلاء القوم وأقمنا معهم، وأمنونا وأمنّاهم، فإن حكم لنا عدْنا إلى الحرب ولا ندري لمن يكون الظفر، وإن لم يكن لنا اجتلبنا عداوة في المنازعة، فتركوا الأمر على ما كان ورضوا ولم ينازعوا (١٢).

معاشر الإخوة، هل هناك دولة في القرن الحادي والعشرين تحني رأسها هكذا للعدل كي يأخذ مجراه وللحق كي يعود إلى أصحابه؟

وأي حاكم في تاريخ الشعوب التي لم تعرف الله، استجاب، هكذا، لنداءات المظلومين الذين سلبت حقوقهم، كهذه الاستجابة السريعة الحاسمة من عمر ابن عبد العزيز؟ فهذا مثل رفيع من عدل عمر (٤١).

ويصدق ذلك قول الله تعالى:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ**

شُهَدَاء لِلّه وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ} [النساء:١٣٥].

فيوجب الله تعالى في هذا النداء الإلهي العدل في القضاء، والشهادة، والقول، والعمل، والاعتقاد، فعلى من قضى بين اثنين أن يعدل في حكمه، وأن من شهد أن يعدل في شهادته، وأن من قال مخبرا أو آمرا، أن يعدل في قوله وفي أمره، إذ على العدل قامت السماوات والأرض، وقد طبق رسول الله صلى الله عليه وسلم مضمون هذه الآية، حتى يستتب العدل، كما كان الحال مع المرأة المخزومية القرشية التي سرقت، وقرر رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفيذ الحد عليها، فعن عائشة رضى الله عنها : أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالَ: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِى عَلَيْهِ إِلاَّ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ رضى الله عنه، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم :**{أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ؛ وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ ابْنَةَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ، لَقَطَعْتُ يَدَهَا}** [(١)].

الإخوة الفضلاء، إن العدل صفة خلقية كريمة تعني التزام الحق والإنصاف في كل أمر من أمور الحياة، والبعد عن الظلم والبغي والعدوان قال تعالى:**{إِنَّ الله يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ}**، وقال تعالى:**{إِنَّ الله يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ}** وقد ورد في الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلم :**{تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ}**، والإسلام يربأ بالمسلم عن الوقوع في أي لون من ألوان الظلم، فالظالم مطرود من رحمة الله، ولقد أوعد الله سبحانه وتعالى الظالمين بأشد العقوبات. قال تعالى: **{أَلَا لَعْنَةُ الله عَلَى الظَّالِمِينَ}** وقال تعالى:**{وَلَا تَحْسَبَنَّ الله غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ}** كما تضمنت السنة النبوية الشريفة مجموعة من الأحاديث التي تقر العدل وتُحَرِّمُ الظلم، منها:

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٣٢٨٨، و(م) ١٦٨٨.

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضى الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم :{**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عند الله على مَنَابِرَ من نُورٍ عن يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وكلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**} [١].

قال النووي: قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُّوا فمعناه أنَّ هذا الفضل إنما هو لمن عَدَل فيما تقلده من خلافة أو إمارة أو قضاء أو حسبة أو نظر على يتيم.. ونحو ذلك والله أعلم ".

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضى الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِيمَا رَوَى عَنْ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ:{**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا**}[٢].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:{**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تَعَالَى فِيْ ظِلِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ إِمَامٌ عَادِلٌ.**} [٣].

قال ابن حجر: " وأحسن ما فسر به العادل أنه الذي يتبع أمر الله بوضع كل شيء في موضعه من غير إفراط ولا تفريط ".

وللظلم عواقب وخيمة، وما تزول الدول ولا يضطرب الحال إلا بسبب الظلم والتعسف والجور:{**وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً**} [الكهف:٥٩]،{**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ**} [هود:١٠٢ - ١٠٣].

عباد الله: العدل والإنصاف حتى مع الكفار: قال الله تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِله شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ الله إِنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**} [المائدة:٨].

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (م) ٤٨٢٥.
(٢) **(صحيح)** أخرجه (م) ٢٥٧٧.
(٣) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٦٤٢١.

أي: لا يحملنكم بغض الكفار **{عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}** [المائدة:٨] هذا إذا كان مع الكفار، فكيف إذا كان مع المسلمين من أهل البدع؟! بل كيف إذا كان مع المسلمين من أهل السنة؟!

اسمع إلى عمرو بن العاص رضى الله عنه لما سمع رجلاً يقول: تقوم الساعة والروم أكثر الناس، فقال: ماذا تقول؟ قال: أقول ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أما إنه إن كان حقاً ما تقول، فإن فيهم لخصالاً أربعاً، اسمع كيف يثني على الكفار وإن كانوا كفاراً؛ لأن الأمر فيه حكمة وعدل وإنصاف، قال: فإن فيهم لخصالاً أربعاً: إنهم أحلم الناس عند الفتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك (٦٥).

وللعدل ثمار كثيرة نذكر منها:

١ ـ **إنه سبب للبركة في الأرزاق**، ولقد وُجد في خزائن بعض بني أمية صرةُ حنطة أمثال نوى التمر مكتوبٌ عليها: هذا كان ينبت أيام العدل.

٢ ـ **إنه موصل إلى محبة الله سبحانه وتعالى**، قال الله تعالى: **{وَأَقْسِطُواْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}** [الحجرات:٩]، فهو سبحانه عدل ويحب أهل العدل.

٣ ـ **إنه قرين التوحيد**، وذلك لأن التوحيد أعظم العدل، كما أن الشرك أعظم الظلم، قال تعالى: **{شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا اله إِلاَّ هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَائِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ اله إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}** [آل عمران:١٨].

٤ ـ **أنه سبب لقيام الدول وسرّ استقرارها**، قال ابن تيمية: " قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة، ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام " (٥٢).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس الثامن والأربعون:

خلق الوفاء بالعهود

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، موعدنا مع صورة مشرقة في حرص النبي صلى الله عليه وسلم على حفظ العهود، وذلك حينما كان يفاوض سهيل بن عمرو في الحديبية، حيث جاءه ابن سهيل يرسف في الأغلال، وقد فر من مشركي مكة، وكان أبوه يتفاوض مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان هذا الابن ممن دخلوا الإسلام جاء مستصرخًا بالمسلمين، وقد انفلت من أيدي المشركين، فلما رأى سهيل ابنه قام إليه وأخذ بتلابيبه، وقال: يا محمد لقد لجت القضية بيني وبينك، أي فرغنا من المناقشة قبل أن يأتيك هذا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدقت، فقال أبو جندل: يا معشر المسلمين أَأُرَد إلى المشركين يفتنوني في ديني؟! فلم يغن عنه ذلك شيئًا، ورده رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لأبي جندل: إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحًا وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهدًا، وإنا لا نغدر بهم، غير أن النبي صلى الله عليه وسلم إزاء هذه المأساة التي حالت بنود معاهدة الصلح بينه وبين أن يجد مخرجًا منها لأبي جندل المسلم، طمأن أبا جندل وبشره بقرب الفرج له ولمن على شاكلته من المسلمين، وقال له وهو يواسيه: يا أبا جندل، اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا، لقد كان درس أبي جندل امتحانًا قاسيًا ورهيبًا لهذا الوفاء بالعهد أثبت فيه الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون نجاحًا عظيمًا في كبت عواطفهم وحبس مشاعرهم، وقد صبروا لمنظر أخيهم أبي جندل وتأثروا من ذلك المشهد عندما كان أبوه يجتذبه من تلابيبه، والدماء تنزف منه، مما زاد في إيلامهم حتى أن الكثيرين منهم أخذوا يبكون بمرارة إشفاقًا منهم على أخيهم في العقيدة، وهم ينظرون إلى أبيه المشرك وهو يسحبه بفظاظة الوثني الجلف ليعود به مرة أخرى إلى سجنه الرهيب في

مكة (٣٢).

وصورة أخرى مشرفة على الوفاء بالعهود فيما حدث بيبن حذيفة ابن اليمان رضى الله عنه وأبيه وكفار قريش، قال حذيفة: ما منعنا أن نشهد بدرًا إلا أني وأبي أقبلنا نريد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذنا كفار قريش فقالوا: إنكم تريدون محمدًا، فقلنا: ما نريده إنما نريد المدينة، فأخذوا علينا عهد الله وميثاقه لتصيرن إلى المدينة ولا تقاتلوا مع محمد صلى الله عليه وسلم، لما جاوزناهم أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا له ما قالوا وما قلنا لهم فيما ترى؟ قال: نستعين الله عليهم ونفي بعهدهم، فانطلقنا إلى المدينة، فذاك الذي منعنا أن نشهد بدرًا مكة (٣٢).

يقول فضيلة الشيخ محمد حسان: إن صدق الوعد خصلة كريمة من خصال الإيمان، وخلق عظيم من أخلاق الإسلام، عز وجوده وندر في هذه الأيام، فكم من وعود معسولة! وكم من عهود مسموعة ومرئية ومنقولة! ولكن أين الوفاء بالعهد؟! وأين صدق الوعد والوعود؟! فإن كثيراً من الناس في هذه الأيام يتكلم؟ وكم من المسؤولين من يَعِد؟ وكم من المسؤولين من يتعهد لله وللناس؟ ولكن أين صدق الوعود؟! وأين الوفاء بالعهود؟! لذا أثنى الله جل وعلا على إسماعيل بصدق الوعد؛ لعظم فضل هذه الخصلة وهذا الخلق فقال:{**إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا**} [مريم:٥٤].

قال أئمة التفسير: إن الله جل وعلا أثنى بهذا على إسماعيل عليه الصلاة والسلام؛ لأنه ما من عهد عاهد به ربه إلا وصدق في عهده ووعده لربه جل وعلا، فهو الذي وعد الخليل عليه الصلاة والسلام أن يجده صابراً إذا ما جاء لينفذ فيه أمر الله بالذبح، كما قال الله عز وجل عنه:{**قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**} [الصافات:١٠٢]، والدليل على أنه وفى بوعده قول ربه جل وعلا:{**فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ**} [الصافات:١٠٣]، عاهد ربه فوفى بعهده ووعده لله عز وجل، لذا أثنى الله عليه بقوله:{**إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ**} [مريم:٥٤].

معاشر الإخوة، الأمانةُ ما يُؤتَمَنُ عليه مِنْ قولٍ أو فعلٍ أو عينٍ، فمن حدَّثَكَ بِسِرٍّ فقد ائتمنَكَ، ومنْ فعَل عندَك مَا لاَ يُحِبُّ الاطلاع عليه فقد ائتمنك، ومن سلَّمكَ شيئاً من مالِه لِحِفْظِه فقد ائتمنك، والْعَهْدُ ما يلتزمُ به الإِنسانُ لغيرِهِ

كالنذرِ لله والعهودِ الجاريةِ بينَ الناس.

وسواء كان عهدا مع الله عز وجل أو مع رسوله صلى الله عليه وسلم أو مع أي أحد فالوفاء بكل ذلك من لوازم الصدق، كما أن إخلاف أي منها من لوازم الكذب والنفاق، ويجب الوفاء بالشروط أياً كانت هذه الشروط، ما دامت لا تحل حراماً ولا تحرم حلالاً، ولذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :**{الْمُسْلِمُونَ عَلَى شُرُوطِهِمْ، إِلَّا شَرطًا أَحَلَّ حَرَامًا أَوْ حَرَّمَ حَلَالًا}** [(١)]، أما الشروط التي لا تحل حراماً ولا تحرم حلالاً؛ فإنه يجب الوفاء بها أياً كانت هذه الشروط، سواء كانت بين الزوجين، أو بين الأجيرين، أو بين أي اثنين من الناس؛ لأن الله تعالى قال:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ}** [المائدة:١]، فالوفاء بعهد الله عز وجل يقتضي توحيده وإفراده بالعبادة، كما يقتضي التحاكم إلى شرعه وحده والكفر بالطاغوت، ولقد أخذ الله تعالى العهد على بني آدم ألا يعبدوا الشيطان، قال تعالى:**{أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠)}** [يس:٦٠].

إن الوفاء بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتضي إحياء سنته والذب عنها وتقديم قوله على قول كل أحد، وهذا مقتضى شهادة أن محمدا رسول الله، فمن أخل بشيء من ذلك المقتضى فهو كاذب في هذه الشهادة، وأما الوفاء بعهد الناس فقد جعل الشرع خلف الوعد والغدر فيه من أشد أنواع الكذب بل جعله من أركان النفاق وآيات المنافقين كما قال رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم :**{أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ}** [(٢)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه : أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ:**{لَا يَجْتَمِعُ الْإِيمَانُ وَالْكُفْرُ فِي قَلْبِ امْرِئٍ، وَلَا يَجْتَمِعُ الصِّدْقُ وَالْكَذِبُ جَمِيعًا،وَلَا تَجْتَمِعُ الْخِيَانَةُ وَالْأَمَانَةُ جَمِيعًا}** [(٣)].

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (ت) ١٣٥٢ وصححه الألباني.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٣٤ و(م) ٥٨.

(٣) **(حسن)** أخرجه (حم) ٨٥٧٧ وحسنه الشيخ شعيب الأرنؤوط.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضى الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :{**خَمْسٌ بِخَمْسٍ، قَالُوا: يَا رَسُولَ** الله **وَمَا خَمْسٌ بِخَمْسٍ؟ قَالَ:مَا نَقَضَ قَوْمٌ الْعَهْدَ إلا سُلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوُّهُمْ، وَمَا حَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ الله إلا فَشَا فِيهِمُ الْفَقْرُ، وَلا ظَهَرَتْ فِيهِمُ الْفَاحِشَةُ إلا فَشَا فِيهِمُ الْمَوْتُ، وَلا طَفَّفُوا الْمِكْيَالَ إلا مُنِعُوا النَّبَاتَ وَأُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَلا مَنَعُوا الزَّكَاةَ إلا حُبِسَ عَنْهُمُ الْقَطْرُ**} [(١)].

والوفاء بالعهود الداخلية والخارجية من الخصائص اللازمة والضرورية للدولة الإسلامية، لإقرار الأمن وتحقيق السلام والاستقرار، قال تعالى:{**وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ الله إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ الله عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ الله يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ(٩١)**} [النحل:٩١].

وهذا فرض ومنهج حياة لا تجوز مخالفته، قال تعالى:{**وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً**} [الإسراء: ٣٤]. وذلك لنشر السلام في كل أنحاء الديار الإسلامية، لقوله صلى الله عليه وسلم :{**أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**}[(٢)]، ولا فرق في ذلك بين مسلم وذِمِّي من رعايا الدولة الإسلامية، وفي العلاقات الخارجية فالدولة الإسلامية تدعو إلى السلام، ما لم تُنْتهك حرمات الله أو يُعتدى على أرض المسلمين، قال تعالى{**لَا يَنْهَاكُمُ الله عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ الله عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ
وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ(٩)**} [الممتحنة: ٨ - ٩] (٢٠).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

---

(١) **(حسن)** أخرجه (طب) وحسنه الألباني في ص.ج برقم ٣٢٤٠.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (م) ٥٤.

الدرس التاسع والأربعون:

حسن الخلق

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع حلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع عيينة ابن حصن، فَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَبَّاسٍ رضى الله عنه قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ وَكَانَ مِنْ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ الْقُرَّاءُ - أي العلماء والعباد - أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولاً كَانُوا أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْه؟ قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضى الله عنه : فَاسْتَأْذَنَ الْحُرُّ لِعُيَيْنَةَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيْ يَا بْنَ الْخَطَّابِ فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ وَلاَ تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ الله تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم**{خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ}** [الأعراف:١٩٩]، وَإِنَّ هَذَا مِنْ الْجَاهِلِينَ وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا عَلَيْهِ وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ الله [(١)].

إخوتي في الله، عليكم بحسن الخلق فإن كثيراً من العصاة والفجار والفساق كانوا يرون من حسن خلق الصحابة والتابعين ما يجعل قلوبهم ترق وتلين ويتركون ما كانوا عليه من الفسق والفجور، وهذا كثيرٌ جداً في عهد الصحابة والتابعين، ومنها قصة صلة بن أشيم رضي الله تعالى عنه - وهو من التابعين -، لما كان يذهب إلى الصحراء في الليل ويمر بشباب يلهون ويعبثون - مثل ما نرى الشباب هذه الأيام في الكازينوهات والملاعب - في الليل، فقال: إن قوماً - أي يضرب لهم مثلاً وهو يمشي - كانوا مسافرين قضوا الليل في اللعب وغفلوا في النهار فأنى يدركون الطريق أو فأنى

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٤٣٦٦.

يصلون، يضرب لهم المثل أول الليل ويمشي، وفي اليوم الثاني قال أحدهم: والله إنه ليريدنا ويعنينا، ويقول لنا: نحن أمامنا طريق، وأمامنا سفر وهو الانتقال إلى الدار الآخرة، ومع ذلك نضيع هذه الأوقات، فأفاقوا من غفلتهم، وكانوا قرابة العشرين شاباً فأصبحوا من خيار شباب الإسلام لقد استيقظوا بحسن الخلق في الدعوة، وبحسن التعامل وبالرفق (٦٧).

كما أن حسن الخلق يقرب العبد إلى الله جل وعلا ويرفع درجته في الجنة، ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو إلى مكارم الأخلاق.

قال تعالى:{**لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (١٦٤)**} [آل عمران:١٦٤].

فالعبادات من مقاصدها حسن الخلق فمثلا الصلاة ثمرتها تجنب الفحشاء والمنكر، والصدقات ثمرتها تزكية النفس من رذائل الأخلاق، والصيام ثمرته التقوى وهو الإتيان بالأوامر وتجنب النواهى وكل الأوامر والنواهي مفضية لحسن الخلق والحج ثمرته حسن الخلق وذلك بتجنب الرفث والفسوق والعصيان.

فلا ينبغي أن يكون الدين في المسجد فقط يصلى الرجل مع المصلين وخارج المسجد يتكبر ويلعن ويؤذى ويسخر ويضرب ولا يعطى الناس حقوقهم ويخلف المواعيد ويكذب فهذا كله من مساوئ الأخلاق.

معاشر الإخوة، هناك فضائل كثيرة لحسن الخلق، من أعظمها أنه سبب في مرافقة النبيين وجوار الصالحين مع الذين أنعم عليهم رب العالمين، نسأل الله العظيم أن يبلغنا الجنة بمنِّه ورحمته وهو أرحم الراحمين، فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضى الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:{**مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ**} (١).

وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:{**إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ**

(١) (**صحيح**) أخرجه (ت)وصححه الألباني في ص.ج ٥٦٣٢.

الْخُلُقِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ} [١].

وَعَنْ جَابِرٍ رضى الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ:**{إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا}** [٢]. وروى الترمذي عَنْ عَبْدِ الله بْنِ الْمُبَارَكِ، أَنَّهُ وَصَفَ حُسْنَ الْخُلُقِ فَقَالَ: هُوَ بَسْطُ الْوَجْهِ وَبَذْلُ الْمَعْرُوفِ وَكَفُّ الأَذَى.

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم :**{لَا تَحْقِرَنَّ مِنْ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ}** [٣].

فطلاقة الوجه تدخل السرور على من قابلك، وعلى من اتجه لك، وتجلب المودة والمحبة، وتوجب انشراح القلب، بل توجب انشراح الصدر منك وممن يقابلك، وجرب تجد، لكن إذا كنت عبوساً فإن الناس ينفرون منك، ولا ينشرحون بالجلوس إليك، ولا بالتحدث معك، كما أن مساعدة الناس وكفَّ الأذى عنهم من حسن الخلق. هذه الأصول الثلاثة التي يدور عليها حسن الخلق في معاملة الخلق.

والأخلاق منحة من الله جل جلاله، ألا وإن أحق الناس بأخلاقك وأحق الناس بعطفك وحنانك وبرك وإحسانك ومن تظهر له الخلق الحسن والداك ثم أهل بيتك:**{وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً}** [الإسراء:٢٣].

وَعَنْ عَائِشَةَ رضى الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي}**[٤].

إخوتي في الله، هناك وسائل مفيدة لتحسين الخلق نذكر منها:

١ - **المجاهدة**، فالمجاهدة تنفع كثيراً في ذلك لأن الخلق الحسن نوع من الهداية يحصل عليه المرء بالمجاهدة، قال تعالى:**{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}** [العنكبوت:٦٩].

---

(١) **(صحيح لغيره)** أخرجه (حم)٢٥٥٧٨ وصححه الشيخ شعيب الأرنؤوط.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (ت) ٢٠١٨ وصححه الألباني.

(٣) **(صحيح)** أخرجه (م) ٢٦٢٦.

(٤) **(صحيح)** أخرجه (ت) وصححه الألباني في ص.ج ٣٣١٤

٢ ـ مراقبة النفس ومحاسبتها، وذلك بنقد النفس إذا ارتكبت أخلاقاً ذميمة، وحَمْلِها على ألا تعود إلى تلك الأخلاق مرة أخرى، مع أخذها بمبدأ الثواب إذا أحسنت، وأخذها بمبدأ العقاب إذا توانت وقَصَّرَتْ.

٣ ـ التفكر في الآثار المترتبة على حسن الخلق، فإن معرفة ثمرات الأشياء، واستحضار حسن عواقبها من أكبر الدواعي إلى فعلها.

٤ ـ النظر في عواقب سوء الخلق، وذلك بتأمل ما يجلبه سوء الخلق من الأسف الدائم، والهم الملازم، والحسرة والندامة، والبغضة في قلوب الخلق.

٥ ـ الدعاء، فالدعاء باب عظيم ولهذا كان النبي يقول في دعاء الاستفتاح: **اللّهُم اهدِني لأحسَنِ الأخلاقِ، لا يَهدي لأحسنِها إلاّ أنت، واصرف عني سيّئَها لا يصرف سيّئَها إلاّ أنت.**

٦ ـ الصبر من الأسس الأخلاقية التي يقوم عليها الخلق الحسن؛ فالصبر يحمل على الاحتمال، وكظم الغيظ، وكف الأذى، والحلم، والأناة، والرفق، وترك الطيش والعجلة.

٧ ـ تكلّفُ البشْر والطلاقة، وتُجنّبُ العبوس والتقطيب.

٨ ـ التغاضي والتغافل والحلم، قال ابن الأثير عن صلاح الدين الأيوبي: كان حليماً حسنَ الأخلاق، متواضعاً، صبوراً على ما يكره، كثير التغافل عن ذنوب أصحابه، يسمع من أحدهم مايكره، ولا يُعلمه ولا يتغير عليه.

٩ ـ الإعراض عن الجاهلين والعفو والصفح، قال تعالى:**{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ}** [الأعراف: ١٩٩].

١٠ ـ تجنّبُ الغضب؛ لأن الغضب جمرة تتقد في القلب، واحتسب الأجر عند الله فهذا الأمر من أعظم ما يعين على اكتساب الأخلاق الفاضلة (٤).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس الخمسون:

خلق الحياء

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة رائعة للسلف الصالح، حيث جاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم، فقال: يا إمام أريد أن أتوب وأن أترك الذنوب، وإذا بي أعود إليها، دلني على أشياء تعصمني فلا أعصي الله.

فقال له إبراهيم بن أدهم: إن أردت أن تعصي الله فلا تعصه على أرضه! فقال الرجل: فأين أعصيه؟ قال إبراهيم: خارج أرضه!! فقال الرجل: كيف يا إمام والأرض كلها لله؟ فقال إبراهيم: أما تستحي أن تكون الأرض كلها لله وتعصيه على أرضه؟

ثم قال إبراهيم: وإن أردت أن تعصيه فلا تأكل من رزقه! قال الرجل: فكيف أحيا؟ فقال إبراهيم: أما تستحي أن تأكل من رزقه ثم تعصيه؟

ثم قال إبراهيم: فإن أبيت إلا أن تعصي الله فاعصه في مكان لا يراك فيه!

فقال الرجل: وكيف ذلك وهو معنا أينما كنا؟ فقال إبراهيم: أما تستحي أن تعصيه وهو معك قريب منك؟

ثم قال إبراهيم: فإن أبيت إلا أن تعصي الله، فان جاءك ملك الموت ليأخذ روحك فقل له: أنظرني حتى أتوب!! فقال الرجل: ومن يملك ذلك!؟

فقال إبراهيم: أما تستحي أن يأتي ملك الموت ويأخذ روحك وأنت على المعصية؟ ثم قال إبراهيم: فإن أبيت إلا أن أن تعصي الله، فإذا جاءتك زبانية جهنم يأخذونك إلى النار فقل لهم: لن أذهب معكم. فقال الرجل: وكيف ذلك يا إمام!؟

فقال إبراهيم: أما تستحي من الله بعد كل هذا!!؟ (٤٨).

أخي الحبيب، الحياء خلق نبيل يحول بين من يتمتع به وبين فعل المحرمات وإتيان المنكرات، ويصونه من الوقوع في الأوزار والآثام، وهو كذلك

الامتناع عن فعل كل ما يستقبحه العقل ولا يقبله الذوق السليم، والكف عن كل ما لا يرضى به الخالق والمخلوق، فإذا تحلى المسلم بهذا الخلق، صحت سريرته وعلانيته، وعامل الخلق بما يرضاه مولاه، وكذلك فإن هذا المسلم الحيي لا يقبل إلا الحلال من كل شيء وفي المطعم، والمشرب، والملبس وغير ذلك كما يعد الحياء دليلا صادقا على مقدار ما يتمتع به المرء من أدب وإيمان، عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ: سَمِعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم رَجُلاً يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ فَقَالَ:{**الْحَيَاءُ مِنْ الْإِيمَانِ**} [١].

ولقد حثت الشريعة الإسلامية المسلمين على التحلي بفضيلة الحياء وبيَّنَ النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا الخلق الشريف هو أبرز ما يتميز به الإسلام فَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :{**إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الإسلام الْحَيَاءُ**} [٢].

وإذا استحكم خلق الحياء في نفس المسلم، صده عن كل قبيح وقاده إلى كل أمر حسن طيب، والحياء لا يأتي إلا بخير، أما إذا ضعف هذا الخلق فلن يحل محله إلا السفه والوقاحة والفحش، ويجد الإنسان نفسه أمام أبواب مفتوحة من السوء والمنكر فينزلق إليها.

وإذا كان الحياء من الناس حسنا، فإن الأحسن منه كثيرا أن يكون الحياء من الله تعالى لأنه يمنع الإنسان من المعاصي دائما، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :{**اسْتَحْيُوا مِنْ** الله **حَقَّ الْحَيَاءِ، قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ** الله **إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِله، قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنْ** الله **حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرْ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنْ** الله **حَقَّ الْحَيَاءِ**} [٣] (٤٨).

يقول فضيلة الدكتور عبد العظيم بدوي : هكذا بيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن حقيقة الحياء من الله تكون بمجموع هذه الأمور التي ذكرت في

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (م) ٣٦.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (هـ) وحسنه الألباني في ص.ج ٢١٤٩.

(٣) **(حسن)** أخرجه (ت)٣٧٩٠ وحسنه الألباني.

الحديث، وأن من ترك منها شيئا نقص حياؤه على قدر ما ترك منها.

وأول هذه الأمور: حفظ الرأس مجملا بالتنزه عن الشرك، فلا يضع رأسه لغير الله ساجدا، ولا يرفعه على عباد الله تكبرا، وتفصيلا: فحفظ الرأس معناه: أن يحفظ رأسه وما وعاه من الحواس كالفم واللسان، والعين والأذن. فحفظه الفم يكون باجتناب أكل الحرام وما فيه شبهة، وأكل الحرام يمنع قبول الدعاء، وأما اللسان فإمساكه عن الحرام والشر واجب، فبتجنبه الكذب، والغيبة، والنميمة، وشهادة الزور، وبه يكون القول على الله بغير علم، وكل ذلك من الموبقات، وأما العين فبحفظها عن النظر لما لا يجوز له النظر إليه، أما الأذن: فحفظها يكون بترك الاستماع إلى الخنا والفجور، وبترك الاستماع إلى القينات والمعازف، وبترك الاستماع إلى كل ما حرم الله الاستماع إليه، فإن المسلم مخاطب بتغيير المنكر إذا رآه أو سمعه، فإذا استمع الإنسان للمنكر ألفه قلبه، حتى لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا.

ويدخل في حفظ الرأس حفظه عن نظر من لا يجوز له النظر إليه، وأما حفظ الفم، فلا يدخل فيه حرام وما فيه شبهة.

وأما ما حواه البطن فالمراد به الفرج، وحفظ الفرج قد أمر الله به فقال:**{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا}** [النور:٣٠ - ٣١].

ومما يحزن القلب تساهل المؤمنات في الذهاب إلى الأطباء الرجال لأتفه الأسباب، وتمكينهم من الكشف على العورة المغلظة والنظر إليها ولمسها من غير ضرورة. فاتقين الله معشر المسلمات، واحفظن فروجكن، واعلمن أن الحياء والإيمان قرناء، إذا رفع أحدهما رفع الآخر!.

ومن حقيقة الاستحياء من الرب: ذكر الموت، لأن من ذكر أن مآله للموت والفناء، هان عليه ما فاته من اللذات العاجلة، وأهمه ما يلزم من طلب الآجلة، ومن أراد الآخرة أي الفوز بنعيمها ترك زينة الدنيا، ومدح الحافظين فروجهم فقال:**{وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً}** [الأحزاب:٣٥].

إخوتي في الله، هناك فرق كبير بين الخجل والحياء، فالخجل يعرّفه علماء النفس بأنه: ارتباك نتيجة موقف، كسؤال المعلم للطالب.. فتجد الطالب يخجل ولا يستطيع عرض رأيه بوضوح، فالخجل ناتج عن جبن، عن خوف.. فالشخصية الخجولة شخصية ضعيفة.. يرى حقه مهضوما ولا يطالب به، ولكن الحياء عكس ذلك تماما.. فإن الحياء ناتج عن شخصية قوية، شخصية تستشعر قيمتها فهي كريمة.. تستعلي أن تفعل القبائح (٤٨).

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ}** [(١)].

أي أن الإيمان يتكون من بضع وستين شعبة من تجمعت فيه صار مؤمنا، ونلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يذكر هذه الشعب ولكنه ذكر الحياء فقط.

سبحان الله!!! انها لدلالة صريحة على أن الحياء سيأخذ بيدك للبضع والستين شعبة، فإن كنت حييا انضبطت معك بقية الشعب (٤٨).

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{الحَياءُ والإيمان قُرناءُ جميعًا فإذا رُفِعَ أحَدهِمَا رُفِعَ الآخَرُ}** [(٢)]

سبحان الله!!! إنها دلالة صريحة على أن الحياء جزء أساسي من مكونات الإيمان، كما أنه قرين للإيمان إذا رفع أحدهما رفع الآخر.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٩، و(م) ٥٨ واللفظ لمسلم.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (ك) وصححه الألباني في صت ٢٦٣٦.

الدرس الحادي والخمسون:
الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، نحن على موعد مع زهد العابد سالم بن عبد الله بن عمر، يذكر أن أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك دخل الحرم ليطوف، فوجد سالم ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب يطوف بالبيت وحذاؤه بيده - وهو زاهدٌ عابد يقولون عنه: ثَمَّنَّا ما عليه فوجدناها بثلاثة عشر درهماً - فمر سليمان بالموكب ومعه الوزراء والأمراء، فلما رأى سالماً توقف واقترب منه ليُقَبِّل يده لأنه عالم الأمة، فسحبها، فقال له سليمان: يا سالم! أَلَكَ إليَّ حاجة؟ قال سالم: يا سليمان! أما تستحي من الله؟ أتعرض عليَّ المسائل في بيت الله؟ فتركه، فلما خرج عرض عليه السؤال، قال: أَلَكَ إليَّ حاجة؟ قال: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟ قال: بل من حوائج الدنيا، أما الآخرة فلا يملكها إلا الله، قال: والله الذي لا إله إلا هو، ما سألت حوائج الدنيا من الذي يملكها وهو الله، فكيف أسألها منك؟ (٥٧).

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ في معلقات صحيح البخاري كلمة تُسَجَّل بماء الذهب: ارْتَحَلَتْ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً وَارْتَحَلَتْ الآخِرَةُ مُقْبِلَةً وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ، وَلاَ تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلاَ حِسَابَ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلاَ عَمَلٌ.

وهذا مصداقا لقول الله تعالى:**{قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى}** [النساء:٧٧].

أخي الحبيب، قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة، وقال سفيان: الزهد في الدنيا قصر الأمل، أي: أن تشعر أن الدنيا ذاهبة وأن حياتك فيها قليلة، وذكر الإمام أحمد رحمه الله تعالى أيضًا في كتابه الزهد قال: الزهد على ثلاثة أنواع:

الأول: ترك الحرام: وهو زهد العوام.

الثاني: ترك الفضول من الحلال: وهو زهد الخواص.

الثالث: ترك ما يُشغل عن الله: وهو زهد أولياء الله العارفين بالله تعالى.

وقال أيضاً: الزاهد لا يفرح من الدنيا بموجود ولا يأسف منها على مفقود.

أي: إذا جاءه شيء من المال من الدنيا مثلاً لم يتعلق قلبه به، ويسيطر حب هذا الشيء على قلبه، وأيضاً إذا فاته شيء من الدنيا كأن يكون خسر مالاً، أو ذهب له ولد، لا ييأس ويتأسف التأسف المنهي عنه شرعاً، فنحن بشر والإنسان لا بد أن يسر إذا جاءه مال، ولا بد أن يشعر بشيء من الضيق ويشعر بشيء من الأسف إذا فاته شيء من الدنيا أو خسر.

لكن إلى أي درجة يكون الفرح بالمال؟ وإلى أي درجة يكون التأسف على فقده؟ فبعض الناس سروره بالمال طبيعي عادي حسب الفطرة التي في النفس، فالنفس مجبولة على حب المال والسرور بكسبه، فالإنسان إذا ذهب يقبض الراتب يكون مسروراً في قبض الراتب، فإذا فلس في آخر الشهر صار فيه نوع من الغم طبيعي، لكن إلى أي وضع هو يكون مسروراً بالمال؟ كأنه يريد أن يأكله أكلاً، كما فعل ذلك البخيل لما أقبل على الموت أكل المال حتى لا ينتفع به غيره، هذا غير طبيعي.

وقيل للإمام أحمد رحمه الله تعالى : أيكون الرجل زاهداً ومعه ألف دينار؟ قال: نعم، شريطة ألا يفرح إذا زادت ولا يحزن إذا نقصت، بمعنى: أن قلبه غير متعلق بالمال، فإذا زادت لا يشعر كأنه صلى ألف ركعة، وإذا نقصت يغتم كأنه وقع في المعاصي، وإلا صار عنده المال أهم من الدين.

فمثلا: شخص عنده تجارة، كيف يعرف أنه زاهد أم لا؟

إذا رأى أن التجارة تشغله عن طاعة الله، ويؤخر صلوات، ويتأخر عن المساجد، وعن دروس العلم والحلق والإخوة في الله، وصار إنساناً دنيوياً، فهو ليس بزاهد.

وإذا رأى أن التجارة لم تقطعه عن العبادة، ولا عن المسجد، والإخوة في الله، وحلق العلم، ويعطي الزكاة والصدقات ويتصدق، وكلما جاءه فقير أعطاه، ويعطي للمجاهدين ولبناء المساجد..الخ، فهو زاهد.

فالزهد ألا يفرح من الدنيا بموجود، ولا يأسف منها على مفقود، كما قال

تعالى:{**لِكَيْلا تَأسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ**} [الحديد:٢٣] أي: أن الله عز وجل كتب كل المصائب في اللوح المحفوظ:{**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى** الله **يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ**} [الحديد:٢٢ - ٢٣] أي: من قبل أن نخلقها في الأرض، لماذا؟ ما هو السبب والحكمة؟ لأنك لو كنت مؤمناً وموقناً بأن هذا مكتوب عند الله قبل أن يحدث لك، سواء جاءك لا تطير به فرحاً، كأنه هو كل شيء، ولو فقدته فلا تنزل فيه غمرات اليأس، لأنه ليس كل شيء، وهو أمر مكتوب ومقدر ومقضي، انتهى وقضي الذي في الكتاب، شيء قد قضاه الله عز وجل، فلا تفرح به أكثر مما يجب شرعاً، ولا تغتم لفقده أكثر مما يصلح شرعاً (٦٤).

والأحاديث في ذم الدنيا وفضل الزهد كثيرة جداً، ومن أروع أحاديث الزهد الحديث الذي أخرجه البخاري وغيره عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رضى الله عنه قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم بِمَنْكِبِي:{**فَقَالَ كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**}، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضى الله عنه يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرْ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ[1].

وَعَنْ عَبْدِ الله بِنْ مَسعُودٍ رضى الله عنه قَالَ: نَامَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ الله: لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً - أي غطاء -؟

فَقَالَ:{**مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا؟! مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا**}[2].

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضى الله عنه قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي الله وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :{**ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ**

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٥٩٣٧.

(٢) **(صحيح لغيره)** أخرجه (ت هـ) وصححه الألباني في صت ٣٢٨٢.

الله وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّوكَ}[١].

معاشر الإخوة، الزهد أقسام:

الأول: زهد في الحرام، وهو فرض عين.

الثاني: زهد في الشبهات، وهو بحسب مراتب الشبهة، فإن قويت ألحقت بالقسم الواجب، وإن ضعفت كان تركها مستحباً، والزهد فيها أولى.

الثالث: الزهد في الفضول: يعني في المباحات، الأشياء الزائدة عن الإنسان أي: الترفيهيات والكماليات.

الرابع: زهد فيما لا يعني من الكلام. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ:قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ}**[٢].

الخامس: الزهد في التطفل، فيقول من أين جئت؟ وإلى أين سوف تذهب؟ ومن كان معك؟ ومن كنت تكلم قبل قليل؟ ومن ومن؟ فَعَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم :**{إِنَّ الله حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَمَنَعَ وَهَاتِ وكَرِهَ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ}**[٣].

السادس: الزهد في المدح والثناء، فلا يطلب المدح والثناء، بل يزهده.

السابع: الزهد بالنفس في المعركة وفي قتال المشركين مثلاً.

الثامن: وهو أفضلها وأهمها: إخفاء الزهد (٦٤).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) **(صحيح)** أخرجه (هـ) ٤٠١٢ وصححه الألباني

(٢) **(صحيح)** أخرجه (ت هـ) وصححه الألباني في ص.ج ٥٩١١.

(٣) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٢٢٧٧، و(م) ٥٩٣.

الدرس الثاني والخمسون:
طلب العلم الشرعي

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة رجل من بني إسرائيل قتل تسعة وتسعين نفسا وأراد أن يتوب، أخرج مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضى الله عنه أَنَّ نَبِيَّ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ:**{كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ: لَا فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ، انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ الله فَاعْبُدْ الله مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ: مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى الله، وَقَالَتْ: مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى، فَهُوَ لَهُ فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ قَالَ قَتَادَةُ فَقَالَ الْحَسَنُ ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ}** (١).

من هذه القصة يتضح لنا فضل العلماء على العُبَّاد، فالعابد قال لهذا الرجل الذى قتل تسعا وتسعين نفسا: ليس لك توبة فآيسه من رحمة الله جل وعلا، والعالم قال له: ومن يحول بينك وبين التوبة؟ فكان سببا في مغفرة الذنوب لهذا القاتل، وهذا مصداقا لقول الله تعالى: **{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ (٩)}** [الزمر:٩].

(١) **(صحيح)** أخرجه (م) ٢٧٦٦.

معاشر الإخوة، قال فضيلة الدكتور صالح الفوزان في كتاب (أثر العلم الشرعي في مواجهة العنف والعدوان): كثير ممن يرتكبون الكبائر، ويسرفون على أنفسهم بالمعاصي، أو يتساهلون بظلم العباد وبخسهم حقوقهم، لا يعلمون أن فعلهم هذا من المحرمات الكبائر، وإن عرفوا تحريمه فإنهم لا يدركون العواقب السيئة في الدنيا وفي الآخرة، فيتساهلون في فعله، ولو علموا ما ورد في هذا المنكر من الوعيد والعذاب الشديد، لما ارتكبوه أو أصروا عليه، ومما سبق يتبين لنا أمران مهمان:

أولا: حاجتنا بل اضطرارنا إلى معرفة الحق وطلب العلم الشرعي؛ فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ}**(١).

وهذا يشمل كل علم يتوقف عليه القيام بالواجب أو ترك المحرم، فتعلمه فرض عين على كل مسلم مكلف، أما ما زاد على ذلك من العلوم الشرعية أو الدنيوية التي تحتاجها الأمة، فهذه تعلمها فرض كفاية، إذا قام بها من يكفي من سائر أمة الإسلام، وسدت بهم حاجة الأمة، فقد حصل المقصود، وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الاشتغال بالعلم تعلمًا وتعليمًا أفضل من الاشتغال بنوافل العبادات التي يقتصر نفعها على صاحبها، وأن من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع، ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، وبين الفرق الواسع بين العالم البصير والعابد الجاهل، فقال:**{مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا؛ سَلَكَ الله بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا؛ رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السماوات وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ}**(٢).

ثانيا: وجوب الحذر من الأئمة المضلين، والجهلة المتعالمين، والمتصدرين

(١) **(صحيح)** أخرجه (طص خط) وصححه الألباني في ص.ج ٣٩١٣.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (حم ٤ حب) وصححه الألباني في ص.ج ٦٢٩٧.

للفتوى وليسوا من أهلها، ولهذا أمرنا الله تعالى بسؤال أهل الذكر فقال: **{فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}** [الأنبياء: ٧].

وأهل الذكر هم العلماء الراسخون، الذين شهدت لهم الأمة بالعلم والإمامة في الدين، أما أدعياء العلم، والمتطفلون على موائد العلماء، فليسوا أهلاً لأن يستفتوا ويصدر عن رأيهم، وخصوصًا في الأمور العامة التي تمس مصالح الأمة.

إخوتي في الله، هناك أسباب متعددة لتفضيل العالم البصير على العابد الجاهل، نذكر منها:

١ ـ **أن العالم أعرف بالله** عز وجل **وحقوقه**، وأكثر محبةً له وتعظيمًا لجنابه، ورجاء لثوابه، وخوفًا من عقابه، فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف، ولهذا قال ربنا سبحانه:**{إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}** [فاطر: ٢٨].

٢ ـ **أن العلم النافع يعصم صاحبه بتوفيق الله من الانحراف والضلال**، ويحميه من الوقوع في البدع والمحدثات، بخلاف العابد الجاهل، فإنه قد يقع في شيء من هذه المخالفات بسبب جهله، وربما يتقرب إلى الله بما لم يأذن به الله، ويشركون بالله تعالى، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

٣ ـ **أن العلم نور يهدي إلى الحق**، وينير الطريق للسالكين، وبه يُميَّز بين الإيمان والكفر، والمصلحة والمفسدة، والخير والشر، ولهذا أمرنا ربنا عز وجل بالرجوع إلى العلماء الربانيين في الأمور التي تهم الأمة.

٤ ـ **أن عمل العابد مهما عظم**، فإن نفعه قاصر على نفسه، بخلاف العالم فنفعه متعدٍ إلى غيره (٣).

معاشر الإخوة، إن تاريخنا مليء بالنماذج المشرفة لأهل التربية والهمم العالية، فهذا سفيان بن سعيد الثوري رحمه الله تعالى يقول: دعتني أمي، وكانت ذات همة وحرص على العلم، فقالت: يا بني**!** إن لدي همة لجمع العلم، وإني امرأة لا أستطيع أن أغشى مجالس الرجال، ولكني سأكفيك أمر الدنيا بمغزلي، وتكفيني أنت أمر العلم، فكانت تلك المرأة ذات مغزل فتبيع ما غزلته من الصوف، وتنفق به على ولدها، وتغدق عليه الأموال التي

يتزود به لأسفاره، ويجمع بها الكتب، ويستطيع بها التفرغ لطلب العلم، فاشتركا في الأجر: فالمرأة تغزل الصوف وتبيعه، والرجل تفرغ لطلب العلم حتى أصبح إماماً من أئمة المسلمين.

وكذلك مالك بن أنس رحمه الله تعالى يقول: دعتني أمي، وكنت أشتغل بضرب العود، أي بتعلم الغناء في ذلك الوقت وهو صغير، فقالت: يا بني! إنها حرفة لا تصلح لك، فعممتني بعمامة، وكستني ثوباً أبيض، وأعطتني صرة من الدراهم، وقالت: اذهب إلى المسجد فلا ترجع إليَّ حتى تكون رأس الحلقة. وهذا ربيعة بن فروخ وهو ربيعة بن أبي عبد الرحمن شيخ الإمام مالك، الذي اشتهر بـ ربيعة الرأي، ما رباه إلا أمه، فإن أباه خرج في الغزوة فمكث أربعاً وعشرين سنة في غزوة من الغزوات، وقد ترك ولده حملاً، فلما رجع وقفل من غزوته جاء إلى بيته فاستقبله رجل، فدخلا في عراك حتى عرف أنه ولده الذي تركه حملاً، وإذا هو عالم المدينة إذ ذاك دون منافس، فسأل امرأته عن المال الذي تركه عندها، قالت: أنفقته على ولدك حتى أصبح عالم المدينة.

وهذا أبو يوسف القاضي كان ذكياً وكان أبوه يحرص على تعليمه بعض المهن الدنيوية، يريد أن ينال من ورائه كسبا مادياً، فكان يمر على حلقة أبي حنيفة فيسمعه يناظر في الفقه فتعجبه المناظرة، فيجلس إليه، فرآه أبو حنيفة فأعجب به، فامتحنه، فأعجب بذكائه، فقال: اجلس إليّ حتى تحمل عني بعض هذا العلم الذي لديَّ فقال: إن أبي يمنعني ذلك، فقال: وما حاجة أبيك إليك، قال: يريد مالاً، فقال أبو حنيفة: أنا أكفيك ذلك، فكان أبو حنيفة يعطيه مالاً يقدمه لأبيه كل شهر، ويجلسه هو في مجلسه يتعلم، حتى أصبح الناس يقولون عن أبي يوسف: صورة طبق الأصل من أبي حنيفة (٦١).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس الثالث والخمسون:
التجارة الرابحة ذكر الله تعالى

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة لسليمان بن داود عليهما السلام في (حلية الأولياء)، فعن وهب بن منبه قال: كان لسليمان بن داود عليهما السلام ألف بيت أعلاه قوارير، وأسفله حديد، فركب الريح يوما فمر بحراث، يحرث فنظر إليه الحراث - أي الفلاح - فقال: لقد أوتي آل داود ملكا عظيما، فحملت الريح كلامه فألقته في أذن سليمان عليه السلام قال: فنزل حتى أتى الحراث وقال: إني سمعت قولك وإنما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه، لتسبيحة واحدة يتقبلها الله تعالى منك خير مما أوتي آل داود، فقال الحراث: أذهب الله همك كما أذهبت همي (٢٤).

لقد أمرنا الله عز وجل بذكره كثيرا بكرة وعشيا عند الصباح والمساء، وأدبار الصلوات المفروضات، وعند العوارض والأسباب قال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا الله ذِكْراً كَثِيراً (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً(٤٢)**} [الأحزاب: ٤١ - ٤٢].

إخوتي في الله، اذكروا الله ذكرًا كثيرًا وسبحوه بكرة وأصيلاً، كونوا من أولي الألباب الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، كونوا من الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب وتنفرج الكروب، بذكر الله يحصل النصر ويثبت القلب في مواطن الفزع، ولذلك أمر الله تعالى بذكره عند مقابلة الأعداء في الحرب فقال:{**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا الله كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**} [الأنفال: ٤٥]، إنَّ ذِكْرَ الإنسان ربه يملأ قلبه سرورًا ويكسو وجهه نورًا ويذكره الله به، يقول الله تعالى في القرآن الكريم:{**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ**} [البقرة: ١٥٢].

ويقول تعالى في الحديث القدسي الذي رواه النبي صلى الله عليه وسلم عنه:{**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ**} (١)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم :{**سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ**} **قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ** الله؟ **قَالَ**:{**الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ**} (٢)، وقال
النبي صلى الله عليه وسلم :{**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ**} (٣).

فاتقوا الله عباد الله وأكثروا من هذه المكاسب العظيمة بأعمال يسيرة، أكثروا من ذكر الله عز وجل بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم، ليكن ذكر الله تعالى في قلوبكم قيامًا وقعودًا وعلى جنوبكم كونوا متذكرين دائمًا لعظمته وجلاله وكمال أسمائه وصفاته وأفعاله، واعلموا أن كل قول من الخير تريدون به وجه الله فهو من ذكر الله. اذكروا الله تعالى بجوارحكم بفعل الطاعات وترك المعاصي فإن كل فعل أو ترك تقومون به طاعة لله وتقربًا إليه فهو من ذكر الله. أكثروا من ذكر الله تعالى ولا تكونوا ممن أغفل الله قلبه عن ذكره واتبع هواه وكان أمره فرطًا. أكثروا من ذكر الله قبل أن يحال بينكم وبينه إما بالموت أو بالعجز أو بحرمانكم منه عقوبة على غفلتكم.

أخي المسلم، لا يشغلنك عن ذكر الله مال ولا بنون فإنما:{**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**} [الكهف:٤٦]، والباقيات الصالحات كل عمل صالح وعلى رأسها قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وذِكر الله تعالى غنيمة وربح، وإن الغفلة عن ذكره غرم وخسارة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:{**مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً** - أي

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٦٩٧٠و (م) ٢٦٧٥ واللفظ للبخاري.
(٢) **(صحيح)** أخرجه (م) ٢٦٧٦.
(٣) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٦٠٤٤.

النقص والحرمان -؛ **فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ}** (١).

وللذكر فوائد كثيرة نذكر منها ما يلي:

١ - **ذِكر الله يرضي الرحمن ويطرد الشيطان،** فعن جَابِرٍ بْنِ عَبْدِ الله رضى الله عنه يَقُولُ إِنَّهُ: سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:{**إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: مَا مِنْ مَبِيتٍ وَلَا عَشَاءٍ هَاهُنَا، وَإِذَا دَخَلَ وَلَمْ يَذْكُرْ الله عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمْ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ}** (٢).

٢ - **الذّكر يرفع ميزان العبد يوم القيامة،** فعَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :{**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِله تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ** الله، **وَالْحَمْدُ لِله تَمْلَآنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}** (٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ:قَالَ النبي صلى الله عليه وسلم :{**لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ** الله، **وَالْحَمْدُ لِله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَالله أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ}** (٤).

٣ - **ذكر الله يحفظ الأوقات ويجمع الشتات.**

٤ - **ذِكْر الله يجلب أعظم الفوائد ويعين على الشدائد،** فعند المصيبة تقول: إنا لله وإنا إليه راجعون! هذه تعينك على الشدائد وتجمع لك أعظم الفوائد.

٥ - **الذّكر أسهل الأعمال وأشرف الخصال،** ما أسهل الذكر! وأنت على فراشك يمكن أن تسبق الصائم المنفق والمصلي؛ فاذكر الله بحضور قلب.

٦ - **الدوام على ذكر الله حصن وحبل من الحق متين فلا تأتيك الوساوس،** وما ظهرت الأمراض النفسية وفتحت المستشفيات إلا من قلة ذكر الذاكرين وإعراضهم عن الوضوء والصلاة، وقراءة القرآن وأذكار

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (ت) وصححه الألباني في مش ٢٢٧٤.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (حم م د هـ) وصححه الألباني في ص.ج ٥١٩.

(٣) **(صحيح)** أخرجه (م) ٢٢٣.

(٤) **(صحيح)** أخرجه (ت) ٣٥٩٧ وصححه الألباني.

الصباح والمساء.

٧ - **التعود على الذّكر يكسو الوجه الاطمئنان والوقار**، قال تعالى: **{الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}** [الرعد:٢٨].

ومن علامات الإيمان كثرة ذكر الله تعالى، فاشغلوا ألسنتكم بذكر الله، جاء رجل إلى الحسن البصري رحمه الله تعالى، فقال له: إني تاجرت فخسرت، قال: عليك بالاستغفار! ثم جاءه آخر، فقال له: إني عقيم لا يولد لي، فقال له: عليك بالاستغفار! ثم جاءه ثالث، فقال: إن بلادنا قد وقف عنها المطر وقحطت وأجدبت الأرض، قال: عليكم بالاستغفار! فقال له رجل: يا أبا سعيد: شكوا إليك أمراضاً شتى، وذكرت لهم دواءً واحداً! قال: إن الله تعالى يقول:**{فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً(١٢)}** [نوح:١٠ - ١٢]. وعَنْ زَيْدٍ مَوْلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم :**{مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنْ الزَّحْفِ}** [(١)].

وكذلك فإن للصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلاً عظيماً فَعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ، وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ}** [(٢)]. وأفضل صيغة للصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم هي الصلاة الإبراهيمية في التشهد الأخير، ويستحب الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عقب الآذان، وأول الدعاء وأوسطه وآخره، وفي صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية، وعند ذكررسول الله صلى الله عليه وسلم، وعند الدخول والخروج من المسجد، ويوم الجمعة وليلتها، وعند القيام من المجلس، وفي خطبة النكاح، وفي خطبة الجمعة والعيدين والاستسقاء، وعند الكرب والهم، وعند ختم الكلام...

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (ت) ٢٨٣١ وصححه الألباني.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (حم خد ن ك) وصححه الألباني في ص.ج ٦٣٥٩.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس الرابع والخمسون:
سلاح غفل عنه المؤمنون ألا وهو الدعاء

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة ذكرها ابن كثير في تفسيره ذكر فيها: أن رجلاً حكى عنه أبو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالدقي الصوفي قال هذا الرجل: كنت أكاري - أحمل الناس بالأجرة - على بغل لي من دمشق إلى بلد الزبداني، فركب معي ذات مرة رجل فمررنا على بعض الطريق على طريق غير مسلوكة فقال لي: خذ في هذه - أي اسلك هذه الطريق - فإنها أقرب، فقلت: لا خبرة لي فيها، فقال: بل هي أقرب، فسلكناها فانتهينا إلى مكان وعر وواد عميق وفيه قتلى كثيرة فقال لي: أمسك رأس البغل حتى أنزل، فنزل وتشمر وجمع عليه ثيابه وسل سكيناً معه وقصدني، ففررت من بين يديه وتبعني، فناشدته الله وقلت: خذ البغل بما عليه، فقال هو لي: وإنما أريد قتلك، فخوفته الله والعقوبة فلم يقبل، فاستسلمت بين يديه وقلت: إن رأيت أن تتركني حتى أصلي ركعتين فقال: عجل، فقمت أصلي فأرتج عليَّ القرآن فلم يحضرني منه حرف واحد، فبقيت واقفاً متحيراً وهو يقول: هيه افرغ، فأجرى الله على لساني قوله تعالى:**{أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ}** [النمل:٦٢]، فإذا أنا بفارس قد أقبل من فم الوادي وبيده حربة فرمى بها الرجل فما أخطأت فؤاده فخر صريعاً، فتعلقت بالفارس وقلت: بالله من أنت؟ فقال: أنا رسول الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، قال: فأخذت البغل والحمل ورجعت سالماً. ولا عجب فمن توكل على الله ومن التجأ إلى الله أجاب دعاءه وحفظه ولو كادته السماوات والأرض لجعل الله له من ذلك فرجا ومخرجا.

معاشر الإخوة، سلاح عظيم غفل عنه المؤمنون، لن يهلك معه أحد بإذن الله، إنه الدعاء، الالتجاء إلى رب الأرض والسماء، قال تعالى:**{وَإِذَا سَأَلَكَ**

عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ(١٨٦)} [البقرة: ١٨٦].

قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: إن أعرابيًا قال: يا رسول الله، أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فسكت النبي صلى الله عليه وسلم، فنزلت الآية، وقال ابن جُرَيج عن عطاء: أنه بلغه لما نزلت:**{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}** [غافر: ٦٠]، قال الناس: لو نعلم أي ساعة ندعو؟ فنزلت:**{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}** [البقرة:١٨٦]، وعَنْ أَبِي مُوسَى رضى الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فِي غَزَاةٍ فَجَعَلْنَا لاَ نَصْعَدُ شَرَفًا - أي موضعا مرتفعا يشرف على ما حوله - وَلاَ نَعْلُو شَرَفًا وَلاَ نَهْبِطُ فِي وَادٍ إِلاَّ رَفَعْنَا أَصْوَاتَنَا بِالتَّكْبِيرِ قَالَ: فَدَنَا مِنَّا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم فَقَالَ:**{يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَرْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَ** الله **بْنَ قَيْسٍ أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَةً هِيَ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ** - أي إن قولها يحصل به ثوابا نفيسا في الجنة -} [(١)].

وللدعاء فضائل جمة نذكر منها :

١ - **الدعاء سبب لدفع غضب الله،** فَعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{مَنْ لَمْ يَسْأَلْ الله يَغْضَبْ عَلَيْهِ}** [(٢)].

٢ - **الدعاء سبب لرفع البلاء بعد نزوله،** فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{مَنْ فُتِحَ لَهُ مِنْكُمْ بَابُ الدُّعَاءِ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ، وَمَا سُئِلَ الله شَيْئًا يَعْنِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ الْعَافِيَةَ}** [(٣)].

ولقبول الدعاء عدة شروط نذكر منها:

١ - **الإخلاص** قال تعالى:**{فَادْعُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ**

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٦٢٣٦.
(٢) **(حسن)** أخرجه (ت) ٣٣٧٣ وحسنه الألباني.
(٣) **(صحيح)** أخرجه (ت) ٣٥٤٨ وصححه الألباني.

الْكَافِرُونَ (١٤)} [غافر:١٤].

٢ ـ **تحري الحلال في المطعم والمشرب والملبس،** فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الله طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ الله أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ** فَقَالَ:**{يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}** وَقَالَ:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ}** (١).

٣ ـ **عدم الاستعجال،** فكثير من الناس يتوقع أن الله سوف يستجيب الدعاء في التو واللحظة، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه : عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ:
{لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ} قِيلَ: يَا رَسُولَ الله مَا الِاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ:**{يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي؛ فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ}** (٢).

٤ ـ **الدعاء بالمباح،** فَعن عُبَادَةِ بْنِ الصَّامِتِ رضى الله عنه قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : **{مَا عَلَى الْأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو الله بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتَاهُ الله إِيَّاهَا أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنْ السُّوءِ مِثْلَهَا، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ}** فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ: إِذًا نُكْثِرُ، **قَالَ:{الله أَكْثَرُ}**(٣).

٥ ـ **الإكثار من دعاء الله تعالى في الرخاء.** فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ الله لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرْبِ فَلْيُكْثِرْ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ}** (٤).

إخوتي في الله، للدعاء آداب نذكر منها:

١ ـ **دعاء الله بأسمائه الحسنى،** قال تعالى:**{وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (م) ١٠١٥.
(٢) **(صحيح)** أخرجه (م) ٢٧٣٥.
(٣) **(صحيح)** أخرجه (ت) وصححه الألباني في صت ١٦٣١.
(٤) **(حسن)** أخرجه (ت طب حكم) وحسنه الألباني في ص.ج ٦٢٩٠.

فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ} [الأعراف:١٨٠].

٢ ـ **الإلحاح في الدعاء والعزم في المسألة**، فَعَنْ أَنَسٍ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمْ الْمَسْأَلَةَ، وَلَا يَقُولَنَّ: اللهمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي فَإِنَّهُ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ}**[1].

٣ ـ **عدم التعدي في الدعاء:** قال الله تعالى:**{ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}** [الأعراف:٥٥]، والتعدي شيء يخالف الشرع مثل: أن يدعو العبد أن يكون نبياً من الأنبياء، أو يدعو الله أن يرزقه الله الولد وهو ليس بمتزوج.

٤ ـ **توخي الأوقات الفاضلة**، مثل الدعاء في ليلة القدر، وجَوْفِ الليلِ الآخِرِ، ودُبْرَ الصلاةِ المكتوبةِ، وبين الأذان والإقامة، وعِندَ نُزُولِ الغيثِ، وساعة من يومِ الجُمْعَة، وعند شُرب ماءِ زمزم مع النيِّةِ الصادقةِ، وعند السجودِ، والدُّعاءِ بعد الثناء على الله والصلاة على النبي في التشهُّد الأخير، والدُعاءِ يوم عَرَفَةَ في عَرَفَة، دُعاءِ المظلوم على من ظلمهُ، ودعاءِ المسافِر، ودُعاءِ الصائمِ حتَّى يُفْطِرَ وعِنْدَ فِطْرِهِ، ودعاءِ المُضطرِّ.

٥ ـ **ترك السجع والتكلف**، وتجنب ما يفعل البعض في دعاء القنوت.

٦ ـ **الدعاء بجوامع الأدعية:** ومن الأدعية الجوامع: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، اللهم إني أسألك العفو والعافية، اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

٧ ـ **الإسرار في الدعاء وعدم رفع الصوت**، يقول عز من قائل في الذكر: **{وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً}** [الأعراف:٢٠٥] (٥٧).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٥٩٧٩، و(م) ٢٦٧٨ واللفظ للبخاري.

الدرس الخامس والخمسون:
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع الشيخ العز بن عبد السلام وسلطان مصر، قال التاج السبكي: سمعت الشيخ الإمام يقول: سمعت شيخنا الباجي يقول: طلع شيخنا عز الدين مرة إلى السلطان في يوم عيد إلى القلعة. فشاهد العساكر مصطفين بين يديه، ومجلس المملكة، وما السلطان فيه يوم العيد من الأبهة، وقد خرج على قومه في زينته على عادة سلاطين الديار المصرية، وأخذت الأمراء تقبل الأرض بين يدي السلطان، فالتفت الشيخ إلى السلطان وناداه، يا أيوب، ما حجتك عند الله إذا قال لك: ألم أبوئ لك ملك مصر ثم تبيح الخمور؟ فقال: هل جرى هذا؟ فقال: نعم، الحانة الفلانية يباع فيها الخمور، وغيرها من المنكرات، وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة - كان يناديه بأعلى صوته، والعساكر واقفون - فقال: ياسيدى هذا أنا ما عملته، هذا من زمان أبي، فقال أنت من الذين يقولون{**بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ (٢٢)**} [الزخرف: ٢٢]، فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة (٣٩).

وقد بين الله تعالى عظم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مواطن كثيرة في كتابه، فقال تعالى:{**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ(٧٩)**} [المائدة ٧٨ - ٧٩].

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضى الله عنه أَنَّهُ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَؤُونَ هَذِهِ الآيَةَ{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**} [المائدة:١٠٥]، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:{**إِنَّ النَّاسَ**

إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمْ الله بِعِقَابٍ مِنْهُ} [(١)].

حيث يظهر لبعض الناس أن معنى قوله:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ}** [المائدة:١٠٥] أي: أقيموا أمر الله في نفوسكم، والتزموا أوامر الله ولا عليكم من الآخرين، وهذا خطأ، فإن معنى:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ}** [المائدة:١٠٥] أي: إذا أمرتم بالمعروف، ونهيتم عن المنكر، فلا يأتيكم ضرر إذا وقع العذاب**{لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ}** [المائدة:١٠٥]، أي: بعد أن تأمروا وتنهوا.

وهذا مصداقا لقول الله تعالى:**{وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ(١٦٥)}** [الأعراف١٦٤ - ١٦٥]

وهاتان الآيتان نزلتا في جماعتين من بني إسرائيل يقول الله تعالى: واذكر - أيها الرسول - إذ قالت جماعة منهم - أي من بني إسرائيل - لجماعة أخرى كانت تعظ المعتدين في يوم السبت، وتنهاهم عن معصية الله فيه: لِمَ تعظون قومًا الله مهلكهم في الدنيا بمعصيتهم إياه أو معذبهم عذابا شديدًا في الآخرة؟ قال الذين كانوا ينهَوْنهم عن معصية الله: نَعِظهم وننهاهم لِنُعْذَر فيهم، ونؤدي فرض الله علينا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورجاء أن يتقوا الله، فيخافوه، ويتوبوا من معصيتهم ربهم وتعذِّيهم على ما حرَّم عليهم. فلما تركت الطائفة التي اعتدت في يوم السبت ما ذُكِّرت به، واستمرت على غيِّها واعتدائها فيه، ولم تستجب لما وَعَظَتْها به الطائفة الواعظة، أنجى الله الذين ينهون عن معصيته، وأخذ الذين اعتدَوْا في يوم السبت بعذاب أليم شديد؛ بسبب مخالفتهم أمر الله وخروجهم عن طاعته.

وقال تعالى:**{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ}** [آل عمران:١١٠]، فهذه الآية الكريمة أفادت معنيين: الأول خيرية هذه الأمة - أي أمة الإسلام -، والثاني: أنها حازت هذه الخيرية لقيامها بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي

---

(١) **(صحيح)** (د ت هـ) وصححه الألباني في ص. ج ١٩٧٣

وظيفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسل الله جميعاً، وأول ما يدخل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الدعوة الى الله وحده والبراءة من الشرك بأنواعه، بل إن القرآن الكريم جعل من صفات المؤمنين الدعوة إلى الله، بخلاف المنافقين الذين يصدون عن سبيل الله ويدعون إلى غيره، وقال تعالى:{**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ**} [التوبة: ٦٧]، ثم قال تعالى بعد ذلك:{**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**} [التوبة:٧١]، قال القرطبي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية الكريمة: فجعل الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فارقا بين المؤمنين والمنافقين، فدل على أن أخص أوصاف المؤمنين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورأسها الدعوة إلى الإسلام (٢٨).

وأخرج الترمذي عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضى الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:{**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنْ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ الله أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُم**} (١).

وَعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ رضى الله عنه : سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ:{**مَنْ رَأى مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**} (٢).

ويختلف تطبيق هذا الحديث مع أصناف الناس المختلفة، فمن رأى منكم منكراً فليغيره بيده، هذا لأهل السلطة التنفيذية، للقضاة والأمراء، لمن في يدهم سوط وسيف، فهذا القسم لهم فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه وهذا للدعاة وللعلماء وطلبة العلم، فمن لم يستطع فبقلبه وهذا للذي لا يملكون حجة وبياناً ولا سيفاً ولا سناناً، فهم: ليسوا من العلماء والدعاة،

ولا من الأمراء والقضاة، فعلى هؤلاء أن ينكروا بقلوبهم.

أخي الحبيب، يلزم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر توافر عدة أمور منها:

(١) (**حسن**) أخرجه (ت) ٢١٦٩ وحسنه الألباني

(٢) (**صحيح**) أخرجه (حم م ٤) وصححه الألباني في ص.ج ٦٢٥٠

الأول: العلم بـالمعروف والمنكر، ولا يُعْلم المعروف والمنكر إلا بالكتـاب والسنة.

الثاني: الحكمة في الأمر والحكمة في النهي، مثل من يريد تغيير منكر فيجر على الأمة سفك الدماء، واختلاف الكلمة، وتشتيت الأطفال، وتشريد النساء، فهذا قد أساء وليس بحكيم، بل الأحسن إبقاء المنكر كما هو.

الثالث: تحصيل المصلحة من الأمر والمصلحة من النهي، ولا تكون المصلحة أقل بل تكون أعظم، فإذا علمت أن هؤلاء يعودون من الضلالة إلى الهدى، ويصلح حالهم فلك أن تأمرهم، أما إنسان يأمر بعض الناس، ويعلم أنه سوف يزداد شراً وخبثاً فالمصلحة ألا تأمر ولا تنهى.

الرابع: التدرج في المأمورات والمنهيات، فمثلاً عند أَمْرِك بـالمعروف ونهيك عن المنكر تبدأ أولاً بالعقيدة، وبالفرائض، لا يصح أن نأتي إلى مجتمع لا يقيم الصلوات، فندعوه إلى تربية اللحى.

الخامس: ألا يخالف الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر قوله فعله يقول سُبحَانَهُ وَتَعَالَى عن شعيب عليه السلام:**{وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْأِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}** [هود:٨٨]، لكن لِيُعلم أن هذا يحتاج إلى شيء من التفصيل: وهي قضية أنه لا يلزمك أن تفعل النوافل التي تقولها، ويلزمك أن تفعل الفرائض التي تقولها للناس، فلا يلزم الداعية النوافل التي يقولها للناس أن يفعلها جميعاً لأنه قد لا يستطيع، مثل ماذا؟ مثل أن تأمر الناس بالصدقة قد لا يكون عندك عشاء ليلة، فمن أين تتصدق؟ وهذا لا يمنعك عن دعوتهم إلى الصدقة، أما الفرائض فلا، قال تعالى:**{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ}** [البقرة:٤٤] (٥٧).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس السادس والخمسون:
الدعوة إلى الله

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة الشيخ عبد الحميد الجزائري رحمه الله كما ورد في (تاريخ الجزائر): أن المندوب الفرنسي أيام الاستعمار كان يقول بكل صراحة: جئنا لطمس معالم الإسلام، واستدعى الشيخ عبد الحميد وقال له: إما أن تقلع عن تلقين تلاميذك هذه الأفكار، وإلا أرسلت الجنود لقفل المسجد وإخماد أصواتكم المنكرة، فقال الشيخ بثبات المؤمن: إنك لن تستطيع فاستشاط غضبا وأرغى وأزبد وقال: كيف؟!

قال: إن كنت في حفل عرس علمت المحتفلين، وإن كنت في اجتماع علمت المجتمعين، وإن ركبت سيارة علمت الراكبين، وإن ركبت قطارا علمت المسافرين، وإن دخلت السجن أرشدت المسجونين، وإن قتلتموني ألهبتم مشاعر المسلمين، وخير لكم، ثم خير لكم ألا تتعرضوا للأمة في دينها، فوالله لا نقاتلكم إلا بهذا الدين، ووالله لا نقاتلكم إلا لهذا الدين.

أخي الحبيب، الداعي الأول إلى الله تعالى، هو رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى:**{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً (٤٥) وَدَاعِياً إِلَى** الله **بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً(٤٦)}** [الأحزاب ٤٥ - ٤٦] (٦).

كما أن المكلف بالدعوة إلى الله هو كل مسلم ومسلمة، لأن الأمة الإسلامية تتكون منهم، فكل بالغ عاقل من الأمة الإسلامية، ذكراً كان أو أنثى، فلا يخص هذا الأمر العلماء وفقط، أو كما يسميهم بعضهم أو بعض الناس رجال الدين، لأنه واجب على الجميع، وإنما يختصون بتبليغ تفاصيله وأحكامه ومعانيه نظراً لسعة علمهم به ومعرفتهم بجزئياته. ويزيد الأمر وضوحاً وهو أن المكلف بالدعوة إلى الله تعالى هو كل مسلم ومسلمة، والدليل على ذلك قول ربنا جل جلاله:**{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى الله عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ الله وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(١٠٨)}**

[يوسف:١٠٨]، فأتباع الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمنون به، يدعون الى الله على بصيرة أي علم ويقين، كما كان رسولهم صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الله على بصيرة ويقين، فالعلم شرط من شروط الدعوة إلى الله، ولكن العلم ليس شيئاً واحداً لا يتجزأ ولا يتبعض وإنما هو بطبيعته يتجزأ، فمن علم مسألة وجهل أخرى فهو عالم بالأولى جاهل بالثانية، ومعنى ذلك أن يعد من جملة العلماء بالمسألة الأولى، وبالتالي يتوفر فيه شرط وجوب الدعوة الى ما علم دون ما جهل، ولا خلاف بين الفقهاء، أن من جهل شيئاً أو جهل حكمه أنه لا يدعو اليه (١٠).

وللدعوة إلى الله فضائل عظيمة بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنتة المشرفة، فَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ:{**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا**} [١].

وَعَنْ سَهْلِ بنِ سَعْدٍ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ خَيْبَرَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضى الله عنه :{**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإسلام وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ الله بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**} [٢].

معاشر الإخوة، ينبغي على الدعاة البدء بترسيخ أمور العقيدة عند الناس تأسيا بسنة الحبيب، فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضى الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بَعَثَ مُعَاذًا رضى الله عنه إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ:{**ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنِّي رَسُولُ** الله، **فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ**} [٣].

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (م) ٦٧٤.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٨٨١.

(٣) **(صحيح)** أخرجه (خ) ١٣٣١ و(م) ٢٩.

وللدعوة إلى الله آداب كثيرة نذكر منها:

١ - الإخلاص في الدعوة، فتكون دعوتهم من أجل مرضاة الله عز وجل : ويكون هدف الداعية هو إقامة الدين مصداقا لقول الله تعالى عن نبي الله شعيب عليه السلام:{**إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**} [هود:٨٨].

٢ - يلزم الداعية أن يدعو على بصيرة بالعلم النافع من الكتاب والسنة.

٣ - لا يعجب بعمله بل يعلم أنه مقصر، وأن الناس مقصرون.

٤ - يجب على الداعية ألا يهون على الناس المعاصي، بل يخوفهم من الواحد الأحد، فيكون في دعوته وسطاً بين الخوف والرجاء.

٥ - عدم الهجوم على الأشخاص بأسمائهم: بل يفعل كما فعل النبي ويقول: **ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا**، فيعرف المخطأ خطأه بدون التشهير به

٦ - عدم الإحباط من كثرة الفساد والمفسدين، فهذه سنة الله في خلقه{**وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ** الله **تَبْدِيلاً**} [الأحزاب:٦٢].

٧ - عدم الاستدلال بالأحاديث الموضوعة بل دائما يتأكد من صحة أقواله.

٨ - على الداعية أن يكون ليِّنا في الخطاب، فقد كان رسول الله لين الكلام بشوش الوجه متواضعاً محبباً إلى الكبير والصغير.

٩ - على الداعية أن يعلن الدعو ة للمصلحة، كالموعظة العامة في قرية أو بلدة أو في مدينة، ولكنه إذا أتى ينصح شخصاً بعينه فعليه أن يسر الدعوة، فيأخذه على حدة، ويتلطف له في العبارة.

١٠ - مخاطبة الناس على قدر عقولهم وينزل الناس منازلهم.

١١ - على الداعي أن يتآلف مع الناس مرة بالهدية ومرة بالزيارة، فيجب أن يكون الداعية اجتماعياً، وأن يشارك الناس أحزانهم وأفراحهم.

١٢ - ألا يخالف عمله قوله قال تعالى:{**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**} [البقرة:٤٤].

١٣ - أن يتقلل من الدنيا ويستعد للموت (٥٧).

الإخوة الدعاة، نصيحتي لكم أن توجهوا الشباب حديثي العهد بالالتزام برفق فيعطى هذا الشاب الإيمان والهدى على جرعات؛ حتى يستقيم على هدى الله تعالى، ولا يعني ذلك أن نتركه يمشي على معصيته، لكن عندما أخاطبه فيكون راغباً في الحق أعطيه قليلاً قليلاً، حتى لا يواجه معركة لا يستطيع أن يواجهها، فيبدأ بالأساسيات ويعالج الأمور بحكمة مع من حوله، وبالنسبة للعلاقة بالوالدين تقدم لهما الخير والحق والهدى، على طبق من المحبة والاحترام والتقدير، ويقيم الحجة على الأقارب الأقرب بالحكمة والسهولة واللين، ولو أننا استطعنا أن ننقل أسرنا ومجتمعنا إلى درجة عالية من العلم؛ لفرقوا بين البدعة وبين السنة (٦٧).

ولعل من المفيد في أمر الدعوة إلى الله تعالى التحرك إلى من تريد دعوته، وذلك بعمل زيارات له، وقد تكون هذه الزيارات في المنازل، أو في الأسواق... إلخ، وللزيارة في الله تعالى فضائل عظيمة نذكر منها، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي** الله؛ **نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طِبْتَ، وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنْ الْجَنَّةِ مَنْزِلاً}**(١)، ومن المفيد أيضا في أمر الدعوة استخدام الهدية فقد تهديه سواكا أو قطعة حلوى، أو عطراً، أو تعطره...الخ، وينبغي أن تختلف طريقة الدعوة تبعا لثقافة المدعو، وعند الدعوة إلى الله نبدأ بالتحدث عن نعم الله تعالى علينا، ثم مقدار محبتنا لله تعالى باتباعنا لرسول الله لقول الله تعالى:**{قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَالله غَفُورٌ رَّحِيمٌ}** [آل عموان:٣١]، ثم ترغيب المدعو إلى الله للبذل لدين الله تعالى وذلك بحمل هم الدين بتعلم العلم الشرعي والعمل به والدعوة إليه.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) **(حسن)** أخرجه (ت هـ) وحسنه الألباني في ص. ج ٦٣٨٧.

الدرس السابع والخمسون:
خلق الصبر

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة أشهر المعوقين في تاريخ الإسلام رواها الإمام ابن حبان رحمه الله في كتاب (الثقات) لمعوق من أشهر المعوقين في تاريخ المسلمين وهو الإمام الكبير العلم أبو قلابة الجرمي عبد الله بن يزيد، وكان من الرواة عن أنس بن مالك رضى الله عنه، ويروي هذه القصة عبد الله ابن محمد، قال: خرجت الى ساحل البحر مرابطا، وكان رباطنا يومئذ في عريش مصر قال: فلما انتهيت إلى الساحل فإذا أنا ببطيحة وفى البطيحة خيمة فيها رجل قد ذهب يداه ورجلاه وثقل سمعه وبصره وما له من جارحة تنفعه إلا لسانه وهو يقول: اللهم أوزعنى أن أحمدك حمدا أكافئ به شكر نعمتك التي أنعمت بها عليَّ وفضلتني على كثير ممن خلقت تفضيلا، قال الأوزاعي: قال عبد الله قلت: والله لآتين هذا الرجل ولأسألنه أنى له هذا الكلام؟.. فأتيت الرجل فسلمت عليه فقلت: سمعتك وأنت تقول: اللهم أوزعنى أن أحمدك حمدا أكافئ به شكر نعمتك التي أنعمت بها عليَّ وفضلتني على كثير ممن خلقت تفضيلا، فأي نعمة من نعم الله عليك تحمده عليها؟ وأي فضيلة تفضل بها عليك تشكره عليها؟ قال: وما ترى ما صنع ربي والله لو أرسل السماء عليَّ نارا فأحرقتنى، وأمر الجبال فدمَّرتنى، وأمر البحار فغرقتنى، وأمر الأرض فبلعتنى، ما ازددت لربى إلا شكرا لما أنعم عليَّ من لساني هذا، ولكن يا عبد الله إذ أتيتني، لي إليك حاجة، قد تراني على أي حالة أنا، أنا لست أقدر لنفسى على ضر ولا نفع، ولقد كان معي بني لي يتعاهدني في وقت صلاتي فيوضيني، وإذا جعت أطعمني، وإذا عطشت سقاني، ولقد فقدته منذ ثلاثة أيام فتحسسه لي رحمك الله، فقلت: والله ما مشي خلق في حاجة خلق كان أعظم عند الله أجرا ممن يمشي في حاجة مثلك، فمضيت في طلب الغلام فما مضيت غير

بعيد حتى صرت بين كثبان من الرمل، فإذا أنا بالغلام قد افترسه سبع وأكل لحمه فاسترجعت.. فبينما أنا مقبل نحوه إذ خطر على قلبي ذكر أيوب النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أتيته سلمت عليه فرد عليَّ السلام فقال: ألست بصاحبي؟ قلت: بلى قال: ما فعلت في حاجتي؟ فقلت: أنت أكرم على الله أم أيوب النبي؟ قال: بل أيوب النبي. قلت: هل علمت ما صنع به ربه أليس قد ابتلاه بماله وآله وولده؟ قال: بلى. قلت: فكيف وجده؟ قال: وجده صابرا شاكرا حامدا. قلت: لم يرض منه ذلك حتى أوحش من أقربائه وأحبائه؟ قال: نعم. قلت: فكيف وجده ربه؟ قال: وجده صابرا شاكرا حامدا. قلت: فلم يرض منه بذلك حتى صيره عرضا لمار الطريق هل علمت؟ قال: نعم قلت: فكيف وجده ربه؟ قال: صابرا شاكرا حامدا، أوجز رحمك الله. قلت له: إن الغلام الذي أرسلتني في طلبه وجدته بين كثبان الرمل وقد افترسه سبع فأكل لحمه فأعظم الله لك الأجر وألهمك الصبر، فقال المبتلى: الحمد لله الذي لم يخلق من ذريتي خلقا يعصيه فيعذبه بالنار، ثم استرجع وشهق شهقة فمات فقلت: إنا لله وإنا اليه راجعون عظمت مصيبتي رجل مثل هذا، إن تركته أكلته السباع، وإن قعدت لم أقدر على ضر ولا نفع، فَسَجَّيتُهُ - أي غطيته - بشملة كانت عليه وقعدت عند رأسه باكيا، فبينما أنا قاعد إذ تهجم عليَّ - أي دخل عليَّ - أربعة رجال، فقالوا: يا عبد الله ما حالك، وما قصتك؟ فقصصت عليهم قصتي وقصته فقالوا لي: اكشف لنا عن وجهه فعسى أن نعرفه فكشفت عن وجهه فانكب القوم عليه يقبلون عينيه مرة ويديه أخرى ويقولون: عين طال ما غضت عن محارم الله، وجسم طال ما كُنْتَ ساجدا والناس نيام فقلت: من هذا يرحمكم الله؟ فقالوا: هذا أبو قلابة الجرمي صاحب ابن عباس لقد كان شديد الحب لله وللنبي صلى الله عليه وسلم، فغسلناه وكفناه بأثواب كانت معنا، وصلينا عليه ودفناه، فانصرف القوم وانصرفت إلى رباطي، فلما أن جن عليَّ الليل وضعت رأسي فرأيته فيما يرى النائم في روضة من رياض الجنة، وعليه حلتان من حلل الجنة وهو يتلو الوحي**{سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ}** [الرعد:٢٤]، فقلت: ألست بصاحبي؟ قال: بلى. قلت: أَنَّى لك هذا؟ قال: إن لله درجات لا تنال إلا بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء مع خشية الله عز وجل في السر

والعلانية

معاشر الإخوة، الابتلاء للمؤمن كالنار للذهب، يزيد في نقائه وصلابته، كما قال تعالى:{**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**} [البقرة:١٢٤].

وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالتسلح بسلاح الصبر والصلاة عند نزول البلايا والمصائب قال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**} [البقرة:١٥٣].

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضى الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاَءً؟ قَالَ:{**الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الْعَبْدُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ،وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ**} [(١)].

ولقد أمرنا الله عز وجل بأربعة أمور عند لقاء العدو وذلك بالصبر والمصابرة والرباط والتقوى، قال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**} [آل عمران: ٢٠٠].

والصبر عند نزول البلاء يكون برضا القلب بقضاء الله، وحبس اللسان عما يغضب الله وتقييد الجوارح عما يغضب الله، وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:{**مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ الله{إِنَّا لِله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} اللهمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ الله لَهُ خَيْرًا**} [(٢)].

أخي الحبيب، الصبر على أذى الناس له منزلة عظيمة عند الله عز وجل خصوصا عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله، قال تعالى:

فَعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ عَنْ أَبِيهِ رضى الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ:{**مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ الله عز وجل**

---

(١) (**صحيح**) أخرجه (حم خ ن هـ) وصححه الألباني في ص.ج ٩٩٢

(٢) (**صحيح**) أخرجه (م) ٩١٨.

عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللهُ مِنْ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ} (١).

وهناك أسباب معينة على الصبر كثيرة نذكر منها:

١ ـ اليقين بحسن الجزاء، قال تعالى:{**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ(١٠)**} [الزمر: ١٠].

٢ ـ التأسي بأهل المصائب، قال تعالى:{**وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ(٣)**} [العنكبوت:٢].

٣ ـ اليقين بالفرج، قال تعالى:{**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً(٦)**} [الشرح:٦].

٤ ـ اليقين بأن الجزع لا يرد المصيبة، قال تعالى:{**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ(٢٢)**} [الحديد: ٢٢].

٥ ـ اليقين بأن الله يحب الصابرين، قال تعالى:{**وَأَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ(٤٦)**} [الأنفال: ٤٦].

٦ ـ اليقين بأن الصبر على البلاء يرفع الدرجات، قال تعالى: {**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥)**} [البقرة: ١٢٥].

٧ ـ اليقين بأن الله تعالى يبتلي العباد حتى يختبر أقوالنا وأفعالنا، فيظهر الصادق من الكاذب، قال تعالى:{**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٣١)**} [محمد: ٣١].

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) **(حسن)** أخرجه (د ه ت) حسنه الألباني في ص.ج ٤٧٧٧.

الدرس الثامن والخمسون:

قراءة القرآن بخشوع وتدبر

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة خشوع أبي بكر الصديق عند قراءته للقرآن أوردها ابن هشام في (السيرة النبوية) قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: حَدّثَنِي الزّهْرِيّ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ رضى الله عنها قَالَتْ: فَقَالَ ابْنُ الدّغُنّةِ: أَيْنَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ قَالَ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي وَآذَوْنِي، وَضَيّقُوا عَلَيّ قَالَ: وَلِمَ؟ فَوَاَللّهِ إنّك لَتَزِينُ الْعَشِيرَةَ وَتُعِينُ عَلَى النّوَائِبِ، وَتَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، ارْجِعْ فَأَنْتَ فِي جِوَارِي. فَرَجَعَ مَعَهُ حَتّى إذَا دَخَلَ مَكّةَ، قَامَ ابْنُ الدّغُنّةِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إنّي قَدْ أَجَرْت ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ، فَلاَ يَعْرِضَنّ لَهُ أَحَدٌ إلاّ بِخَيْرٍ. قَالَتْ: فَكَفّوا عَنْهُ قَالَتْ: وَكَانَ لأَبِي بَكْرٍ مَسْجِدٌ عِنْدَ بَابِ دَارِهِ فِي بَنِي جُمَحٍ، فَكَانَ يُصَلّي فِيهِ وَكَانَ رَجُلاً رَقِيقًا، إذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ اسْتَبْكَى. قَالَتْ: فَيَقِفُ عَلَيْهِ الصّبْيَانُ وَالْعَبِيدُ وَالنّسَاءُ يَعْجَبُونَ لِمَا يَرَوْنَ مِنْ هَيْئَتِهِ. قَالَتْ: فَمَشَى رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ إلَى ابْنِ الدّغُنّةِ فَقَالُوا لَهُ: يَا بْنَ الدّغُنّةِ إنّك لَمْ تُجِرْ هَذَا الرّجُلَ لِيُؤْذِيَنَا إنّهُ رَجُلٌ إذَا صَلّى وَقَرَأَ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمّدٌ يَرِقّ وَيَبْكِي، وَكَانَتْ لَهُ هَيْئَةٌ وَنَحْوٌ فَنَحْنُ نَتَخَوّفُ عَلَى صِبْيَانِنَا وَنِسَائِنَا وَضَعَفَتِنَا أَنْ يَفْتِنَهُمْ فَأْتِهِ، فَمُرْهُ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ فَلْيَصْنَعْ فِيهِ مَا شَاءَ. قَالَتْ: فَمَشَى ابْنُ الدّغُنّةِ إلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا بَكْر إني لم أجرك لتؤذي قومك، إنهم قد كرهوا مَكَانَك الّذِي أَنْتَ فِيهِ وَتَأَذّوْا بِذَلِكَ مِنْك، فَادْخُلْ بَيْتَك، فَاصْنَعْ فِيهِ مَا أَحْبَبْتَ قَالَ: أَوَ أَرُدّ عَلَيْك جِوَارَك وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللّهِ؟ قَالَ: فَارْدُدْ عَلَيّ جِوَارِي، قَالَ: قَدْ رَدَدْتُهُ عَلَيْك قَالَتْ: فَقَامَ ابْنُ الدّغُنّةِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إنّ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ قَدْ رَدّ عَلَيّ جِوَارِي فَشَأْنُكُمْ بِصَاحِبِكُمْ (٣١).

فيا أيها الأخ الحبيب! ويا أيتها المسلمة! إن هذا القرآن رحمة، وهو هدى ونور وشفاء لما في الصدور كما وصفه الله سبحانه وتعالى، كما أن قراءة القرآن بتدبر وتمعن من أعظم أسباب السعادة، ومن أعظم أسباب

انشراح الصدر في الدنيا والآخرة.

فاحرص على قراءة القرآن بتدبر وخشوع، فقد كان السلف رحمهم الله يتأثرون بكلام الله عز وجل ، قال الله تعالى:**{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً}** [الإسراء:٨٢].

معاشر الإخوة، من رأيته يكثر من قراءة القرآن ويتدبر القرآن ودائماً لا يمضي يوم إلا وهو يقرأ القرآن، فاعلم أنه قريب من الله، وأنه أصبح من الوصول قاب قوسين أو أدنى، ولذلك لا يشترط في المسلم والولي والمتقي أن يحفظ القرآن كله، فإن بعض الناس يحفظ سوراً قليلة لكنه رباني، وولي متصل بالله عز وجل ، وبعضهم يحفظ الكثير وهو فاسق - نعوذ بالله من ذلك - فالمقصود: الحفظ فضيلة مع العمل وتربية النفس على هذا القرآن، ومن لم يحفظ الكثير فيردد ما يحفظ، ولو لم يردد في اليوم إلا:**{قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ (١) اللهُ الصَّمَدُ(٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ(٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ(٤)}** لكفى، فإنها من أعظم السور، ويتدبر معانيها.

فلقد كان ابن تيمية يتدبر سورة الفاتحة الساعات الطويلة حتى يرتفع ويتعالى النهار، وهذا هو العجب العجاب، أن تتصل دائماً بالله في بيتك، في سوقك، في مكتبك، في أي مكان تعيش فيه (٥٧).

وَعَنْ عُمَرَ رضى الله عنه قَالَ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ صلى الله عليه وسلم قَدْ قَالَ:**{إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ}** [(١)].

ولقد أمر الله بتلاوة القرآن والعمل به وتدبره فقال:**{إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ** الله **وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ(٣٠)}** [فاطر: ٢٩: ٣٠].

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما لقارئ القرآن من الحسنات، فَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ** الله **فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم**

(١) **(صحيح)** أخرجه (م) ٨١٧.

حَرْفٌ، ولَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ ولَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ} [(١)].

وَعَنْ عَائِشَةَ رضى الله عنها ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:**{المَاهِرُ بِالقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَالذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ وَيَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ}** [(٢)].

ويوم القيامة تتجلى هذه الفضائل لقارئ القرآن، فيشفع لقارئه ويعلو به في مراتب الجنة على قدر قراءته.

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضى الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:**{اقرَؤوا القُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ}** [(٣)].

وَعَنْ ابْنِ عَمْرٍو رضى الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:**{يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا}**[(٤)].

وإن من عجيب حال الكثيرين منا، تقصيرهم في تلاوة كتاب ربهم، وتدبره والعمل به، مع علمهم بفضله وأجره.

قال أمير المؤمنين عُثْمَان رضى الله عنه : لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله عز وجل ، وعلى هذا ينبغي للمسلم ملاحظة هذه الأمور:

أولاً: قراءة القرآن بتدبُّرٍ وتمعُّنٍ، قال تعالى:**{كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ}** [ص: ٢٩].

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : " لا تنثروه كنثر الرمل، ولا تهذُّوه كهذِّ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة ".

ثانيًا: مراجعة الحفظ، عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:**{تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنْ الْإِبِلِ**

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (تخ ت ك) وصححه الألباني في ص.ج ٦٤٦٩.

(٢) **(صحيح)** أخرجه(خ) ٤٦٥٣، و(م) ٧٩٨.

(٣) **(صحيح)** أخرجه(م) ٨٠٤.

(٤) **(حسن)** أخرجه (حم ت د ن) وحسنه الألباني في مش ٢١٣٤.

فِي عُقُلِهَا} (١).

ثالثًا: الخشوع عند تلاوة القرآن: عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : اقْرَأْ عَلَيَّ، قُلْتُ يَا رَسُولَ الله: آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ:{**فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي**}، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى بَلَغْتُ{**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا**} [النساء: ٤١]، قَالَ:{**أَمْسِكْ**} فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ (٢).

رابعًا: عدم هجر القرآن، قال تعالى:{**وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا**} [الفرقان: ٣٠]، والهجر يشمل هَجْرَ التلاوة، والتدبُّرَ والعمل، والتحاكم إليه؛ كما قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -، فلابد من العناية بكلام الله - عز وجل - حفظًا، وتلاوةً، وعملاً، حتى يكون المسلم من أهل القرآن، الذين هم أهل الله، وخاصته.

أخي المشتكي من قسوة القلب، وقحط العين التي لاتدمع حال قراءة القرآن، أذكرك بقول ربنا سبحانه:{**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ** الله **وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ**} [الحديد:١٦].

ولعل التفاعل مع القراءة من أسباب التدبر، وحضور القلب حال القراءة، ومن صور ذلك: السؤال والتعوذ والتسبيح في مواضعها، ومن صور التفاعل: أن تتصور توجه الخطاب لك مباشرة، وأنك المعني بالكلام، ومن صور التفاعل: تكرار الآية، وإمرارها على القلب، كما كرر النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى:{**إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**} [المائدة:١١٨].

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (م) ٧٩١.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٤٣٠٦، و(م) ٨٠٠ واللفظ للبخاري.

الدرس التاسع والخمسون:
الخشوع في الصلاة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، نحن على موعد مع موقف عظيم لصحابي جليل وهو عباد ابن بشر، أخرج الإمام أحمد في مسنده - عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضى الله عنه قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ فَأُصِيبَتْ امْرَأَةٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم قَافِلاً وَجَاءَ زَوْجُهَا وَكَانَ غَائِبًا فَحَلَفَ أَنْ لاَ يَنْتَهِيَ حَتَّى يُهْرِيقَ دَمًا فِي أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، فَخَرَجَ يَتْبَعُ أَثَرَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَنَزَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مَنْزِلاً فَقَالَ:**{مَنْ رَجُلٌ يَكْلَؤُنَا** - أي يحفظنا ويحرسنا - **لَيْلَتَنَا هَذِهِ}** فَانْتَدَبَ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ - عمار بن ياسر - مِنْ الأَنْصَارِ - وعباد ابن بشر - فَقَالاَ: نَحْنُ يَا رَسُولَ الله قَالَ:**{فَكُونُوا بِفَمِ الشِّعْبِ}** قَالَ: وَكَانُوا نَزَلُوا إِلَى شِعْبٍ مِنْ الْوَادِي، فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلاَنِ إِلَى فَمِ الشِّعْبِ قَالَ: الأَنْصَارِيُّ لِلْمُهَاجِرِيِّ: أَيُّ اللَّيْلِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ أَكْفِيَكَهُ أَوَّلَهُ أَوْ آخِرَهُ قَالَ اكْفِنِي أَوَّلَهُ، فَاضْطَجَعَ الْمُهَاجِرِيُّ - عمار بن ياسر - فَنَامَ وَقَامَ الأَنْصَارِيُّ - عباد بن بشر - يُصَلِّي، وَأَتَى الرَّجُلُ فَلَمَّا رَأَى شَخْصَ الرَّجُلِ عَرَفَ أَنَّهُ رَبِيئَةُ - أي حراسة - الْقَوْمِ فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ وَثَبَتَ قَائِمًا، ثُمَّ رَمَاهُ بِسَهْمٍ آخَرَ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ وَثَبَتَ قَائِمًا، ثُمَّ عَادَ لَهُ بِثَالِثٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ، ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ ثُمَّ أَهَبَّ صَاحِبَهُ فَقَالَ: اجْلِسْ فَقَدْ أُوتِيتَ فَوَثَبَ فَلَمَّا رَآهُمَا الرَّجُلُ عَرَفَ أَنْ قَدْ نَذَرُوا بِهِ فَهَرَبَ، فَلَمَّا رَأَى الْمُهَاجِرِيُّ مَا بِالأَنْصَارِيِّ مِنْ الدِّمَاءِ قَالَ: سُبْحَانَ الله أَلاَ أَهْبَبْتَنِي - أي أيقظتني - قَالَ: كُنْتُ فِي سُورَةٍ أَقْرَؤُهَا فَلَمْ أُحِبَّ أَنْ أَقْطَعَهَا حَتَّى أُنْفِذَهَا - أي أنتهي من قراءتها - فَلَمَّا تَابَعَ الرَّمْيَ رَكَعْتُ فَأُرِيتُكَ - أي أيقظتك - وَايْمُ الله لَوْلاَ أَنْ أُضَيِّعَ ثَغْرًا أَمَرَنِي رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم

بِحِفْظِهِ لَقَطَعَ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَقْطَعَهَا أَوْ أُنْفِذَهَا [(١)].

هذا هو حال الصحابة الكرام، ولقد أثنى الله عز وجل عن هؤلاء الذين هم في صلاتهم خاشعون قال تعالى:**{قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ(٢)}** [المؤمنون:١، ٢]، فالصلاة جسد والخشوع روحها، فإذا توفر الجسد والروح بقيت حياة الصلاة، أما إذا وجد الجسد وخرجت الروح فلا قيمة للجسد.

فبعض الناس لا تنتهي أشغاله، دائماً مشغول طوال اليوم، فإذا دخل في الصلاة بدأ يفكر في عمارته وسيارته ومشاكله، لماذا؟ لأنها فرصة ليس عنده وقت يفكر، فيأتيه الشيطان ليقذف في قلبه الوساوس والأفكار والخطرات حتى يخرج منها، بدرجة أنك لو أجريت اختبارًا في أي مسجد للمصلين بعد أي صلاة من صلاة الجهر وقلت لهم: ماذا قرأ الإمام في الصلاة؟ فإنه لا ينجح إلا القليل.

معاشر الإخوة، كان السلف رحمهم الله يولون اهتماماً كبيراً لهذه الصلاة وللخشوع فيها، قال ابن القيم رحمه الله تعالى في (الوابل الصيب) : والناس في الصلاة على مراتب خمسة:

أحدها: مرتبة الظالم لنفسه المفرط، وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها، وهذا معاقب.

الثاني: من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها، لكنه ذهب مع الوساوس والأفكار، وهذا محاسب.

الثالث: من حافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوساوس والأفكار، فهو مشغول بمجهادة عدوه لئلا يسرق صلاته، فهو في صلاة وجهاد، وهذا مكفّر عنه.

الرابع: من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها، وكان همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي وإكمالها وإتمامها، وهذا مثاب.

الخامس: من إذا قام إلى الصلاة قام أخذ قلبه ووضعه بين يدي ربه عز

---

(١) **(حسن)** أخرجه (حم) ١٤٧٤٥ وحسنه الشيخ شعيب الأرنؤوط.

وجل ، وهذا في صلاته مشغول بربه عز وجل قرير العين به، وهذا مقرب من ربه (٦٦).

الإخوة الفضلاء، أسوأ الناس سرقة الذي يسرق في صلاته، فَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم أَسْوَأُ النَّاسِ سَرِقَةً الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلاَتِهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَكَيْفَ يَسْرِقُ مِنْ صَلاَتِهِ؟ قَالَ:**{لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا أَوْ قَالَ: لَا يُقِيمُ صُلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ}** [١].

وأول ما يرفع من هذه الأمة الخشوع في الصلاة، فَعَنْ شَدَّادِ بن أَوْسٍ رضى الله عنه، أَنّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم، قَالَ:**{أَوَّلُ مَا يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ الْخُشُوعُ}** [٢].

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضى الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:**{خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ الله تَعَالَى مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ وَصَلَّاهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ كَانَ لَهُ عَلَى** الله **عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ لَهُ عَلَى** الله **عَهْدٌ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ}** [٣].

والرجلان يكونان في الصف معا في الصلاة وهناك فرق في أجرهما، فَعَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رضى الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:**{إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلَّا عُشْرُ صَلَاتِهِ تُسْعُهَا ثُمْنُهَا سُبْعُهَا سُدْسُهَا خُمْسُهَا رُبْعُهَا ثُلُثُهَا نِصْفُهَا}** [٤].

أخي الحبيب، من الأسباب التي تساعدك على الخشوع في الصلاة:

١ - أن تترك ما في يدك بمجرد سماعك للآذان وتتوجه للمسجد.

٢ - أن تحافظ على السنن الرواتب.

٣ - أن تحاول أن تصلي صلاة مودع وتتدبر ما تقوله في الصلاة، فإذا حاول الشيطان أن يأخذك بعيدا فاستغفرالله وتعوذ من الشيطان واتفل عن

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (حم ك) وصححه الألباني في ص.ج ٩٨٦.
(٢) **(صحيح)** أخرجه (طب) وصححه الألباني في ص.ج ٢٥٧٦.
(٣) **(صحيح)** أخرجه (د هق) وصححه الألباني في ص.ج ٣٢٤٢.
(٤) **(حسن)** أخرجه (حم د حب) وحسنه الألباني في ص.ج ١٦٢٦.

يسارك إن كنت تصلى بمفردك.

٤ - أن تستحضر عظمة الله تعالى عند صلاتك، ولاتلفت يمينا ويسارا ولا تنظر إلى السماء بل اجعل بصرك في مصلاك وتدبر في الآيات التى تقرأها أو التى تسمعها، قال تعالى:{**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**} [الأعراف:٢٠٤].

ولقد اختلف أهل العلم في حكم قراءة الفاتحة للمأموم على ثلاثة أقوال: قول للإمام الشافعي وهو: أن من ترك قراءة الفاتحة إماماً كان أو مأموماً فإن صلاته باطلة.

والقول الثاني للإمام أحمد ومالك وهو: أن الفاتحة تجب على المأموم في القراءة السرية، وتسقط عنه في القراءة الجهرية؛ لأن قراءة الإمام قراءة له، وهذا قول الإمام أحمد ورجحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

القول الثالث: وهو من الأقوال التي لا دليل عليها، وهو قول الإمام أبي حنيفة رحمة الله تعالى، قال: إن المأموم لا يقرأ؛ لا في السرية ولا الجهرية (٦٦).

٥ - وأَدِّ الأركان باطمئنان وخشوع ولا تسابق الإمام في الركوع ولا في السجود في صلوات الجماعة.

٦ - واختم صلاتك بتأنٍّ ثم صلِّ مابدا لك من السنن والأفضل أن تحافظ على السنن في المنزل فهذه وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضى الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ:{**صَلَاةُ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي مَسْجِدِي هَذَا إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ**} [١] (٦٤).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (د ت) وصححه الألباني في مش ١٣٠٠.

الدرس الستون:
التصديق بموعودات الله ورسوله للمؤمنين في الدنيا والآخرة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، نحن على موعد مع موعودات رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم رضى الله عنه. أخرج البخاري في صحيحه بسنده عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضى الله عنه قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ - أي الفقر -، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ فَقَالَ:{**يَا عَدِيُّ هَلْ رَأَيْتَ الْحِيرَةَ** - أي بلد مجاورة للكوفة -؟} قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا قَالَ:{**فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ** - أي المرأة المسافرة بمفردها - **تَرْتَحِلُ مِنْ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللهَ**} قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي: فَأَيْنَ دُعَّارُ - أي قطاع الطرق - طَيِّئٍ الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا الْبِلَادَ - أي أشعلوا فيها نار الفتنة -!!{**وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى**} قُلْتُ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ؟ قَالَ:{**كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ، وَلَيَلْقَيَنَّ اللهَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ فَلَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَيُبَلِّغَكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى فَيَقُولُ: أَلَمْ أُعْطِكَ مَالًا وَأُفْضِلْ عَلَيْكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ**} قَالَ عَدِيٌّ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:{**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**} قَالَ عَدِيٌّ: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنْ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لاَ تَخَافُ إِلاَّ الله، وَكُنْتُ فِيمَنْ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ صلى الله عليه وسلم يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ [١].

معاشر الإخوة، هذا الإله العظيم يبشركم في كتابه فيقول:{**وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**} [الروم:٤٧]، هكذا بهذه الصياغة العجيبة المعجزة!! والله لو

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٣٤٠٠.

تنزل من آيات البشرى غيرها لكفت!!

هذا الإله القادر المقتدر يتعهد بنصر المؤمنين، ويجعله حقاً عليه سبحانه، ليس هذا نصراً في الآخرة فقط بدخول الجنة، ولكنه نصر في الدنيا كذلك، قال سبحانه:{**إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ**} [غافر: ٥١]، هكذا الوعد: نصر في الدارين، في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، إن كان هناك مؤمنون، فلابد لهم من نصر، هكذا وعد، وهو سبحانه لا يخلف الميعاد، واستمعوا إلى قوله تعالى{**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥)**} [النور: ٥٥].

فإذا توفر الإيمان والعمل الصالح والعبادة الخالصة دون الشرك به سبحانه، كان الاستخلاف في الأرض، وكان التمكين للدين وكان الأمن بعد الخوف.

أيها المسلمون المعتزون برسولهم صلى الله عليه وسلم : ألم تسمعوا إلى قول رسولكم وحبيبكم محمد صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه ثوبان رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :{**إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الأَرْضَ، أَوْ قَالَ:إِنَّ رَبِّي زَوَى لِي الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ** - أي كنوز الروم - **وَالأَبْيَضَ** - أي كنوز فارس -**..**}[1] نعم يا إخواني، سيبلغ ملك المسلمين مشارق الأرض ومغاربها، بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ، ألم تسمعوا إلي قول مرشدكم وقدوتكم محمد صلى الله عليه وسلم وهو يقول في الحديث الذي رواه تميمُ الدَّاري رضى الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول:{**لَيَبْلُغَنَّ هذا الأمْرُ** - **أي الإسلام** - **ما بَلَغَ الليلُ والنَّهارُ** - **أي كل الأرض** -، **ولا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ** - أي بيوت المدن - **ولا وَبَرٍ** - أي بيوت البادية - **إلا أدْخَلَهُ الله هذا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أوْ**

---

(١) (**صحيح**) أخرجه (حم م د ت هـ) وصححه الألباني في ص. ج ١٧٧٣.

بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزّاً يُعِزُّ اللهُ بِهِ الإسلام، وذُلّاً يُذِلُّ اللهُ بِهِ الكُفْرُ}[١].

ما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، بل اسمع وتأمل إلى ما رواه الإمام أحمد وصححه الألباني عَنْ أَبِي قَبِيلٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو ابْنِ الْعَاصِرضى الله عنه وَسُئِلَ: أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلاً الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ؟ فَدَعَا عَبْدُ الله بِصُنْدُوقٍ لَهُ حَلَقٌ قَالَ: فَأَخْرَجَ مِنْهُ كِتَابًا، قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ الله: بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم نَكْتُبُ إِذْ سُئِلَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلاً، قُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :{**مَدِينَةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أَوَّلًا يَعْنِي قُسْطَنْطِينِيَّةَ**}[٢].

والقسطنطينية هي عاصمة الدولة الرومانية الشرقية آنذاك وهي إستانبول الآن، وروميه هي روما، وكانت عاصمة الدولة الرومانية الغربية، وكانتا معاقل النصرانية في العالم، ويفهم من الحديث أن الصحابة كانوا يعلمون منه صلى الله عليه وسلم أن هاتين المدينتين ستفتحان، لكن يسألون أي المدينتين تفتح أولاً فبشر رسول الله بفتح القسطنطينية أولاً، وقد كان وتحققت البشارة النبوية بعد أكثر من ثمانمائة سنة!!.. وبالضبط في ٢٠ جمادى الأولى سنة ٨٥٧ هجرية، على يد الفتى العثماني المجاهد محمد الفاتح رحمه الله، وستحدث البشارة الثانية لا محالة، وسيدخل الإسلام روما عاصمة إيطاليا إن شاء الله تعالى. ولي على هذا الحديث تعليقان:

التعليق الأول: هو أن بعض العلماء يعتقدون أن فتح رومية (أو روما) سيكون بالدعوة إلى الإسلام وبإنشاء المراكز الإسلامية والمساجد فقط، ويستبعدون الفتح عن طريق الجهاد، والحق أن الحديث لم يشر إلى ذلك، بل أرى أن قصر تفسير فتح رومية على الدعوة دون الجهاد هو نوع من الهزيمة النفسية، فالذي يقول ذلك لا يتخيل أنه بالإمكان أن يحرك المسلمون جيشاً لإيطاليا، فلتكن الدعوة إذن هي التفسير للحديث!.. لكن على العكس من ذلك..فإن سياق الحديث يوحي بأن الفتح سيكون جهاداً، ولذلك جمعت

(١) **(صحيح)** أخرجه (حب) وصححه الألباني في س.ص ٣.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (حم دارمي ش) وصححه الألباني في س.ص ٤.

مع القسطنطينية في حديث واحد، ولتعلمن نبأه بعد حين!!..

التعليق الثاني: هو أن محمد الفاتح رحمه الله كان يعد العدة، ويجهز الجيوش فعلاً لفتح رومية وذلك لاستكمال تحقيق البشارة النبوية، لكنه لم يوفق لذلك، والحق قد تعجبون من قولي هذا: أنني قد سعدت بل وحمدت الله على أنه لم يتم له فتح رومية!!.. لماذا؟! ذلك حتى تبقى بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعث الأمل في نفوسنا، وحتى يبقى لنا شيء نفتحه (٩).

بل وهناك الكثير من المبشرات القرآنية والمبشرات النبوية لا يتسع المقام هنا لذكرها، ومن أراد التوسع في ذلك فليراجع كتاب (هيا نؤمن ساعة قبل قيام الساعة لنفس المؤلف)، ومن البشارات النبوية البشارة بقتال أعداء الإسلام وانتصار المسلمين عليهم، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ:{**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمْ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ** الله **هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ**}[١].

فالاستعلاء اليهودي في الأرض لن يدوم، ووعد الله متحقق لا محالة؛ لأن الله لا يخلف وعده، والمعركة الفاصلة التي يبشر بها النبي صلى الله عليه وسلم بين المسلمين واليهود واقعة بإذن الله، وسيعود اليهود إلى وضعهم الطبيعي الذي كتبه الله عليهم من الذلة والمسكنة وغضب من الله فقد توفرت فيهم أسباب الاندحار والهزيمة، وسينجز الله للأمة وعده يوم أن يتوفر فيها أسباب النصر، ولمزيد من المبشرات يمكن الرجوع لكتاب (هيا نؤمن ساعة قبل قيام الساعة).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) **(صحيح)** أخرجه (م) ٢٩٢٢.

الدرس الحادي والستون:
الجهاد في سبيل الله

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، نحن على موعد مع أنس بن النضر، هذا الصحابي الجليل، في غزوة أحد، فَعَنْ أَنَسٍ رضى الله عنه قَالَ: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ رضى الله عنه عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ، لَئِنْ الله أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ الله مَا أَصْنَعُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ، قَالَ: اللهمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ يَعْنِي أَصْحَابَهُ، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ الْجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ، إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ، قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ الله مَا صَنَعَ، قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ، وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلاَّ أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ، قَالَ أَنَسٌ كُنَّا نُرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ:**{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ}** [الأحزاب: ٢٣] إلى آخرها [١].

والجهاد لا يكون من أجل الحمية أو من أجل الشجاعة إنما يكون من أجل أن تكون كلمة لا اله إلا الله هي العليا، وإذا سأل المؤمن الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه.

فَعَنْ أَبِي مُوسَى رضى الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ فَمَنْ فِي سَبِيلِ الله؟

قَالَ:**{مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ** الله **هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ** الله**}** [٢].

وللجهاد في سبيل الله تعالى فضائل لا يتسع المقام لذكرها نكتفي بهذا

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٢٦٥١ و (م) ١٩٠٣ واللفظ للبخاري.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٢٦٥٥ و(م) ١٩٠٤ واللفظ للبخاري.

الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، عَنْ أبَي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم : مَا يَعْدِلُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ الله عز وجل ؟ قَالَ:{**لاَ تَسْتَطِيعُونَهُ**}، قَالَ: فَأَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ:{**لاَ تَسْتَطِيعُونَهُ**} وَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ:{**مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ** الله **كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ** الله **لاَ يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ، وَلاَ صَلاَةٍ حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ** الله **تَعَالَى**} [(١)].

يقول فضيلة الدكتور على الصلابي إن للجهاد في الإسلام عدة أهداف منها:

١ - **إقامة حكم الله ونظام الإسلام في الأرض،** فإقامة حكم الله في الأرض هدف من أهداف الجهاد، قال تعالى:{**إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلاَ تَكُنْ لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا**} [النساء: ١٠٥].

قال سيد قطب رحمه الله تعالى : جاهد الإسلام ليقيم هذا النظام الرفيع في الأرض ويقرره ويحميه، وكان من حقه أن يجاهد ليحطم النظم الطاغية التي تقوم على عبودية البشر للبشر والتي يدعي فيها العبيد مقام الألوهية ويزاولون فيها وظيفة الألوهية بغير حق، ولم يكن بد أن تقاومه تلك النظم الطاغية في الأرض كلها وتناصبه العداء، ولم يكن بد كذلك أن يسحقها الإسلام سحقا ليعلن نظامه الرفيع في الأرض، وما يزال هذا الجهاد لإقامة هذا النظام الرفيع مفروضا على المسلمين{**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلهِ**} [البقرة: ١٩٣] فلا تكون هناك ألوهية للعبيد في الأرض ولا دينونة لغير الله.

٢ - **دفع عدوان الكافرين،** فمن أهداف الجهاد في الدولة الإسلامية دفع عدوان الكافرين، وهذا العدوان أنواع منها:

أ - أن يعتدي الكفار على فئة مؤمنة مستضعفة في أرض الكفار، لاسيما إذا لم تستطع أن تنتقل إلى بلاد تأمن فيها على دينها، فإن الواجب على الدولة الإسلامية أن تعد العدة لمجاهدة الكفار الذين اعتدوا على تلك الطائفة حتى يخلصوها من الظلم والاعتداء الواقع عليها.

---

(١) (**صحيح**) أخرجه (خ) ٢٦٣٥ و (م) ١٨٧٨واللفظ لمسلم.

قال تعالى:{**فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٧٤) وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنْكَ نَصِيرًا (٧٥)**} [النساء: ٧٤، ٧٥].

قال القرطبي رحمه الله تعالى : في قوله تعالى{**وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ**} حَض على الجهاد، ويتضمن تخليص المستضعفين من أيدي الكفرة المشركين الذين يسومونهم سوء العذاب ويفتنونهم عن الدين، فأوجب تعالى الجهاد لإعلاء كلمته وإظهار دينه واستنقاذ المؤمنين الضعفاء من عباده، وإن كان في ذلك تلف النفوس، وتخليص الأسارى واجب على جماعة المسلمين إما بالقتال وإما بالأموال وذلك أوجب لكونها دون النفوس، إذ هي أهون منها.

وقال سيد قطب رحمه الله تعالى : جاهد الإسلام ليدفع عن المؤمنين الفتنة التي كانوا يسامونها وليكفل لهم الأمن على أنفسهم وأموالهم وعقيدتهم، وقرر ذلك المبدأ العظيم: والفتنة أشد من القتل، فاعتبر الاعتداء على العقيدة والإيذاء بسببها وفتنة أهلها أشد من الاعتداء على الحياة ذاتها، فالعقيدة أعظم قيمة في الحياة وفق هذا المبدأ العظيم، وإذا كان المؤمن مأذونا في القتال ليدفع عن حياته وعن ماله فهو من باب أولى مأذون في القتال ليدفع عن عقيدته ودينه.

ب - أن يعتدي الكفار على ديار المسلمين، قال تعالى:{**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ - وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُم وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ - فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**} [البقرة: ١٩٠ - ١٩٢].

لقد نص الفقهاء على أنه إذا اعتدى الكفار على ديار المسلمين يتعين الجهاد للدفاع عن الديار، لأن العدو إذا احتلها سام المسلمين عذابا ونفذ فيها أحكام الكفر، فتصبح دار كفر بعد أن كانت دار إسلام.

ج - الوقوف ضد الدعاة إلى الله ومنعهم من تبليغ دعوة الله، فالمسلمون مفروض عليهم من قبل المولى عز وجل أن يبلغوا رسالات الله للناس كافة، كما قال تعالى:{**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**} [يوسف: ١٠٨].

وأعداء الله يصدون أولياءه عن تبليغ عباده دعوته ولا يتركون لهم سبيلا إلى الناس، كما لا يأذنون للدعاة أن يسمعوا الدعوة إلى الله للناس، ويضعون العراقيل، والحواجز بين الدعوة ودعاتها والناس، ولذلك أوجب الله عز وجل على عباده المؤمنين قتال كل من يصد عن سبيل الله تعالى.

قال تعالى:{**الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (٣) فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤)**} [محمد: ١ - ٤].

قال سيد قطب رحمه الله: فجاهد الإسلام ليحطم هذه النظم الطاغية وليقيم مكانها نظاما عادلا يكفل حرية الدعوة إلى الحق في كل مكان، وما يزال هذا الهدف قائما وما يزال الجهاد مفروضا على المسلمين ليبلغوه وإن كانوا مسلمين، هذه بعض أهداف الجهاد التي تتحقق عند إقامة فريضة الجهاد (٤٥).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس الثاني والستون:
محاسبة النفس

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة أخرجها الإمام مسلم في صحيحه عن محاسبة حنظلة رضى الله عنه لنفسه، فَـَعَنْ حَنْظَلَةَ الأُسَيِّدِيِّ رضى الله عنه وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ الله مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ الله، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{وَمَا ذَاكَ؟}** قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلاَثَ مَرَّاتٍ}**(١).

وهذا مصداقا لقول الله تعالى:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}** [الحشر ١٧].

أخي الحبيب، هل خلوت بنفسك يوماً فحاسبتها عما بدر منها من الأقوال والأفعال؟ وهل حاولت يوماً أن تعد سيئاتك كما تعد حسناتك؟ بل هل تأملت يوماً طاعاتك التي تفتخر بذكرها؟! فإن وجدت أن كثيراً منها مشوباً بالرياء والسمعة وحظوظ النفس فكيف تصبر على هذه الحال، وطريقك محفوف بالمكارة والأخطار؟! وكيف القدوم على الله وأنت محمل بالأثقال

(١) **(صحيح)** أخرجه (م) ٢٧٥٠.

والأوزار؟

إنَّ محاسبة النفس تحتاج لمراقبة دائمة للنفس الإنسانية، قال تعالى: **{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}** [العنكبوت: ٦٩].

وَعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رضى الله عنه يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:{**الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي سَبِيلِ** الله عز وجل } [(١)].

ولقد عرف سلفنا الصالح أهمية هذه المنزلة فحققوها في أنفسهم وحثُّوا غيرهم عليها، فهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول مبينا أهمية هذا الأسلوب: " حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا فإنه أهون في الحساب غدًا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ".

ويعتبر ميمون بن مهران المحاسبة ميزانا للتقوى فيقول: " لا يكون الرجل تقيا حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه " (١٤).

ومحاسبة النفس تكون قبل العمل بأن يقف العبد عند أول همه وإرادته، ولا يبادر بالعمل حتى يتبين له رجحانه على تركه. قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: " رحم الله عبداً وقف عند همه، فإن كان لله مضى، وإن كان لغيره تأخر ".

إخوتي في الله، محاسبة النفس بعد العمل ثلاثة أنواع:

أحدها: محاسبة النفس على عمل أداه هل قصر فيه؟ فلا بد من كل عمل أن يكون خالصا لله تعالى وموافقا لهدي رسول الله، وأن يحسن في أدائه.

الثاني: أن يحاسب نفسه على كل عمل كان تركه خيراً من فعله.

الثالث: أن يحاسب نفسه على أمر مباح أو معتاد لم فعله؟ وهل أراد به الله والدار الآخرة؟ فيكون رابحاً، أو أراد به الدنيا وعاجلها؟ فيخسر ذلك الربح ويفوته الظفر به (١٩).

ولقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى أن محاسبة النفس تكون كالتالي:

أولاً: البدء بالفرائض، فإذا رأى فيها نقصاً تداركه.

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (حم) وصححه الألباني في س.ص ١٤٩٦.

ثانيــاً: ثــم المنــاهي، فــإذا عــرف أنــه ارتكــب منهــا شــيئاً تداركــه بالتوبــة والاستغفار والحسنات الماحية.

ثالثاً: محاسبة النفس على الغفلة ويتدارك ذلك بالذكر والإقبال على الله.

رابعــاً: محاســبة الــنفس علــى حركــات الجــوارح، وكــلام اللســان، ومشــي الرجلين، وبطش اليدين، ونظر العينين، وسماع الأذنين، ماذا أرادت بهذا؟ ولمن فعلته؟ وعلى أي وجه فعلته (١٩).

معاشر الإخوة، لمحاسبة النفس فوائد جمة منها:

١ - الاطلاع على عيوب النفس، ومن لم يطلع على عيب نفسه لم يمكنه إزالته.

٢ - التوبة والندم وتدارك ما فات في زمن الإمكان.

٣ - معرفة حق الله تعالى فإن أصل محاسبة النفس هو محاسبتها على تفريطها في حق الله تعالى.

٤ - انكسار العبد وزلته بين يدي ربه تبارك وتعالى.

٥ - معرفة كرم الله سبحانه وتعالى وعفوه ورحمته بعباده في أنه لم يعجل عقوبتهم مع ما هم عليه من المعاصي والمخالفات.

٦ - مقت النفس والإزراء عليها، والتخلص من العجب ورؤية العمل.

٧ - الاجتهاد في الطاعة وترك العصيان لتسهل عليه المحاسبة فيما بعد.

٨ - رد الحقوق إلى أهلها، وحسن الخلق، وهذه من أعظم ثمرات محاسبة النفس (١٩).

وهناك أمور تعين الإنسان على محاسبة نفسه منها:

١ - معرفته أنه كلما اجتهد في محاسبة نفسه اليوم استراح من ذلك غداً، وكلما أهملها اليوم اشتد عليه الحساب غداً.

٢ - صحبة الأخيار الذين يحاسبون أنفسهم ويطلعون على عيوب نفسه، وترك صحبة من عداهم.

٣ - زيارة القبور والتأمل في أحوال الموتى الذين لا يستطيعون

محاسبة أنفسهم أو تدارك ما فاتهم.

٤ - حضور مجالس العلم والوعظ والتذكير فإنها تدعو إلى محاسبة النفس.

٥ - قيام الليل وقراءة القرآن والتقرب إلى الله تعالى بأنواع الطاعات.

٦ - البعد عن أماكن اللهو والغفلة فإنها تنسي الإنسان محاسبة نفسه.

٧ - ذكر الله تعالى ودعاؤه بأن يجعله من أهل المحاسبة والمراقبة.

٨ - سوء الظن بالنفس (١٩).

أخي الحبيب، كم صلاة أضعتها؟.. كم جمعة تهاونت بها؟.. كم صيام تركته؟.. كم زكاة بخلت بها؟ ... كم حج فوته؟ ... كم معروف تكاسلت عنه؟ ... كم منكر سكت عليه؟ ... كم نظرة محرمة أصبتها؟ ... كم كلمة فاحشة تكلمت بها؟ ... كم أغضبت والديك ولم ترضهما؟ ... كم قسوت على ضعيف ولم ترحمه؟.. كم من الناس ظلمته أو أخذت ماله؟ (١٩).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ:{**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**}[١].

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) **(صحيح)** أخرجه (م) ٢٥٨١.

الدرس الثالث والستون:
الرد على شبهة أن الإسلام هو دين الإرهاب

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، إن تاريخ الإسلام شاهد على أن المسلمين لم يكرهوا أحدا في أي فترة من فترات التاريخ على ترك دينه، فلم يعرف في تاريخ المسلمين الطويل أنهم ضيقوا على اليهود والنصارى أو غيرهم أو أنهم أجبروا أحدا من أي طائفة من الطوائف اليهودية أو النصرانية على اعتناق الإسلام، يقول توماس آرنولد: " لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام غير المسلمين على قبول الإسلام أو عن أي اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي ".

لقد كان عهد الخلفاء الراشدين امتدادا لعهد النبي صلى الله عليه وسلم وشهد صورا من سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين من إعانتهم بالمال أو النفس عند الحاجة، ومن كفالة العاجز منهم عن العمل أو كبير السن، وغير ذلك. وهذا هو ما سار عليه الخلفاء الراشدون رضى الله عنهم في صدر الإسلام في معاملتهم لأهل الذمة، وأسوق هنا بعض الشواهد والأمثلة التي تبين سماحة الصحابة رضى الله عنهم في معاملة غير المسلمين.

١ - جاء في الموسوعة في سماحة الإسلام أنه في خلافة أبي بكر الصديق رضى الله عنه كتب خالد بن الوليد رضى الله عنه في عقد الذمة لأهل الحيرة بالعراق - وكانوا من النصارى -: " وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله ".

٢ - وكان أبو بكر رضى الله عنه يوصي الجيوش الإسلامية بقوله: " وستمرون على قوم في الصوامع رهبانا يزعمون أنهم ترهبوا في الله فدعوهم ولا تهدموا صوامعهم " (٤٤).

٣ - وأوصى عمر رضى الله عنه الخليفة من بعده فقَالَ: وَأُوصِيهِ بِذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ يُوفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ وَأَنْ لاَ يُكَلَّفُوا فَوْقَ طَاقَتِهِمْ (١).

٤ - ومن صور السماحة في المعاملة ما روي عن عمر رضى الله عنه أنه لما قدم الجابية من أرض الشام استعار ثوبا من نصراني فلبسه حتى خاطوا قميصه وغسلوه وتوضأ من جرة نصرانية. وصنع له أهل الكتاب طعاما فدعوه فقال: أين هو؟ قالوا: في الكنيسة، فكره دخولها وقال لعلي رضى الله عنه: اذهب بالناس فذهب عليٌّ رضى الله عنه بالمسلمين فدخلوا فأكلوا وجعل علي رضى الله عنه ينظر إلى الصور وقال: ما على أمير المؤمنين لو دخل فأكل (٨).

٥ - ومن السماحة أن يراعى في معاملتهم كل مصلحة وقصد صحيح، فعن عبد الله بن قيس قال: كنت فيمن تلقى عمر بن الخطاب مع أبي عبيدة مقدمه من الشام فبينما عمر يسير إذ لقيه (المقلسون) وهم قوم يلعبون بلعبة لهم بين أيدي الأمراء إذا قدموا عليهم بالسيوف والريحان، فقال عمر رضى الله عنه: مه ردوهم وامنعوهم، فقال أبو عبيدة:يا أمير المؤمنين هذه سنة العجم أو كلمة نحوها وإنك إن تمنعهم منها سرَّوا أن في نفسك نقضا لعهدهم فقال: دعوهم، عمر وآل عمر في طاعة أبي عبيدة (١٠).

٦ - وصلى سلمان وأبو الدرداء في بيت نصرانية فقال لها أبو الدرداء رضى الله عنه: هل في بيتك مكان طاهر فنصلي فيه؟ فقالت: طهرا قلوبكما ثم صليا أين أحببتما، فقال له سلمان رضى الله عنه : خذها من غير فقيه (٨).

٧ - وجاء في صفة الصفوة أن عمر بعث عميرا عاملا على حمص فمكث حولا لا يأتيه خبره ولم يبعث له شيئا لبيت مال المسلمين، فقال عمر لكاتبه: اكتب إلى عمير فوالله ما أراه إلا قد خاننا، إذا جاءك كتابي هذا فأقبل وأقبل بما جبيت من فيء المسلمين حين تنظر في كتابي هذا. فأخذ عمير - لما وصله كتاب عمر - جرابه فوضع فيه زاده وقصعته وعلق إداوته وأخذ

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٣٤٩٧.

عنزته - أي عصاه - ثم أقبل يمشي من حمص حتى قدم المدينة فقدم وقد شحب لونه واغبر وجهه فدخل على عمر فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله. قال عمر: ما شأنك؟ قال: ما تراني صحيح البدن ظاهر الدم، معي الدنيا أجرها بقرونها؟ قال عمر: وما معك؟ وظن عمر أنه جاءه بمال. قال: معي جرابي أجعل فيه زادي، وقصعتي آكل فيها وأغسل فيها رأسي وثيابي وإداوتي أحمل فيها وضوئي وشرابي، ومعي عنزتي - أي عصاتي - أتوكأ عليها وأجاهد بها عدوا إن عرض لي، فوالله ما الدنيا إلا تبع لمتاعي. وسأله عمر عن سيرته في قومه وعن الفيء فأخبره، فحمد فعله فيهم ثم قال:جددوا لعمير عهدا.

قال عمير: إن ذلك شيء لا أعمله لك ولا لأحد بعدك، والله ما سلمت بل لم أسلم، لقد قلت لنصراني: أخزاك الله، فهذا ما عرضتني له يا عمر، وإن أشقى أيامي يوم خلفت معك (٣٧).

ولقد عظم على عمير قوله لرجل من غير المسلمين: أخزاك الله، وهو دعاء، وما ذكر خطأ اقترفه في ولايته على حمص أعظم من هذا، وفي ذلك دليل على أن هذا الدين ما جاء إلا بالرحمة والهداية وإنقاذ البشر من الضلال إلى الهدى ومن ظلمات الكفر إلى نور الطاعة، ولا عجب فمن مدرسة النبوة تخرج هذا الصحابي وغيره، ممن لا يؤذون الناس بل يغمرونهم بعطفهم ورحمتهم وسماحتهم وإحسانهم، ولذا قال عنه عمر: وددت أن لي رجلا مثل عمير بن سعد أستعين به على أعمال المسلمين (٣٧).

٨ - وعن مجاهد قال: كنت عند عبد الله بن عمرو رضى الله عنه وغلامه يسلخ شاة فقال: يا غلام إذا فرغت فابدأ بجارنا اليهودي، فقال رجل من القوم: اليهودي أصلحك الله؟ قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يوصي بالجار حتى خشينا أو روينا أنه سيورثه [١].

٩ - وفي خلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى كتب إلى عدي بن أرطأة: وانظر من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنه وضعفت قوته وولت

(١) **(صحيح)** أخرجه (خد) وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ١٢٨/٩٥.

عنه المكاسب فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه (٦).

١٠ - وهذه شهادة من نصارى الشام في صدر الإسلام حيث كتب النصارى في الشام سنة ١٣هـ إلى أبي عبيدة بن الجراح رضى الله عنه يقولون: " يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا أنتم أوفى لنا وأرأف بنا وأكف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا " (٤٣).

واستمر هذا النهج في معاملة غير المسلمين عبر تاريخ الإسلام (٣٠).

١١ - وهذه كلمة بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية البابا شنودة الثالث أمام الرئيس محمد أنور السادات : أريد أن أذكر أن الإسلام في جوهره وروحه وفي أساسه يعامل غير المسلمين معاملة طيبة، نذكر من هذا الميثاق الذي أعطي لنصارى نجران،..والوصية التي قدمها الخليفة الإمام عمر بن الخطاب قبل موته،.. والميثاق الذي أعطاه خالد بن الوليد لأهل دمشق، والميثاق الذي أعطاه عمرو بن العاص لأقباط مصر وأذكر أيضا العبارة الإسلامية الجميلة **استوصوا بالقبط خيرا فإن لنا فيهم نسبا ورحما**، وأذكر الحديث الشريف **من آذى ذميا فليس منا، العهد لكم ولأبنائكم عهداً أبديا لا ينفذ يتولاه ولي الأمر ويرعاه**. وأذكر أيضا سماحة الإسلام ذلك الشرع الجميل الذي يقول: وإن أتاك أهل الذمة فاحكم بينهم بما يدينون، وهكذا أعطى الإسلام حرية الدين لغير المسلمين. أذكر أيضا في سماحة الإسلام في عهوده ومواثيقه للمسيحيين في كنائسهم وصوامعهم.. وأملاكهم وأرواحهم وكل شيء، أذكر أن عمرو بن العاص عندما أتى مصر كان بطريرك مصر البابا بنيامين البطريرك الثامن والثلاثون معزولاً منفيًا، وكان مختلفا مع إخوانه المسيحيين المختلفين عنه في الإيمان ثلاثة عشر عاما لم يجلس على كرسيه، فلما أتى عمرو بن العاص أمنه على نفسه وعلى كنائسه، والكنائس التى أخذها منه الروم أرجعها إليه، بل ساعده أيضا في بناء كنيسة في الإسكندرية.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس الرابع والستون:
الرد على شبهة أن الإسلام نشر بالسيف

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، يقول الأستاذ محمد السيد عبد الرازق: وهذا الاتهام الإسلام منه بريء فقد احترم الإسلام حرية الاعتقاد، وقاتل من أجلها، وجعل الأساس في الاعتقاد أن يكون بالاختيار الحر الخالي من كل إكراه، ونصوص الكتاب والسنة وواقع المسلمين قديما وحديثا يؤكد على أن الإسلام لا يجبر أحدا على تغيير عقيدته، انظر إلى قول الله تعالى**{وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ}** [الكهف:٢٩] وقوله تعالى:**{لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}** [البقرة:٢٥٦] وقوله تعالى**{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ(٦)}** [الكافرون: ١ - ٦]، ولماذا نذهب بعيدا، فقد أجريت دراسة صدرت مؤخرا بعنوان: " انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء " لأحد المنصفين، وهو الباحث النصراني المصري الدكتور " نبيل لوقا بباوى " أثبت فيها براءة الإسلام من تهمة نشر الإسلام بالقوة، وهدفت الدراسة إلى عقد مقارنة بين هذا الاضطهاد الديني الذي وقع على المسيحيين الأرثوذكس من قبل الدولة الرومانية ومن المسيحيين الكاثوليك وبين الذي حققته الدولة الإسلامية في مصر، وحرية العقيدة الدينية التي أقرها الإسلام لغير المسلمين وتركهم أحراراً في ممارسة شعائرهم الدينية داخل كنائسهم، وتطبيق شرائع ملتهم في الأحوال الشخصية، مصداقا لقوله تعالى**{لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}** [البقرة:٢٥٦]، وتحقيق العدالة والمساواة في الحقوق والواجبات بين المسلمين وغير المسلمين في الدولة الإسلامية إعمالا للقاعدة الإسلامية " لهم ما لنا وعليهم ما علينا "، وهذا يثبت أن الإسلام لم ينتشر بالسيف والقوة لأنه تم تخيير غير المسلمين بين قبول الإسلام أو البقاء على دينهم مع دفع الجزية ضريبة الدفاع عنهم

وحمايتهم وتمتعهم بالخدمات، فمن اختار البقاء على دينه فهو حر.. وقد كان في قدرة الدولة الإسلامية أن تجبر المسيحيين على الدخول في الإسلام بقوتها، أو أن تقضي عليهم بالقتل إذا لم يدخلوا في الإسلام قهراً، ولكن الدولة الإسلامية لم تفعل ذلك تنفيذا لتعاليم الإسلام ومبادئه، فأين دعوى انتشار الإسلام بالسيف؟

كما أن الجزية التي فرضت على غير المسلمين في الدولة الإسلامية بموجب عقود الأمان التي وقعت معهم، إنما هي ضريبة دفاع عنهم في مقابل حمايتهم والدفاع عنهم من أي اعتداء خارجي، لإعفائهم من الاشتراك في الجيش الإسلامي حتى لا يدخلوا حرباً يدافعون فيها عن دين لا يؤمنون به.

والجزية كانت نظير التمتع بالخدمات العامة التي تقدمها الدولة للمواطنين مسلمين وغير مسلمين، والتي ينفق عليها من أموال الزكاة التي يدفعها المسلمون بصفتها ركناً من أركان الإسلام، وهذه الجزية لا تمثل إلا قدرا ضئيلا متواضعاً لو قورنت بالضرائب الباهظة التي كانت تفرضها الدولة الرومانية على المسيحيين في مصر، ولا يعفى منها أحد، في حين أن أكثر من ٧٠% من الأقباط الأرثوذكس كانوا يعفون من دفع هذه الجزية؛ فقد كان يعفى من دفعها: القصر والنساء والشيوخ والعجزة وأصحاب الأمراض والرهبان.

وجاء في كتاب (سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين) للدكتور عبد الله اللحيان، أن خصوم الإسلام بهر عقولهم وأخذ بألبابهم ما رأوا من سماحة هذا الدين وتيسيره وما رأوا من سلوك أهله، فاستجابت نفوس الكثيرين إليه وإلى أهله وإن لم يؤمنوا به، فدون التاريخ شهاداتهم له ولأهله بحسن المعاملة والسماحة العظيمة، ونذكر من ذلك ما يلي: -

١ - تقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه: " العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام فالمسيحيون والزرادشتية واليهود الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلة للتعصب الديني وأفظعها سمح لهم جميعا دون أي عائق يمنعهم بممارسة شعائر دينهم وترك المسلمون لهم بيوت عبادتهم وأديرتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسوهم بأدنى أذى، أو

ليس هذا منتهى التسامح؟ ومن ذا الذي لم يتنفس الصعداء بعد الاضطهاد البيزنطي الصارخ وبعد فظائع الإسبان واضطهاد اليهود. إن السادة والحكام المسلمين الجدد لم يزجوا أنفسهم في شئون تلك الشعوب الداخلية. فبطريرك بيت المقدس يكتب في القرن التاسع لإخيه بطريرك القسطنطينية عن العرب: إنهم يمتازون بالعدل ولا يظلموننا ألبتة وهم لا يستخدمون معنا أي عنف " (٣٦).

٢ - يقول غوستاف لوبون: فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب ولا دينا سمحا مثل دينهم (٢١). ويتحدث عن صور من معاملة المسلمين لغير المسلمين فيقول: وكان عرب أسبانيا خلال تسامحهم العظيم يتصفون بالفروسية المثالية فيرحمون الضعفاء ويرفقون بالمغلوبين ويقفون عند شروطهم وما إلى ذلك من الخلال التي اقتبستها الأمم النصرانية بأوربا منهم مؤخرا (٢١).

٣ - ويقول هنري دي شامبون مدير مجلة " ريفي بارلمنتير " الفرنسية حيث قال: لولا انتصار جيش شارل مارتل الهمجي على العرب المسلمين في فرنسا لما وقعت بلادنا في ظلمات القرون الوسطى ولما أصيبت بفظائعها ولا كابدت المذابح الأهلية التي دفع إليها التعصب الديني المذهبي، لولا ذلك الانتصار الوحشي على المسلمين في (بواتييه) لظلت أسبانيا تنعم بسماحة الإسلام ولنجت من وصمة محاكم التفتيش لما تأخر سير المدنية ثمانية قرون ومهما اختلفت المشاعر والآراء حول انتصارنا ذاك فنحن مدينون للمسلمين بكل محامد حضارتنا في العلم والفن والصناعة مدعوون، لأن نعترف بأنهم كانوا مثال الكمال البشري في الوقت الذي كنا فيه مثال الهمجية (٣٨).

٤ - ويقول المستشرق دوزي: " إن تسامح ومعاملة المسلمين الطيبة لأهل الذمة أدى إلى إقبالهم على الإسلام وأنهم رأوا فيه اليسر والبساطة مما لم يألفوه في دياناتهم السابقة " (١٣).

٥ - ويقول المستشرق بارتولد: " إن النصارى كانوا أحسن حالا تحت حكم المسلمين إذ أن المسلمين اتبعوا في معاملاتهم الدينية والاقتصادية لأهل الذمة مبدأ الرعاية والتساهل " (١٣).

٦ - ويقول المستشرق ديورانت: " لقد كان أهل الذمة المسيحيون والزرادشتيون واليهود والصابئون يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيرا في البلاد المسيحية في هذه الأيام " (٤٦).

٧ - ويقول أحد الكتاب الأمريكيين المعاصرين وهو: آندرو باترسون: " إن العنف باسم الإسلام ليس من الإسلام في شيء بل إنه نقيض لهذا الدين الذي يعني السلام لا العنف " (٥٠).

٨ - ويقول بول فندلي وهو عضو سابق في الكونجرس الأمريكي: على المسلمين الإعلان جهرا عن هويتهم الإسلامية والبحث عن وسائل تمكنهم من عرض حقيقة دينهم على غير المسلمين.. ولا يجدر بهم انتظار حدوث أزمة كي يعلموا الآخرين بحقيقة دينهم.. لا بد للمسلمين أن يجاهروا بإسلامهم مجاهرة يكون سلوكهم الحسن معها وإنجازاتهم المجدية سبيلا للتعرف على الإسلام (٥٠).

٩ - يقول إدوار غالي الدهبي: لقد كانت سماحة الإسلام سببا في إسلام الشاعر الأمريكي رونالد ركويل فقال بعد أن أشهر إسلامه: لقد راعني حقا تلك السماحة التي يعامل بها الإسلام مخالفيه سماحة في السلم وسماحة في الحرب، والجانب الإنساني في الإسلام واضح في كل وصاياه.

إن عظمة هذا الدين لا تخفى إلا على من جهل حقيقة الإسلام أو عميت بصيرته عنه أو كان به لوثة من هوى أو حقد مقيت، وإلا فإن سماحة الإسلام في المعاملة وتيسيره في كل أموره، ظاهر بأدنى تأمل لمن طلب الحق وسعى إلى بلوغه، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٣٠).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس الخامس والستون:
الفتوحات الإسلامية كانت دليلا على عظم الإسلام

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، جاء في الموسوعة العربية العالمية أن الفتوح الإسلامية جاءت لنشر الإسلام عن طريق الدعوة والقدوة أو عن طريق القتال لمن صدَّ وأبى وأظهر العداوة. فطبيعة الإسلام تقتضي دخوله تلك الديار سلمًا عن طريق الدعوة والقدوة الحسنة، فإذا رفض أصحاب تلك البلاد الإسلام والتعايش مع النظام الإسلامي؛ أمر الخليفة المسلمين بفتحها. ولقد تكثفت هذه الفتوح في عصر صدر الإسلام.

كان من أهداف هذه الفتوحات حماية الدعوة من عدوان خصومها، سواء أكانوا من عرب الجزيرة نفسها، أم من خارجها، كالفرس والروم.

توخَّت تلك الفتوحات أيضًا تخليص الشعوب من طغاتها الظالمين ومن أوضاعها الدينية والاجتماعية السيئة. وقضت على الحق الذي كان يزعمه الملوك والرؤساء لأنفسهم من أن مشيئتهم هي مشيئة الله وأن الخضوع لهم خضوع لله. فعندما سأل رستم قائد الفرس في معركة القادسية ربعي بن عامر مبعوث سعد بن أبي وقاص إليه عن سبب مجيء المسلمين إلى العراق، قال ربعي: ‹الله جاء بنا، وهو بعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسل رسوله بدينه إلى خلقه، فمن قبله قبلنا منه ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه، ومن أبى قاتلناه حتى نُفضي إلى الجنة، أو الظفر›.

وعندما سأله رستم إن كان هو زعيم المسلمين، فردّ بقوله: ‹لا، ولكن المسلمين كالجسد الواحد، بعضهم من بعض، يجير أدناهم على أعلاهم›، وتعجب رستم من كلامه.

أرادت الأمة الإسلامية أن تنقل مُثُلَها التحررية إلى الشعوب المضطهدة، تلك المثل التي نلمحها في قول واحد من عامة الناس لعمر بن الخطاب وعلى ملأ من الناس، ‹والله لو رأينا فيك اعوجاجًا لقَّومناه بسيوفنا›، وقيل

مثل هذا لأبي بكر من قبل. وقال آخر لعمر: ¸لا نسمع ولا نطيع·، وذلك حين رأى عليه ثوبًا لم يعلم مصدره، بل ظن أنه من مال الدولة، ولم يترفع عمر عن بيان مصدر ثوبه الثاني. ولو كان حكام المسلمين مثل حكام الروم لما أمر عمر بأن يقتصّ ابن قبطي مصري من ولد واليه على مصر عَمْرو بن العاص وفي ملأ من الناس، وطلب من الغلام القبطي المظلوم أن يضرب عَمْرًا على صلعته، لأن ابنه تجرأ على الظلم لمكانة والده، وخاطب عمْرًا بكلمات خالدة: ¸متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟·. وكان الروم يسومون أهل مصر سوء العذاب، ولا يتجرأ أحد على رفع شكايته إلى رئيس الدولة.

ويعترف أحد المستشرقين وهو توماس آرنولد في كتابه (الدعوة إلى الإسلام): بأن القبائل النصرانية اعتنقت الإسلام عن اختيار وإرادة حرة، ويذكر أن النصارى كتبوا إلى المسلمين العرب يقولون لهم: ¸يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، أنتم أرأف بنا وآنف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا·.

لقد كانت الفتوحات الإسلامية حروبًا أخلاقية تقيدت بمبادئ الحق والعدالة والرحمة مع المغلوبين والمحاربين. وتمثل شيء من ذلك في عمر بن عبد العزيز فإنه حين وُلِّيَ الخلافة، وفد عليه قوم من أهل سمرقند فرفعوا إليه أن قتيبة بن مسلم دخل مدينتهم وأسكنها المسلمين بغير حق، فكتب عمر إلى عامله بأن ينصِّب لهم قاضيًا ينظر فيما ذكروا، فإن قضى بإخراج المسلمين، أخرجوا، فنصَّب لهم جميع بن حاضر الباجي قاضيًا، فحكم بإخراج المسلمين، على أن ينذرهم قائد الجيش الإسلامي بعد ذلك، وينابذهم وفقًا لمبادئ الحرب في الإسلام. ولكن أهل سمرقند كرهوا الحرب، وأقروا المسلمين للإقامة بين أظهرهم.

ولم يستغل الفاتحون سلطانهم لقهر الأمم التي غلبوها. وعندما رأى أهل الذمة وفاء المسلمين بعهودهم معهم وحسن سيرتهم فيهم، أصبحوا عيونًا للمسلمين على أعدائهم. واعترفوا بالفارق بين الحضارتين الإسلامية والرومية، عندما أمر أبو عبيدة برد الجزية التي أخذها من أهل حمص حين أيقن بعجزه عن حمايتهم من الروم. ويقول المستشرق روبنسون: ¸إن أتباع

محمد وحدهم هم الذين جمعوا بين معاملة الأجانب بالحسنى، وبين محبتهم لنشر دينهم، وكان من أثر هذه المعاملة الحسنة أن انتشر الإسلام بسرعة، وعلا قدر رجاله الفاتحين بين الأمم المغلوبة، وأدت هذه المعاملة إلى انحسار ظل النصرانية عن شمالي إفريقيا". ويقول دوابر: "إن العرب عاملوا اليهود في الأندلس أحسن معاملة. وعندما طرد النصارى العرب من الأندلس لم يطيقوا إبقاء اليهود، فدبروا لهم تهمًا، وأحرقوا عشرة آلاف يهودي في مدى عشر سنوات، واعترف البطريرك النسطوري إبشوياف الثالث إلى سيمون أسقف آردشير، بأن العرب لم يهاجموا العقيدة النصرانية، وأنهم يعطفون على دينهم، ويكرمون قِدِّيسيهم، ويساعدون الكنائس والأديرة".

كما كانت الفتوحات الإسلامية أيضًا حروبًا تهدف إلى نشر الدين الإسلامي بالحسنى، ومن منطلق سامٍ، بعيدًا عن الماديات، وذلك بدلالة ما وقع في أحداث الفتح الإسلامي من قضايا التّعفّف عند الغنيمة وأداء الأمانات والإخلاص لله ما يعجز التاريخ البشري عن إبراز نظائره. جاء في تاريخ الطبري أنه لما هبط المسلمون المدائن عاصمة الفرس وجمعوا الغنائم، أقبل رجل بحُقٍ معه، فدفعه إلى المسؤول عن حصر الغنائم. فقال الذين معه: ما رأينا مثل هذا قط، ما يعدله ما عندنا ولايقاربه، فسألوه إن كان قد أخذ منه شيئًا، فقال: أما والله لولا الله ما أتيتكم به، ورفض أن يفصح عن اسمه، حتى لا يُعرف فيُحمد، لأنه يريد حمد الله وثوابه، وليس حَمْد الناس. وأرسلوا وراءه رجلاً خِلْسةً ليعرفه، فعرفه من أصحابه، فإذا هو عامر بن عبد قيس رضي الله عنه.

ودخل عمر ذات يوم على أبي عبيدة أبرز قواد فتح الشام فلم ير في منزله إلا لبَدًا (حشايا من شعر أو صوف) وإناء وقربة ماء بالية، وسأله طعامًا، فأخرج له من سلة منشأة بالجلْد صغيرة كُسَيْرات، فبكى عمر وقال: "غيرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيدة". والذي يقف على سيرة عمر في الزهد يعرف دلالة عبارته لأبي عبيدة. وأرسل إليه عمر أربعمائة دينار، وسأل من أرسله أن يقف على ما يفعل بها، فجاءه الخبر بأنه وزعها كلها على المحتاجين، وأرسل مثلها إلى معاذ بن جبل، رضى الله عنه، فوزَّعها إلا القليل منها،

أعطاه زوجته لحاجتها. فقال عمر لما أخبر بهذا: ٍالحمد لله الذي جعل في الإسلام من يصنع هذا٠.

وعندما أرسل المقوقس حاكم مصر بعض رجاله ليتعرفوا له على أحوال الجيش الإسلامي الذي يحاصر حصن بابليون، عادوا ليقولوا له: ٍرأينا قومًا الموت أحب إليهم من الحياة، والتواضع أحب إليهم من الرِّفْعة... ليس لأحد منهم في الدنيا رغبة ولا نهمة.

جلوسهم على التراب، وأميرهم كواحد منهم، ما يُعرف كبيرهم من صغيرهم، ولا السيد فيهم من العبد.

بهرت مثل هذه المواقف والأحوال بعض المنصفين من المستشرقين، بل يقول بعض متعصّبيهم لغير الإسلام، وهو ستانلي في كتابه (العرب في أسبانيا): ٍإنَّ تحمس العرب للفتوح كان يؤجِّجه عنصر قوي من الرغبة في نشر الدين٠. وقد ذكرنا من قبل شهادة روبنسون من أن العرب كانوا يحبون نَشْر دينهم.(٧٠).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس السادس والستون:
الرد على شبهة تعدد الزوجات في الإسلام

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، تقول الصحفية الإنجليزية روز ماري هاو: " إن الإسلام قد كرم المرأة وأعطاها حقوقها كإنسانة، وكامرأة، وعلى عكس ما يظن الناس من أن المرأة الغربية حصلت على حقوقها.. فالمرأة الغربية لا تستطيع مثلاً أن تمارس إنسانيتها الكاملة وحقوقها مثل المرأة المسلمة. فقد أصبح واجباً على المرأة في الغرب أن تعمل خارج بيتها لكسب العيش. أما المرأة المسلمة فلها حق الاختيار، ومن حقها أن يقوم الرجل بكسب القوت لها ولبقية أفراد الأسرة. فحين جعل الله للرجال القوامة على النساء كان المقصود هنا أن على الرجل أن يعمل ليكسب قوته وقوت عائلته. فالمرأة في الإسلام لها دور أهم وأكبر من مجرد الوظيفة، وهو الإنجاب وتربية الأبناء، ومع ذلك فقد أعطى الإسلام للمرأة الحق في العمل إذا رغبت هي في ذلك، وإذا اقتضت ظروفها ذلك.

ويصر البعض على أن الإسلام ظلم المرأة حين أباح للرجل أن يتزوج عليها، وفي هذا إضرار بمصلحتها، فالإسلام حين يبيح للرجل التعدد؛ فإنما يسيجه بجملة من الضوابط، وهو يشرعه لأمر واقعي ملموس، وهو حاجة بعض الأزواج إلى الزواج بغير زوجته لمرضها أو لعدم قدرتها على الإنجاب، أو لغير ذلك من الأسباب، فتزوج الزوج بأخرى أولى من طلاق الأولى ليتزوج بغيرها، وأولى أيضاً من العلاقة المحرمة خارج نطاق الزوجية، فالتعدد المشروع يغلق الباب أمام تعدد العشيقات غير المشروع الذي يجتاح المجتمعات الإنسانية التي تمنع تعدد الزوجات، واستبدلته بتعدد العشيقات، إن البشرية لا غناء لها عن تعدد الزوجات إذا شاءت أن تحيى حياة العفة والطهر (٢٠).

جاء في (مجلة البيان) الجزء الثامن : كما أن الإسلام الذي أباح للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة إلى أربع نسوة، اشترط توفر العدل بين الزوجات.

وقد زعم أعداء الإسلام أن في ذلك إهانة للمرأة. وللرد على ذلك نشير إلى عدة أمور هي:

١ - الإسلام أباح التعدد ولم يأمر به أو يحث عليه، وفرقٌ بين إباحة الشيء والأمر به، فالإسلام أباح التعدد حلاً لكثير من المشاكل الاجتماعية التي تحصل من جرَّاء منع التعدد وتحريمه.

٢ - اشتراط الإسلام العدل بين الزوجات في الإنفاق والمعاملة. فمن يتزوج بأكثر من واحدة ولم يعدل بين زوجاته كان آثماً في عمله كله. يقول تعالى:**{فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وثُلاثَ ورُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً}** [النساء: ٣]، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ يَمِيلُ مَعَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَحَدُ شِقَّيْهِ سَاقِطٌ}** [١].

٣ - عندما تكون الزوجة عقيماً، فالتعدد حلٌ لمشكلتها مع زوجها الذي قد يرغب بإنجاب الأولاد، ولاشك أن زواج زوجها بأخرى مع بقائها معه خيرٌ لها من أن يطلقها ويتزوج بأخرى.

٤ - عندما تكون الزوجة مريضة أو غير قادرة على القيام بواجباتها تجاه زوجها إما لمرض جسمي أو غيره، فإن زواج زوجها بأخرى مع بقائها معه خير لها من فراقها وهي على هذه الحالة.

٥ - عندما تكون نسبة النساء في مجتمعٍ ما أكثر من نسبة الرجال، لحروبٍ طحنت الرجال أو لغيرها من الأسباب، فإنه لا يوجد حل لمشكلة ذلك المجتمع وحفظه من براثن الفساد والفتن سوى التعدد.

٦ - وأخيراً فإن الإسلام قد جاء والتعدد كان نظاماً اجتماعياً معروفاً عند العرب وغيرهم من الأمم الأخرى، وكان بدون تحديد لعدد معين، فجعله الإسلام لا يزيد على أربع زوجات واشترط العدل بينهن حفظاً لحقوقهن.

معاشر الإخوة، تقول الزعيمة العالمية أني بيزانت: كثيرًا ما يرد على فكري

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (حم د ن هـ) وصححه الألباني في ص.ج ٦٥١٥.

أن المرأة في الإسلام أكثر حرية من غيره، فالإسلام يحمي حقوق المرأة أكثر من الأديان الأخرى التي تحظر تعدد الزوجات، وتعاليم الإسلام بالنسبة للمرأة أكثر عدالة، وأضمن لحريتها، فبينما لم تنل المرأة حق الملكية في إنكلترا إلا منذ عشرين سنة فقط، فإننا نجد أن الإسلام قد أثبت لها هذا الحق منذ اللحظة الأولى، وإن من الافتراء أن يقال: إن الإسلام يعتبر النساء مجردات من الروح.وتقول أيضا: متى وزنَّا الأمور بقسطاس العدل المستقيم ظهر لنا أن تعدد الزوجات الإسلامي الذي يحفظ ويحمي ويغذي ويكسو النساء أرجح وزنا من البغاء الغربي الذي يسمح بأن يتخذ الرجل امرأة لمحض إشباع شهواته، ثم يقذف بها إلى الشارع متى قضى منها أوطاره.

الإخوة الفضلاء، بخصوص تعدد زوجات النبي، قال الأستاذ سعيد أيوب في كتابه (زوجات النبي) فيما مختصره: كان تعدد الزوجات سنة جارية على امتداد المسيرة البشرية، لذا فإن الإسلام شرع التعدد وجعل له الضوابط والشروط.

ولقد كان التعدد بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسيلة من وسائل تشريع القوانين فلقد خرجت أحاديث عن أمهات المؤمنين تبين حركة الرسول وسكونه في بيته، ورويت الأحاديث التي تبين قمة العدل والقسط بين النساء، وتبين حسن معاشرتهن ورعاية جانبهن، قال تعالى:**{وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ** الله **وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً (٣٤)}** [الأحزاب:٣٤].

والنبي صلى الله عليه وسلم تزوج ببعض هؤلاء الزوجات للقوة، وببعض هؤلاء استمالة للقلوب وتوقيا من بعض الشرور، وببعض هؤلاء ليقوم على أمرها بالإنفاق وإدارة المعاش وليكون سنة جارية بين المؤمنين في حفظ الأرامل والعجائز من المسكنة والضيعة، وببعضها لتثبيت حكم أو لهدم البدع الجارية بين الناس، كما في تزوجه بزينب بنت جحش رضى الله عنها ، وقد كانت زوجة لزيد بن حارثة رضى الله عنه ثم طلقها زيد وقد كان يدعي زيد بن محمد على نحو التبني، وكانت زوجة المدعو ابنا عندهم كزوجة الابن الصلبي لا يتزوج بها الأب، فأبطل الإسلام ذلك، ونلاحظ أنه تزوج أول ما تزوج بخديجة رضى الله عنها ، وعاش معها مقتصرا بضعا

وعشرين سنة، وبعد وفاتها تزوج بسودة بنت زمعة رضى الله عنها وقد توفي عنها زوجها بعد الرجوع من هجرة الحبشة، وكانت سودة رضى الله عنها مؤمنة مهاجرة، ولو رجعت إلى أهلها وهم يومئذ كفار لفتنوها كما فتنوا غيرها من المؤمنين والمؤمنات بالزجر والقتل والإكراه على الكفر.

وتزوج بزينب بنت خزيمة رضى الله عنها بعد قتل زوجها عبيدة بن الحارث يوم بدر شهيدا وكانت من السيدات الفاضلات في الجاهلية تدعى أم المساكين لكثرة برها للفقراء والمساكين، فصان رسول الله صلى الله عليه وسلم بزواجها ماء وجهها.

وتزوج بأم سلمة رضى الله عنها ، واسمها هند، وكانت من قبل زوجة عبد الله بن عبد الأسد أبي سلمة رضى الله عنه، أول من هاجر إلى الحبشة توفي من أثر جرح أصابه يوم أحد، وكانت أم سلمة رضى الله عنها زاهدة فاضلة ذات دين ورأي، فلما توفي عنها زوجها وكانت ذات أيتام تزوج بها النبي صلى الله عليه وسلم.

وتزوج بجويرية رضى الله عنها واسمها برة بنت الحارث سيد بني المصطلق بعد وقعة بني المصطلق، وقد كان المسلمون أسروا منهم كثيرا من بيوتهم بالنساء والذراري، فتزوج النبي صلى الله عليه وسلم بها، فقال المسلمون: هؤلاء أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي أسرهم وأعتقوهم جميعا، فأسلم بنو المصطلق بذلك ولحقوا عن آخرهم بالمسلمين وكانوا جما غفيرا وكان لذلك أثر حسن في سائر العرب وكان هذا العمل من الأسباب الرئيسية لتصدع جبهة المشركين، وذلك أن أبا سفيان بن حرب كان يرتكز في حربه للنبي صلى الله عليه وسلم على هذا البطن من خزاعة بني المصطلق، فلما أسلموا تصدعت جبهة أبي سفيان، وفتح الطريق أمام الدعوة بعد ذلك وأرسلت الرسائل إلى القادة والملوك.

وتزوج بصفية بنت حيي بن أخطب رضى الله عنها من نسل هارون عليه السلام، وكانت في سبي خيبر فاصطفاها وأعتقها وتزوج بها، وأقيمت بهذا الزواج حجة دامغة على اليهود.

وتزوج أم حبيبة رضى الله عنها واسمها رملة بنت أبي سفيان وكانت

زوجة عبيد الله بن جحش، وهاجر معها إلى الحبشة الهجرة الثانية فتنصر عبيد الله هناك، وثبتت هي على الإسلام، وكان أبوها أبو سفيان في مكة يجمع الجموع على الإسلام يومئذ، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحصنها.

وتزوج عائشة بنت أبي بكر وهى بكر، ولعل الحكمة من زواج رسول الله بعائشة هو إكرام صديقه ووزيره أبو بكر الصديق رضى الله عنه، وتزوج بحفصة بنت عمر رضى الله عنها ، وقد مات زوجها بعد مقدم النبي صلى الله عليه وسلم من بدر، ولعل الحكمة من زواج رسول الله بحفصة هو إكرام صديقه ووزيره عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

فمن قال: إن تعدد الزوجات لا يخلو من الانقياد لداعي الشهوة، فأين هذا الانقياد وهذا الداعي؟، فإنه بنى بالثيب قبل البكر، وبالعجوز قبل الفتاة الشابة، فقد بنى بسودة بنت زمعة وهي مسنة، وبنى بزينب بنت جحش وسنها يومئذ يقرب على الخمسين بعدما تزوج بمثل عائشة وأم حبيبة، بالإضافة إلى ذلك فلقد خير رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه بين التمتيع والسراح الجميل وهو الطلاق إن كن يردن الدنيا وزينتها، وبين الزهد في الدنيا إن كن يردن الله ورسوله والدار الآخرة، فهذا المعنى لا ينطبق على حال رجل مغرم بجمال النساء صاب إلى وصالهن، كما أن الكفار والمشركين والمنافقين لم يعترضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعدد زوجاته على الرغم من أنهم كانوا يتربصون به الدوائر، وعدم احتجاجهم يعود إلى معرفتهم بأنه صلى الله عليه وسلم له مختصات منعت عنها الأمة.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس السابع والستون:
الرد على شبهة حجاب المرأة المسلمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، إن أعداء الإسلام فطنوا لمكانة المرأة الأساسية ودورها في صنع الأمة وتأثيرها على المجتمع، ولذلك أيقنوا أنهم متى ما أفسدوها تهون عليهم حصون الإسلام، بل يدخلونها بكل يسر وسهولة.

يقول فضيلة الشيخ محمد بن جميل زينو**:** لقد كرم الإسلام المرأة بأن جعلها مربية للأجيال، وربط صلاح المجتمع بصلاحها، وفرض عليها الحجاب ليحفظها من الأشرار، ويحفظ المجتمع من سفورها، والحجاب يُبقي المودة والرحمة بين الزوجين، فالرجل عندما يرى امرأة أجمل من زوجته تسوء العلاقة بينهما، وربما يؤدي ذلك إلى الفراق، وقد ورد ذكر الحجاب في القرآن الكريم.

قال الله تعالى:**{يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ}** [الأحزاب: ٥٩].

معاشر الإخوة والأخوات**:** تبدأ المرأة بارتداء الحجاب الشرعي عند البلوغ أى نزول دم الحيض أو خروج شعر العانة أو وصول سنها خمسة عشر عاما أيهم أول، ومن شروط الحجاب أن يكون ساترا للجسم ولايظهر من الجسم شيئا إلا ماتحتاجه للتمكن من المسير - وإن كان بعض العلماء قد رخص في كشف الوجه واليدين - وعلى كل حال فيجب أن يكون لبس المرأة فضفاضا غير شفاف وليس بزينة لأن الحجاب الهدف منه هو ستر زينة المرأة الظاهرة والباطنة، وينبغي للمرأة ألا تخرج متعطرة وتلزم بيتها إلا للضرورة.

وقال تعالى:**{وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً}** [الأحزاب:٣٣]، وينبغي عليهن عدم

لبس الأحذية ذات الكعب الذى يصدر منه صوت عند السير.

والمرأة مأمورة بستر عورتها عن كل أحد؛ إلا عن زوجها، وتستر عورتها عن النساء كما تسترها عن الرجال؛ ولا يجوز للمرأة أن تلبس القصير من الثياب أمام أولادها ومحارمها، ولا تكشف عندهم إلا ما جرت العادة بكشفه عن النساء؛ كالوجه واليدين والقدمين؛ مما تدعو الحاجة إلى كشفه، ولا يجوز للمرأة أن تنظر لعورة المرأة ولو كانت ابنتها إذا بلغت ابنتها سن الحلم. وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: لاَ يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ، وَلاَ الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ، وَلاَ يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَلاَ تُفْضِي الْمَرْأَةُ إِلَى الْمَرْأَةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ[١].

ولقد ثبت في السنة الصحيحة أن من أصناف النار النساء الكاسيات العاريات، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :{**صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ** - أي تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهارا لجمالها ونحوه وقيل: معناه تلبس ثوبا رقيقا يصف لون بدنها - **مُمِيلَاتٌ** - أي يعلمن غيرهن الميل وقيل: مميلات لأكتافهن - **مَائِلَاتٌ** - أي يمشين متبخترات وهي مشية البغايا، **رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا**}[٢].

فتبرج المرأة له مفاسد كثيرة على الفرد والمجتمع نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر مايلى: إحداث الفتنة، وزوال الحياء عن المرأة وبزوال الحياء عن المرأة ينقص إيمانها، وافتتان الرجال بها لاسيما إذا كانت جميلة وحصل منها ضحك ومداعبة، واختلاط النساء بالرجال، وضياع الأمن والأمان بسبب اندفاع الشباب للحصول على شهواتهم المحرمة مع هؤلاء النساء المتبرجات بأى وسيلة فقد يدفعون لاغتصابهم وقتلهم وقتل من

(١) (**صحيح**) أخرجه (م) ٣٣٨.
(٢) (**صحيح**) أخرجه (م) ١٢٥.

يتعرض لهم، وغضب الله تعالى على العباد وارتفاع نصرة الله عنهم.

إخوتي في الله، لا يجوز للمرأة أن تنظر إلى الرجال الأجانب حتى ولو كانت صورا لهم أو من خلال أفلام الفيديو أو التلفاز فلا يجوز النظر إليهم.

ولا يجوز للمرأة أن تدخل عليها من ليس من محارمها سواء كان من أقارب الزوج أو من أقاربها أو أحدا آخرا طالما لا يوجد معها أحد محارمها من الرجال ولم تستدعِ الضرورة إدخاله.

ويقول الأستاذ محمد السيد عبده عبد الرازق: هذه صحفية أمريكية تدعى (هيلسيان ستانسبري) بعد أن أمضت في القاهرة عدة أسابيع، ثم عادت إلى بلادها، تقول: " إن المجتمع العربي كاملٌ وسليمٌ، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليدِهِ التي تُقَيِّدُ الفتاة والشاب في حدود المعقول، وهذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوروبي والأمريكي، فعندكم أخلاقٌ موروثةٌ تحتِّم تقييد المرأة، وتُحتِّم احترام الأب والأم، وتُحَتِّم أكثر من ذلك عدم الإباحية الغربية؛ التي تهدم اليوم المجتمع والأسرة في أوروبا وأمريكا... امنعوا الاختلاط وقيّدوا حرية الفتاة، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب، فهذا خيرٌ لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوروبا وأمريكا، لقد أصبح المجتمع الأمريكي مجتمعاً معقداً مليئاً بكلِّ صور الإباحية والخلاعة.. وإن ضحايا الاختلاط والحرية يملؤون السجون والأرصفة والبارات والبيوت السرية، إن الحرية التي أعطيناها لفتياتنا وأبنائنا الصغار قد جعلت منهم عصابات أحداث وعصابات للمخدارت والرقيق، تقول الكاتبةُ (آرنون): " لأن يشتغل بناتنا في البيوت خوادمَ خيرٌ وأخفُّ بلاءً من اشتغالهن بالمعامل، حيثُ تصبحُ المرأة ملوثةً بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد، ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف والطهارة ".

ولقد أمر الله تعالى المؤمنات بغض البصر وإرتداء الحجاب الشرعي في سورة النور، قال تعالى:**{وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ**

الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(٣١)} [النور:٣١].

المعنى: فالله تعالى يأمر المؤمنات أن يغضضن من أبصارهن عمَّا لا يحلُّ لهن من العورات، ويحفظن فروجهن عمَّا حَرَّم الله، ولا يُظهرن زينتهن للرجال، بل يجتهدن في إخفائها إلا الثياب الظاهرة التي جرت العادة بلُبْسها، إذا لم يكن في ذلك ما يدعو إلى الفتنة بها، وليلقين بأغطية رؤوسهن على فتحات صدورهن مغطيات وجوههن؛ ليكمل سترهن، ولا يُظْهِرْنَ الزينة الخفية إلا لأزواجهن؛ إذ يرون منهن ما لا يرى غيرهم. وبعضها، كالوجه، والعنق، واليدين، والساعدين يباح رؤيته لآبائهن أو آباء أزواجهن أو أبنائهن أو أبناء أزواجهن أو إخوانهن أو أبناء إخوانهن أو أبناء أخواتهن أو نسائهن المسلمات دون الكافرات، أو ما ملكن مِنَ العبيد، أو التابعين من الرجال الذين لا غرض ولا حاجة لهم في النساء، مثل البُلْه الذين يتبعون غيرهم للطعام والشراب فحسب، أو الأطفال الصغار الذين ليس لهم علم بأمور عورات النساء، ولم توجد فيهم الشهوة بعد، ولا يضرب النساء عند سَيْرهن بأرجلهن ليُسْمِعْن صوت ما خفي من زينتهن كالخلخال ونحوه، وارجعوا - أيها المؤمنون - إلى طاعة الله فيما أمركم به من هذه الصفات الجميلة والأخلاق الحميدة، واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة؛ رجاء أن تفوزوا بخيري الدنيا والآخرة.

أما العجائز من النساء اللائي لا يطمعن في الرجال للزواج فهؤلاء لا حرج عليهن أن يضعن بعض ثيابهن، ولُبْسهن الحجاب أحسن لهن قال تعالى:**{وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاء اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(٦٠)}** [النور:٦٠].

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس الثامن والستون:
الرد على شبهة عدم المساواة بين الرجل والمرأة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، جاء في كتاب (المرأة وكيد الأعداء) للدكتور عبد الله بن وكيّل الشيخ: أن من أكثر الشبهات التي يرددها المستشرقون حول عدم المساواة بين الرجل والمرأة التي انساق خلفها قوم من بني جلدتنا، ومما لا ينكره إلا جاحد أن الإسلام أكرم المرأة وأعطاها حقوقها وصحح أوضاعها جميعا، وبادئ ذي بدء أقول:

أولا: إن طلب المساواة يتنافى مع فطرة الله التي فطر الجنسين عليها، إن الجنس الواحد رجلاً أو امرأة لا يمكن أن يطلب أحدٌ المساواة بين أفراده كافة، بل إنَّ الحياة كلها تفسد لو أريد مثل هذه المساواة، بل إن قوانين المادة كلها في هذه الحياة قائمة على التميز والتباين فإذا كان لا يمكن المساواة بين جنس الرجال فكيف بين جنس الرجال والنساء؟!

ثانيا: إننا بجانب رفضنا لمبدأ المساواة المطلق، نعتقد أن هناك قدراً من المساواة بين الرجل والمرأة، والذي ينبغي أن يطلق عليه بأنه عَدْلٌ وليس بمساواة.

أ - فالمرأة تساوي الرجل في أصل التكليف بالأحكام الشرعية مع بعض الاختلاف في بعض الأحكام التفصيلية.

ب - والمرأةُ تساوي الرجل في الثواب والعقاب الدنيوي والأخروي في الجملة، قال تعالى:{**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**} [التوبة:٧١].

ج - والمرأة تساوي الرجل في الأخذ بحقها، وسماع القاضي لها، والمرأة كالرجل في تملكها لمالها، وتصرُّفُها فيه.

د - وهي كالرجل في حرية اختيار الزوج، فلا تكره على ما لا تريد.

ثالثا: إن مما يميز الإسلام أنه يحتفظ الرجل برُجُولته، ومن أجل هذا حُرِّم عليه الذهب والحرير، وأن تبقى المرأة محتفظة بأنوثتها، ومن أجل ذلك حُرِّم عليها الاختلاط بالرجال، والتَّبَذُّلُ أمامهم، وغشيان تجمعاتهم.

رابعا: إن المساواة المزعومة التي يتشدق بها هؤلاء الأفاكون لم تجن المرأة من ورائها إلا الضياع والخسران، وواقعهم أصدق دليل على هذا.

تؤكد آخر الإحصائيات عن أحوال المرأة في العالم الغربي أنها تعيش أتعس فترات حياتها المعنوية على رغم البهرجة المحيطة بحياة المرأة الغربية التي يعتقد بعض الناس أنها نالت حريتها، والمقصود من ذلك هو النجاح الذي حققه الرجل في دفعها إلى مهاوي ممارسة الجنس معه من دون عقد زواج يتوج مشاعرها ببناء أسرة فاضلة.

إخوتي في الله، لقد عمل الإسلام على صيانة المرأة وحمايتها في جميع أحوالها وأوضاعها، فهي إن كانت أماً: فقد قرنَ الله حقَّها بحقّه، فقال:{**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**} [الإسراء:٢٣]، وأي تكريم أعظم من أن يُقْرِن الله حقها بحقه، وجعلها الرسول صلى الله عليه وسلم أحقَّ الناس بحسن الصحبة وإسداء المعروف، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ:{**أُمُّكَ**}، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ:{**ثُمَّ أُمُّكَ**}، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ:{**ثُمَّ أُمُّكَ**}، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ:{**ثُمَّ أَبُوكَ**} [(١)].

والإحسان إليهما مقدم على جهاد التطوع ما لم يتعين الجهاد، فَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضى الله عنه قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: جِئْتُ أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَتَرَكْتُ أَبَوَيَّ يَبْكِيَانِ فَقَالَ:{**ارْجِعْ عَلَيْهِمَا فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا**}[(٢)].

وهي إن كانت بنتاً: فحقها كحق أخيها في المعاملة الرحيمة، والعطف الأبويِّ؛ تحقيقاً لمبدأ العدالة، قال تعالى:{**إِنَّ الله يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ**} [النحل:٩٠]، وقال تعالى:{**اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**} [المائدة:٨]. وهاهو رسولُ

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٥٦٢٦ و (م) ٢٥٤٨ واللفظ للبخاري.
(٢) **(صحيح)** أخرجه (د) وصححه الألباني في صت ٢٤٨١.

الهدى صلى الله عليه وسلم، يُعدّ من كبائر الذنوب تلك اليد التي تمتد للطفلة البريئة فتواريها في التراب، فَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُرَحْبِيلَ عَنْ عَبْدِ الله قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ:{**أَنْ تَجْعَلَ لِله نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**}قَالَ: فَقُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ:{**أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ**} قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ:{**أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ**} قَالَ: وَأَنْزَلَ الله تَعَالَى تَصْدِيقَ قَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم{**وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ الله إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ**} (١).

ويرغّب النبي صلى الله عليه وسلم في الإحسان إليهن، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :{**مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ وَضَمَّ أَصَابِعَهُ**} (٢).

وهي في الإسلام عمادُ المجتمع، للزوجة على زوجها حقوقٌ يحميها الشرع، وينفذها القضاء عند التَّشاجر، وليست تلك الحقوق موكولةً إلى ضمير الزوج فحسب وليس المقام مقام بسطها، وإنما هذا قليل من كثير:

١ - **المهر**، وهو عطيَّةٌ محضةٌ فرضها للمرأة، ليست مقابل شيء، يجب عليها بذلُهُ إلا الوفاء بحقوق الزوجية، كما أنه لا يقبلُ الإسقاط، ولو رضيتِ المرأةُ إلا بعد العقد:{**وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً**} [النساء:٤].

٢ - **النفقة عليها بالمعروف**،{**وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**} [البقرة:٢٣٣].

٣ - **المسكن والملبس**، قال تعالى:{**أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ**} [الطلاق:٦]، وبجانب هذه الحقوق المادية لها حقوقٌ معنويةٌ منها:

١ - **حرية اختيار الزوج**، فليس لأبيها أن يُكْرِهَهَا على ما لا تريد، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:{**لَا تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ وَلَا الثَّيِّبُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ**}، قِيلَ يَا رَسُولَ الله كَيْفَ إِذْنُهَا؟

(١) **(صحيح)** أخرجه (د ت ن) وصححه الألباني في صت ٢٤٠٣

(٢) **(صحيح)** أخرجه (م) ٢٦٣١.

قَالَ:{**إِذَا سَكَتَتْ**}[١].

٢ - ويجب على زوجها أن يعلمها أصول دينها، قال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**}، [التحريم:٦].

٣ - أن يغار عليها ويصونها من العيون الشريرة، والنفوس الشرهة، فلا يوردها مشارع الفساد، ولا يغشى بها دُور اللهو والخلاعة، ولا ينزع حجابها بحجة المدنية والتطور.

٤ - المعاشرة بالمعروف والإحسان، فلا يَسْتفزُّه بعضُ خطئها، أو يُنْسيه بعضُ إساءتها:{**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً**} [النساء:١٩] فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :{**لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ**} [٢].

وهي إن لم تكن أماً ولا بنتاً ولا زوجة: فهي من عموم المسلمين، يُبْذل لها من المعروف والإحسان ما يُبذل لكل مؤمن، ولها على المسلمين من الحقوق ما يجب للرجال.

هذه لمحة سريعة عن صور من إكرام الإسلام للمرأة، لا يمكن أن توجد في أي مجتمع من المجتمعات بدون الإسلام، بل الأعداء الذين جاؤوا إلى بلاد المسلمين قد أقرُّوا بأنه لا يوجدُ دينٌ أكرم المرأةَ كما أكرمها الإسلام، ولا شريعةٌ أعزَّت المرأة وأعطتها كامل حقوقها كما فعل الإسلام.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٦٥٦٧.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (م) ١٤٦٩.

الدرس التاسع والستون:
الرد على شبهة ظلم الإسلام للمرأة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، ادعى بعض المستشرقين أن الإسلام ظلم المرأة، فسمح للرجل أن يضرب امرأته، وظلم المرأة بتعريضها للطلاق، ولم يساو بين الرجل والمرأة في الميراث، وجعل شهادة الرجل بشهادة امرأتين.

ولقد جاء في كتاب (العنف ضد المرأة) للأستاذ حسام الدين الطرفاوي أن الشرع الإسلامي حرص على تقويم عوج المرأة بما يفيد صلاحها، والعاقلة منهن تعتبر أن هذا عدل معها نتيجة انحرافها عن مسار الحياة الصحيح، وظلمها لغيرها سواء زوجها أو أقاربها أو أولادها.

ونقصد في مسألة الضرب خاصة ضرب الزوج لزوجته وقد جاءت بها الشريعة بضوابطها وشروطها قال تعالى:{**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ وَاللاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً**} [النساء:٣٤].

والمعنى الشرعي للنشوز هو خروج المرأة عن طاعة زوجها، ورفضها له، وإظهار بغضها له، وارتفاعها بالكلام عليه. ورفضه في الفراش.

ولقد بين الله تبارك وتعالى طرق التعامل مع نشوز المرأة بغير وجه حق.

المرتبة الأولى: الوعظ، فالوعظ يحمل معنى الرفق واللين والشفقة والحنان والنصح وإظهار المودة والتذكير بعواقب الأمور، ومعرفة أسباب النشوز ومحاولة إيجاد حلول لها

المرتبة الثانية: الهجر في المضجع، وهذه المرتبة تكون حين لم تنفع الأولى،

في هذا الحين يلجأ الزوج إلى ترك جماع زوجته ويوليها ظهره في مضجعها.

المرتبة الثالثة: الضرب غير المبرح، وهذه المرتبة لا يلجأ إليها إلاَّ إذا تيقن الزوج من فائدتها مع زوجته، وإلا فلا يلجأ إليه.

وللضرب ضوابط:منها: أن يكون ضرب تأديب لا ضرب انتقام، ومنها: لا يكون مبرحا، بمعنى أن لا يترك عاهة في جسدها، وألا يكسر عظما، ولا يسيل دما، وأن يؤلم؛ وإلا ما الفائدة منه؟**!** فالقصد من الضرب هو التقويم ولا يكون إلا إذا أحدث ألمًا. وإذا أحدث عاهة أو جرحا أو كسر عظما فعليه دية ذلك، وإذا ضرب الرجل زوجته فعليه أن يتجنب الوجه: وَعَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْقُشَيْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟ قَالَ:{**أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ أَوْ اكْتَسَبْتَ، وَلا تَضْرِبْ الْوَجْهَ، وَلا تُقَبِّحْ، وَلا تَهْجُرْ إلا فِي الْبَيْتِ**} [١]

فإذا أصرت المرأة على الشقاق والنشوز تبدأ مرحلة الإصلاح قال الله تعالى:{**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ الله بَيْنَهُمَا إِنَّ الله كَانَ عَلِيماً خَبِيراً**} [النساء:٣٥].

ولابد أن يكون الحكمان عاقلين يتصفان بالحكمة، ولهما يد على كلا الطرفين. ويتوسم فيهما الصلاح.

ونحن نسأل كل من يتهم الإسلام بالظلم: هل في تاريخ الإنسانية طرق لحل المشاكل بين الزوجين أعدل وأفضل وأنجح مما ذكره الله تعالى؟**!!**

وإذا فشلت كل المحاولات السابقة في حل المشكلة وقد أصرت المرأة على ذلك تأتي مرحلة الطلاق، قال تعالى:{**الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلا أَنْ يَخَافَا أَلا يُقِيمَا حُدُودَ** الله **فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا يُقِيمَا حُدُودَ** الله **فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ** الله **فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ** الله **فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**} [البقرة:٢٢٩].

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (د حب) وصححه الألباني في صت ١٩٢٩.

وروى البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ امْرَأَةَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ أَتَتْ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ مَا أَعْتِبُ عَلَيْهِ فِي خُلُقٍ وَلا دِينٍ؛ وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الْكُفْرَ فِي الإسلام فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{أَتَرُدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ؟}** قَالَتْ: نَعَمْ،قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**{اقْبَلْ الْحَدِيقَةَ وَطَلِّقْهَا تَطْلِيقَةً}** [(١)] أ.هـ.

وجاء في (مجلة البيان): ومع ذلك اتخذ أعداء الإسلام من إباحة الإسلام للطلاق منطلقاً للتهجم عليه، وزعموا أن في ذلك إهانة لكرامة المرأة وسبباً في تشرد الأولاد. وللرد على ذلك نشير إلى عدة أمور:

١ - رغب الإسلام في الصلح بين الزوجين وإيجاد الحل لمشاكلهما قبل البتّ في الطلاق. فقد يكون سبب النزاع عوامل خارجية عن حياة الزوجين الخاصة يمكن إيجاد حل لها وتستقيم الأمور، يقول تعالى:**{فَابْعَثُوا حكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وحكَماً مِّنْ أَهْلِهَا إن يُرِيدَا إصْلاحاً يُوَفِّقِ الله بَيْنَهُمَا}** [النساء: ٣٥]، فإن انسدت أبواب الإصلاح، ولم يكن التوفيق بينهما فالطلاق هو الحل الأخير، **{وإن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ الله كُلاً مِّن سَعَتِهِ}** [النساء: ١٣٠].

ومع ذلك ترك الإسلام للرجل والمرأة فرصة للتفكير؛ فشرع الطلاق الرجعي ليستطيع الرجل أن يراجع فيه امرأته بدون مهر أو عقد جديد إذا كانت لازالت في عدتها، أليس هذا من التكريم الذي جعله الله للمرأة في الإسلام. فلقد جاء الإسلام فرفع مكانة المرأة، وأكرمها بما لم يكرمها به دين سواه، حيث أثبت لها حقوقها المسلوبة في الإرث والنفقة..إلخ.

٢ - الإسلام حينما أباح الطلاق إنما وافق بذلك الفطرة السليمة بجعله حلاً لمشكلة اجتماعية قد تحصل بوجود خلاف وعدم التئام بين الزوجين ولا حل لهما إلا بالطلاق. ولنا أن نتصور كيف تكون الحال لو أن الطلاق ممنوع أو محرم، إن الحياة بين هذين الزوجين ستكون جحيماً لا يطاق. ولهذا نجد في أوربا أن القوانين فيها أخذت تجيز الطلاق مع أن الكنيسة النصرانية بتعاليمها المحرفة لازالت تحظر الطلاق حتى مع ثبوت الخيانة الزوجية. وكانت فقط تحكم بالتفريق الجسدي بين الزوجين مما سبّب

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٤٩٧١.

مشاكل اجتماعية خطيرة.

٣ - أمَّا زعم أعداء الإسلام أن الطلاق سبب لتشرد الأولاد في البلاد الإسلامية، فإن هذا غير صحيح ولا دليل له من الواقع. ذلك أن إحصائيات الطلاق في العالم الإسلامي أشارت إلى أن أكثره يقع في السنة الأولى من الزواج وقبل الإنجاب بسبب فشل اختيار أحدهما للآخر. وقد ورد في تلك الإحصائيات أن ٧٧% من وقائع الطلاق تقع قبل إنجاب أي ولد، وأن ١٧ % تقع بعد إنجاب طفل واحد.

ثم تتدنى النسبة كلما كثر عدد الأولاد. وحينما يقع الطلاق مع وجود الأولاد كفل الإسلام الحياة الكريمة للأولاد - في رعاية أحد الأبوين - وأوجب النفقة على الأب، بل أوجب الإسلام على الأب إعطاء الأم أجراً حتى على إرضاع ولدها. يقول تعالى:**{أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى}** [الطلاق: ٦].

معاشر الإخوة، بخصوص مسألة تنصيف ميراث المرأة للرد على المستشرقين الذين طرحوا هذه المسألة، على اعتبارها نوعاً من تمييز الرجل عن المرأة؛ فالمرأة لا تحصل على نصف نصيب الرجل إلا إذا كانا متساويين في الدرجة والسبب الذي يتصل به كل منهما إلى الميت مثل الابن والبنت وكذلك الأخ والأخت، يكون نصيب الرجل هنا ضعف نصيب المرأة. جاء

في القرآن الكريم:**{يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ}** [النساء: ١١]. وقال تعالى:**{وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}** [النساء: ١٧٦].

ورأى العلماء الحكمة السامية في تنصيف نصيب المرأة في الميراث؛ وحكمته أن الرجال تلحقهم مؤن كثيرة وتحمل غرامات ونفقات وغير ذلك. فالرجل تقع على كاهله إعالة الأسرة بما فيها البنات، فكان ذلك متمشياً تماماً مع تلك المسؤولية والعبء المالي المناط على عاتق الرجل.

الإخوة الأعزاء، يقول الدكتور مصطفى السباعى بخصوص أن الإسلام جعل الشهادة التي تثبت الحقوق شهادة رجلين عدلين أو رجل وامرأتين، وذلك في قوله تعالى في آية الدين:**{وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى}** [البقرة: ٢٨٢].

وإذا لاحظنا أن الإسلام مع إباحته للمرأة التصرفات المالية يعتبر رسالتها الاجتماعية هي القيام على شؤون الأسرة، وهذا ما يقتضيها لزوم بيتها في غالب الأوقات، أدركنا أن شهادة المرأة في حق يتعلق بالمعاملات المالية بين الناس لا يقع إلا نادراً، وما كان كذلك فليس من شأنها أن تحرص على تذكره حين مشاهدته، فإنها تمر به عابرة لا تلقي له بالاً، فإذا جاءت تشهد به كان أمام القاضي احتمال نسيانها أو خطأها ووهمها، فاذا شهدت امرأة أخرى بمثل ما تشهد به زال احتمال النسيان والخطأ، ومع هذا فإن الشريعة قبلت شهادتها وحدها فيما لا يطلع عليه غيرها، أو ما تطلع عليه دون الرجال غالباً، فقد قرروا أن شهادتها وحدها تقبل في إثبات الولادة، وفي الثيوبة والبكارة، وفي العيوب الجنسية لدى المرأة وهذا حين كان لا يتولى توليد النساء وتطبيبهن والاطلاع على عيوبهن الجنسية إلا النساء في العصور الماضية أ.هـ.

وأخيرا يكفي إزاء المزاعم المكذوبة عن وضع المرأة في الإسلام أن نتأمل الشهادة المنصفة للمفكر الفرنسي مارسيل بوازار في كتابه " إنسانية الإسلام ": " أثبتت التعاليم القرآنية وتعاليم محمد أنها حامية حمى حقوق المرأة (٢٠).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس السبعون:
الرد على من ادعى بشاعة الحدود الإسلامية

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، جاء في كتاب (سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين) للدكتور حكمت بن بشر أن إقامة الحدود الشرعية لا تنفد إلا بنطاق ضيق محدود، فقد يظن بعض الناس أن إقامة الحدود في الإسلام كإقامة الصلاة في كثرتها، والحق أن أحكام الشريعة الإسلامية تعد بالمئات لكن عدد الحدود التي تقام هي سبعة: الحرابة قطع الطريق، والردة، والبغي، والزنا، والقذف، والسرقة، وشرب الخمر، وإذا نفذت فإنه لا يمكن ذلك إلا بعد مراحل وشروط وذلك بعد التأكد من وقوع الجريمة وإقامة الحجة على الجاني كالاعتراف أو الشهادة عليه، وقد يصل عددهم إلى أربعة شهود في جريمة الزنا، ويشترط فيهم العدالة وعدم التهمة مما يدل على التحري والتثبت والاحتياط بهذا العدد الذي انفرد عن بقية الجرائم الأخرى.

والحكمة في ذلك أن الله تعالى يحب الستر، كما أن جريمة الزنا لا تقع إلا من اثنين فكأن كل شاهدين يشهدان على أحدهما.

فعلى سبيل المثال على قلة تنفيذ الحد لهذه الجريمة فإنه منذ أن نزل حد الزنا لم نسمع في تاريخ أمة الإسلام أن أُقيم حد الزنا بتوافر أربعة شهود، وكذلك لم تحد امرأة حتى لو تمت عليها الشهادة كما في الملاعنة إذا لم تقر بهذه الجريمة فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقم الحد على المرأة في قصة الملاعنة وذلك: فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ هِلاَلَ بْنَ أُمَيَّةَ قَذَفَ امْرَأَتَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِشَرِيكِ ابْنِ سَحْمَاءَ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم :{**الْبَيِّنَةَ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ**} فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِذَا رَأَى أَحَدُنَا عَلَى امْرَأَتِهِ رَجُلاً يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ الْبَيِّنَةَ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:{**الْبَيِّنَةَ وَإِلَّا حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ**}، فَقَالَ هِلاَلٌ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنِّي لَصَادِقٌ فَلَيُنْزِلَنَّ الله مَا يُبَرِّئُ ظَهْرِي مِنْ الْحَدِّ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ:{**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاء إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ**

أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّـهِ إِنَّـهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ} [النور:٦]، فَانْصَرَفَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَجَاءَ هِلاَلٌ فَشَهِدَ وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:{**إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ}** ثُمَّ قَامَتْ فَشَهِدَتْ فَلَمَّا كَانَتْ عِنْدَ الْخَامِسَةِ وَقَّفُوهَا وَقَالُوا إِنَّهَا مُوجِبَةٌ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَتَلَكَّأَتْ وَنَكَصَتْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهَا تَرْجِعُ ثُمَّ قَالَتْ: لاَ أَفْضَحُ قَوْمِي سَائِرَ الْيَوْمِ فَمَضَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم :{**أَبْصِرُوهَا فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ سَابِغَ الْأَلْيَتَيْنِ خَدَلَّجَ السَّاقَيْنِ فَهُوَ لِشَرِيكِ ابْنِ سَحْمَاءَ}** فَجَاءَتْ بِهِ كَذَلِكَ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم :{**لَوْلاَ مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ اللهِ لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ}** [١].

إنه تسامح الإسلام ونبي الإسلام، وحتى لو ثبتت جريمة الزنا بالاعتراف وأقيم حد الرجم فإن هذا الزاني الذي يرجم لو طلب منهم التوقف عن ذلك لإدلاء ما عنده ما يدفع عنه فينبغي أن يوقف الرجم ويُسمع منه هل ما يقوله يعتد به أم لا؟

وقد صح أن ماعز بن مالك فرّ حين وجد مسّ الحجارة ومسّ الموت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{**هَلَّا تَرَكْتُمُوهُ}**؟ [٢].

أما المرأة التي تزني وهي حامل فإنه إن ثبت ذلك ووصل الأمر إلى السلطان فإنه لا يقام عليها الحد إلا بعد أن تضع وليدها وترضعه أو يتكفل غيرها إرضاعه فإنه حينذاك يقام عليها الحد فيكون لها توبة وطهارة، والأصل قبل الحد الستر عليه، وذلك عند شرب الخمر أو عندما يرى الزنى فالقاعدة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :{**مَنْ سَتَرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ فِي الدُّنْيَا سَتَرَهُ اللهُ يَومَّ القِيَامةِ}** [٣] وهذه القاعدة ذروة السماحة.

وإقامة الحدود لا بد أن تكون مقيّدة بالقضاء والسلطان فإذا وصل أمره إلى السلطان فإنه ينظر في إثبات الجريمة: فإذا كان الحاكم لم تتوافر لديه الإثباتات فإنه لا يقيم الحد بل يدرأ الحد بالشبهات كما في قصة الملاعنة

(١) **(صحيح)** أخرجه (خ) ٤٤٧٠.

(٢) **(صحيح)** أخرجه (ت) وصححه الألباني في مش ٣٥٦٥.

(٣) **(صحيح)** أخرجه (حم)وصححه الألباني في ص.ج ٦٢٨٧.

المتقدمة.

أما من شهد على أحد بالزنا فإنه لا يكفي إلا بأربعة شهود، فإن شهد أقل من ذلك فإنه يقام عليهم حد القذف، ففي رواية مسلم قال: جَاءَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ يَا رَسُولَ الله: طَهِّرْنِي فَقَالَ: وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرْ الله وَتُبْ إِلَيْهِ قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله طَهِّرْنِي فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرْ الله وَتُبْ إِلَيْهِ قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله طَهِّرْنِي فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ الرَّابِعَةُ قَالَ لَهُ رَسُولُ الله: فِيمَ أُطَهِّرُكَ؟ فَقَالَ: مِنْ الزِّنَى.. (١).

ويستفاد من الحديث أنه لا يمكن إقامة الحد إلا بعد الاعتراف أربع مرات تعادل أربعة شهود، وأن الإمام يتأكد من سلامة عقل المعترف، وفيه أيضًا السماحة بقوله: ارجع فاستغفر الله وتب إليه.

كما أن إقامة الحدود التي يثار حولها الجدل في حقوق الإنسان كالقتل والرجم وقطع اليد فلو نظرنا في الحدود بالشرائع والقوانين السابقة للبعثة النبوية الشريفة لوجدناها متفقة مع حدود الإسلام ومتفقة في كثير من الأحكام كما في التوراة والإنجيل وشريعة نوح وصحف إبراهيم وموسى، وهذه الأشباه بين الشريعة الإسلامية وأهل الكتاب وما فيها من الصحيح غير المحرف تدل على أن الشرائع السماوية متشابهة في كثير من الأحكام وأن مصدرها واحد وهو الله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى:**{وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ}** [المائدة :٤٨].

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره لهذه الآية : أنزلنا الكتاب الذي أنزلناه إليك يا محمد مصدّقًا للكتب قبله، وشهيدًا عليها أنها حق من عند الله أمينًا عليها حافظًا لها.

وبعد ذلك نرى سماحة الإسلام في دفع الدعوى وحق الدفاع عن النفس، فللمدعى عليه أن يدافع عن نفسه، ومن هذا المفهوم عرف بعض الفقهاء " دفع الدعوى " بأنه دعوى من قبل المدعى عليه أو ممن ينتصب المدعى

(١) **(صحيح)** أخرجه (م) ١٦٩٥.

عليه خصمًا عنه يقصد بها دفع الخصومة عنه أو إبطال دعوى المدعي.

وقد راعى الإسلام عدم إقامة الحدود في حالات الضرورة في حالة الإكراه والجوع والفقر، فالمكره على الزنا لا يقام عليه الحد، وكذلك حد السرقة في المجاعة كعام الرمادة في زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

وقد درس الدكتور وهبة الزحيلي حالات الضرورة وهي: وتوصل إلى أربع عشرة حالة وهي : ضرورة الغذاء (الجوع أو العطش) والدواء، والإكراه، والنسيان، والجهل، والعسر أو الحرج وعموم البلوى، والسفر، والمرض، والنقص الطبيعي، وهذا من عظمة هذا الدين أن يراعي هذه الحالات وما فيها من السماحة والعفو والتوسيع على الناس وعدم التضييق والتشديد (٢٩).

وقال الشيخ سعيد بن مسفر: جاءت الشرائع كلها وفي نهايتها الشرع الإسلامي بحفظ الكليات الخمس لصالح العباد: الدين، العقل، المال، النفس، العرض، فحفظ الدين بقتل المرتد:**{مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ}**، وحفظ الله العقل بتحريم الخمور، وحفظ الله المال بقطع يد السارق، وحفظ الله الأنفس بقتل القاتل، وحفظ الله الأعراض برجم الزاني أو جلده إن كان بكراً، كل هذه أوامر الله، لولا تقييم الشرائع والشريعة الإسلامية لهذه الأحكام لضاعت أديان العباد وأموالهم وأعراضهم، وضاعت أنفس العباد وعقولهم، وإذا ضاعت هذه الكليات هل يبقى حياة؟ تصبح الحياة حياة بهائم، شريعة الغاب، فما من شيء أَمر الله به أو نهى الله عنه إلا وفيه مصلحة، يعرفها الإنسان وقد لا يعرفها، لكن بالتدبر والتأمل، ألا تسمع قول الله تبارك وتعالى:**{قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ}** [النور:٣٠] (٦٦).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الفهرس

* * *